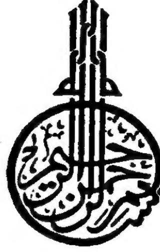
ثم أبصرت الحقيقة

تأليف

محمد الخضر

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ت ٥٤٥٧٢٦٩





لمراسلة المؤلف

alboshra1975@hotmail.com

رقم الإيداع
٢٠٠٦/١٦٥٤٥

الترقيم الدولي
977-331-438 -3



دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع

١٩،١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفوفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤١١٩١٠-٥٢٢٢٠٠٢
E-mail: dar_aleman@hotmail.com

إهـــداء

الى رسول الله الذي أنار الله به حياتي ...

الى أهل بيته الأطهار وصحابته الكرام الذين ظلمهم المؤرخون وقصّر في حقهم أهل الأهواء...

الى أبي الذي لم تمتلئ عيناي بالنظر اليه قبل رحيله ...

الى أمي جبل العطاء وعنوان التضحية وبرج الشموخ ...

الى كل مسلم يحب الحقيقة ولا يرضى باستغلال الدين ولا بالطائفية المقيتة...

الى هؤلاء جميعاً أهدي كتابي هذا ... راجياً من الله أن يلهمني الإخلاص ويجزيني عليه حسن الثواب.

مقدمة

لا أدري أترى وريقاتي هذه فجراً تشرق بعده أم تبقى حبيسة الدفتر فأُحرم أجرها وبركتها...

لقد مرت عليّ السنون وأنا أقلب صفحات الكتب .. أتفكر وأتساءل .. أقرأ وأدوّن .. أضيف وأمحو .. حتى مرّت عليّ سنوات عجاف أملت عليّ أن تبقى خواطري وأفكاري بعيدة عن القلم الذي يدوّنها ويصيغها ويسبك عباراتها.

فكنت أتصفح كل يوم ما دوّنته في دفتري لعل الله الفتاح العليم يفتح على قلبي فتحاً تجيش به مشاعري وتتوقد فيه أفكاري فأسل قلمي من غمده وأسطر ما أختزنته حافظتي بالأريحية التي ينبغي أن أسطرها به.

ثم شاء الله تعالى أن تتجمع لدي الخواطر من جديد ويسيل حبر القلم على الورق ليسطر لك أيها القارئ هذه الكلمات.

فهذه رسالة نسجتها لك الورود، عنوانها المحبة وموضوعها طلب الحقيقة.

فالحقيقة اليوم ومنذ زمن بعيد باتت حبيسة التعصب والإدعاء .. وكل يدّعي وصلاً بليلى وليلى لا تُقر لهم بذاك.

وأحسب أنّ كتابي هذا سيُرضي أقواماً ويسخط آخرين، شأنه شأن الحقيقة المجردة ترضي الباحثين المتجردين وتُسخط المتعصبين المنحازين.

لكني على يقين من أنّ الكلمة الحرة التي لا تعرف الزيف هي شمعة تضيء أبداً .. فإن كُتب لي أن أعادى فإنّ الحق الذي أناضل من أجله سينتصر لي ولو بعد حين.

محمد الخضر

خطوات إلى الأمام

(ينبغي من كل مكلف أن يطرح العصبية ويصحح
النية ويستعمل النظر بالفطرة التي فطر الله
الناس عليها ولا يقدّم عليها ما لقنه أهل مذهبه)

ابن الوزير

الوحدة التي نريد ..

ننادي بالوحدة فلا نجني إلا الفرقة، وننشد الاجتماع فلا نجني إلا الشتات.

ها نحن نزرع الشوك فلا نحصد إلا الألم ... ونشتكي من عمق جراحات الأمة ونحن السكين التي تقطّع أوصالها.

كأي مسلم .. حُق لي أن أتحسر على تاريخ عظيم وبطولات وتضحيات قادتنا بالأمس إلى الرفعة فتناسيناها وما عدنا نذكرها إلا في كتبنا المدرسية أو مسابقاتنا الرمضانية أو وسائلنا الإعلامية كمسلسلات وتمثيليات هي إلى تشويه التاريخ والرموز أقرب منها إلى النطق بالحقيقة.

حُق لي أن أتحسر على همم عالية تربت في أحضان الإسلام فأخرجت لنا جهابذة الناس على مر التاريخ وفي شتى الميادين، لكنها اليوم في التراب ولا تعيش إلا على الفتات الذي يرميه لها الغرب.

نعم .. حُق لي ولك أن نحزن لهذا وأن نستحث إيماننا وهمتنا وعاطفتنا لنعود من جديد.

لقد كانت عيناي تتطلعان إلى الوحدة ... ترقبان اليوم الذي تنكشف فيه عن الأمة الغمة ...

تمنيت لو أنّ بيدي أن أجمع هذا الشتات .. وأنّ أحل عقدة لم يجرؤ أهل الإسلام على حلها حتى الآن..

لكن صوتي كان ضعيفاً .. تماماً كإدراكي لأسباب هذه الفرقة ... كنت عاطفياً جداً .. أريد لوضع الأمة أن يتغير بغمضة عين .. كأنّ الفرقة والاختلاف على قضايا هامشية يُمكن أن تُهمش وأن تُطرح في جنبات الطريق.

كبرت وكبر معي هذا الهم .. وبت أدرك ما لم أدركه من قبل .. وبت أتساءل عن الوحدة التي نتكلم عنها ونتطلع إليها .. أهي الوحدة الصورية التي نعيشها للحظة ونفتقدها طوال العمر أم تلك التي تضمن لبنياننا البقاء متماسكاً وصلباً أمام التحديات؟

أهي الوحدة التي تكون مبنية على كتاب الله عز وجل وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام أم تلك التي تكون على حساب كتاب الله وسنة نبيه ؟!

وكنت أستحضر أمامي دائماً علاقتنا مع أهل الكتاب الذين أنزل الله عليهم الكتب وأرسل إليهم الرسل، لما انحرفوا عن دين أنبيائهم جاء الإسلام مصححاً لما ورثوه من الضلال، داعياً إياهم إلى تصحيح المسار وإلى الاندماج في لواء الحق، فلم يرتض ما هم عليه من الضلال بحجة أنهم أتباع أنبياء بل دعاهم إلى المصارحة مع النفس وإلى عرض عقائدهم على وحي السماء.

فللوحدة مقاييس شرعية . . . وإذا أراد المنتسبون إلى الإسلام من شتى الفرق الاتحاد مع بعضهم البعض فلا بد أن تكون الوحدة على عقيدة الإسلام الذي جاء بها محمد ﷺ لا على عقائد شتى لا تمت للإسلام بصلة.

وتأمل قول الله عز وجل للمؤمنين ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾[1] وتأمل سيرة النبي صلوات الله وسلامه عليه، ففيها العبرة والعظة.

ففي زمن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه كانت فئة ممن تتلبس بلباس الإسلام وتنطق بالشهادتين نطقاً دون أن تعيش معنى تلك الشهادتين في حياتها . . . كانت لتلك الفئة من يستمع لها من المؤمنين إحساناً للظن بها، فقال الله عز وجل ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾[2]

لكننا نغفل عن هذه الحقيقة أو نتغافل عنها فنجعل عواطفنا هي الحكم، والإسلام هو التبع لهذه العواطف . . .

---

(١) سورة البقرة آية ١٣٧

(٢) سورة التوبة آية ٤٧

دين موروث ..

لو وُلدت في منطقة (النجف) أو (القطيف) فإنك حتماً ستكون شيعياً اثني عشري، لأنّ البيئة التي نشأت بها هي بيئة شيعية وأبواك بلا شك كذلك شئت أم أبيت، والحال معك كذلك لو أنك وُلدت في (القصيم)، فإنك حتماً ستكون سنياً، لأنّ البيئة والأسرة أملت عليك ذلك.

لكن أترى الحق فيما تحدده لنا بيئتنا؟ أم بما يعرفه المرء من دلائل وبراهين.

حاول أن تتفكر إن كُنت سنياً بزميل شيعي اثني عشري يُكثر جدالك ومحاجتك ويتهمك بالنصب وبغض أهل البيت، لو أنّ هذا الشيعي وُلد لأبوين سنيين وفي بلد سني، ألا ترى أنه سيكون أول من يساندك ويشد على عضديك وربما يتحمس للرد على الشيعة الاثني عشرية أكثر منك!، في حين أنه اليوم أشد الناس جدالاً لك وعصبية في حوارك؟

ألا ترى أننا نبني قناعاتنا الدينية من منطلق ما وجدنا عليه آباءنا لا من منطلق التجرد للحق واتباعه؟

وأنّ حديث (يولد المولود على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) ينطبق أحياناً على قناعاتنا المذهبية؟

الدين والمذهب بالنسبة لكثير من المسلمين اليوم كأثاث المنزل أو كالأموال والأراضي .. ورثوه عن آبائهم وأجدادهم .. وهم على خطاهم سائرون .. هذا إن لم يكن الدين في حياتهم أقل من الدينار والدرهم ومتاع الدنيا الزائل.

بالأمس كانت الأمم السابقة المكذّبة للرسل تجابه الحق الذي جاءت به الرسل قائلة ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾[3].

فكان جواب الرسول ﴿قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ

(٣) سورة الزخرف آية ٢٣

ءَابَآءَكُمْ﴾ فكان رد هؤلاء المتعصبين لباطلهم، الجاهلين لحقيقة أمرهم هو ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾!

المشهد يتكرر، لكن ليس بين رسل الله وبين قوم كفار وثنيين، وإنما بين كلمة حق وبين متعصبين ألفوا ما وجدوا عليه آباءهم، فردّوا الحق وتشبثوا بالباطل.

وللأمير الصنعاني رحمه الله كلمات جميلة في هذا المعنى يقول فيها: (ولنقدم قبل المقصود أصلاً مهماً وهو أنّ الله تبارك وتعالى قد أخبر عن الكفار بأنّ نظرهم مقصور على اتباع الآباء في كتابه العزيز في غير آية عايباً عليهم ذلك، مثل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾[٤]، ﴿قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾[٥]، ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ﴾[٦]، أي ليس لهم مستند سوى ذلك ﴿قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾[٧]، ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا﴾[٨]، فهم في جميع الآيات قاصرون نظرهم على اتباع الآباء لحسن الظن بهم حتى صار ذلك عادة لهم بل فخراً يعيرون به من خالفهم!!

ويضربون به المثل حتى سمّوا محمداً ﷺ ابن أبي كبشة، لأنه عبد ما لم يعبد آباؤه كما عبد أبو كبشة الشعرى، وحتى ذكرّوا بذلك أبا طالب وهو في طريق الموت وقالوا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟!

ولذلك خص الأبوين في الأخبار عن تغيير الفطرة "وإنما يهودانه أو

(٤) سورة البقرة آية ١٧٠
(٥) سورة الزخرف آية ٢٣
(٦) سورة هود آية ١٠٩
(٧) سورة الشعراء آية ٧٤
(٨) سورة يونس آية ٧٨

ينصرانه" ولذلك مقت الله الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، وفسّر رسول الله ﷺ بأنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه، كما أخرجه الترمذي عن عدي بن حاتم رضي الله عنه.

فمن عقل وأنصف فلينظر إلى جميع بني آدم في القديم والحديث في الملل الكفرية ثم المذاهب الإسلامية!، بعد إخراجه للأنبياء صلى الله عليهم ومن سار على سيرتهم من السابقين والتابعين وقليل ما هم بالنظر إلى الخليقة، فإنه يجد الناس تبعاً لما ألفوه من اتباع الآباء بمجرد تقليد وهوى ومحبة للجمود على دين الآباء !!)[9]

وفي أنفسكم أفلا تبصرون ..

كم من مبصر لا يُبصر؟

كم من مبصر لا يستطيع أن يبصر نفسه التي بين جنبيه؟

لقد جاء القرآن الكريم ليوقظ الأذهان من سباتها العميق ... ليدعو الناس للتفكر في أنفسهم ومعتقداتهم.

فمنهم من استجاب وتفكر ووصل إلى الحقيقة، وهؤلاء قد أدركوا ما يريده القرآن منهم.

ومنهم من استسلم لما ورثه عن الآباء والأجداد فلا يكاد يبصر غير ما أعده أبواه له .. سواء بسواء مع مائدة الطعام التي تعدها له والدته أو زوجته!

يحسب أنه يحسن الصنع .. لكن الخيبة والخسران مآله يوم أن يكتشف السراب الذي كان يعيشه.

يقول تعالى ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾[10]

---

(٩) إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة ٤٥-٥١

(١٠) سورة الكهف آية ١٠٣

يوم أن يُزال عن بصره غطاء الزيف الذي ألجم نفسه به ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾، فأين طريق العودة؟ وأين فرصة التصحيح؟

انقطع العمل وانقطع طريق العودة للدنيا .. وبقي الإنسان أمام الحقيقة التي كان في غفلة عنها.

حبك للشيء يعمي ويصم ..

هذه حقيقة لا غبار عليها . . . من أحب عقيدته وفكرته عمي عن معرفة عيبها حتى لا يكاد يتصور الحق في سواها.

هذا مدلول قول النبي عليه الصلاة والسلام (حبك للشيء يعمي ويصم)[١١]

وفي شرح الحديث يقول أبو الطيب محمد شمس الحق (أي يجعلك أعمى عن رؤية معائب الشيء المحبوب بحيث لا تبصر فيه عيباً ويجعلك أصم عن سماع قبائحه بحيث لا تسمع فيه كلاماً قبيحاً لاستيلاء سلطان المحبة على فؤادك).[١٢]

وقد سئل ثعلب عن معنى الحديث فقال: يعمي العين عن النظر إلى مساويه ويصم الأذن عن سماع العذل فيه، وأنشأ يقول:

وكذبت طرفي فيك والطرف صادق   وأسمعت أذني فيك ما ليس يسمع[١٣]

ولكي يتحرر عقل الإنسان من الانقياد لغير الحق، ومن العمى الذي يحجبه عن الحقيقة فلا بد أن يطرح العاطفة جانباً، وأن ينظر إلى حجة الخصم وإلى برهانه ليرى الجانب الذي لربما غفل عنه ولم تبصره عيناه.

---

(١١) رواه أبو داود

(١٢) عون المعبود في شرح سنن أبي داود ٢٨/١٤

(١٣) أيضاً

هذا ديني وذاك مذهبي [١٤] ..

فإن سألتني عن ديني ومذهبي أجبتك بقولي: (اللهم إنه لا مذهب لي إلا دين الإسلام، فمن شمله فهو صاحبي وأخي، ومن كان قدوة فيه عرفت له حقه، وشكرت له صنعه، غير غال فيه ولا مقصر، فإن استبان لي الدليل، واستنار لي السبيل، كنت غنياً عنهم في ذلك المطلب، وإن ألجأتني الضرورة إلى الرجوع إليهم وضعتهم موضع الإمارة على الحق، واقتفيت الأقرب في نفسي إلى الصواب بحسب الحادثة، بريئاً من الانتساب إلى إمام معين، يكفيني أني من المسلمين، فإن ألجأني إلى ذلك الله، ولم يبق لي من إجابتهم بد، قلت: مسلم مؤمن، فإن مزقوا أديمي، وأكلوا لحمي، وبالغوا في الأذى، واستحلوا البذا، قلت ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ۝٥٥﴾[١٥]، ﴿لَا ضَيۡرَۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۝٥٠﴾[١٦]، وأجعلك اللهم في نحورهم، وأعوذ بك من شرورهم، رب نجني مما فعله المفرّقون لدينك، وألحقني بخير القرون من حزب أمينك ﷺ)[١٧].

فالإسلام هو الإسم الذي أوجب الله علينا التسمي به وأمرنا أن نتشرف بالانتساب إليه فقال جل من قائل ﴿وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝١٢﴾.

وهو ملة أبينا إبراهيم والتسمية التي نادانا الله بها فقال: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ﴾.

وقد أنكر رسول الله صلوات الله وسلامه عليه تعصب المهاجرين والأنصار لمسمياتهم مع أنّ تسمياتهم شرعية قد جاء القرآن بها فكيف بمن استحدثوا ولا زالوا يستحدثون الأسماء والجماعات وما زالوا يوالون المسلم

---

(١٤) المراد بالمذهب هنا المذهب العقدي لا الفقهي.

(١٥) سورة القصص آية ٥٥

(١٦) سورة الشعراء آية ٥٠

(١٧) العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ ص ٧.

ويعادونه لقربه أو بعده عن جماعتهم لا لكونه أشرك بالله أو عادى الإسلام أو ابتدع في دين الله.

ولكي نتحاور، لا بد لنا أن نتحاكم إلى الإسلام الذي عرفه الأولون وذكره القرآن ونادت به السنة، ولنطرح التعصب للشخصيات والطوائف جانباً ولنصغ للحق حيثما كان.

ولتقرأ أيها القارئ كتابي هذا بعيني مسلم صادق يرتجي الحقيقة، لا عيني سني أو شيعي أو ناصبي يريد مني موافقته في حقه أو باطله، فإني ما كتبت ما كتبته ها هنا ترضية لأحد أو رغبة في موافقة لأحد لمجرد الموافقة بل كتبت حقائق توصلت إليها بفضل الله تعالى عليّ في رحلة بحث في كتب الفريقين (السنة والشيعة).

سهام رمتني وأخرى سترميني..

لا يستطيع أحد أن يدعو إلى إصلاح فكر أو ثورة على موروث باطل دون أن يُرمى بسهم أو يُجرح بكلمة.

هذا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أكرم الخلق وأتقاهم لم يسلم من بهت الباهتين وظلم الظالمين، قيل عنه كاهن .. ساحر .. مجنون .. شاعر، فمن أكون أنا وأنت حتى نستكبر أن يُقال في حقنا ما هو دون ما قيل في حقه صلوات الله وسلامه عليه وهو النبي المرسل؟!

من خلال معايشتي وحواراتي مع المتعصبة من شتى الطوائف نلت الكثير من الأذى، فأعظم الأذى أن يُتهم المرء في دينه وصدق انتمائه إليه.

فلما كنت أحاور النواصب[18] و أظهر حبي لأهل البيت و أرد على من

---

(١٨) النصب هو بغض أهل بيت النبي عليه الصلاة و السلام، و هو على درجات كما أنّ التشيع على درجات، فمنه النصب الذي يصل بالمرء إلى حد البغض و العداء المطلق و منه ما يصل بالمرء إلى حد بغض بعض أهل البيت دون غيرهم من أهل البيت، و منه النصب اليسير و هو الذي لا يصل بالمرء إلى حد البغض لكنه يصل به إلى حد تكذيب الفضائل المتفق على صحتها دون =

من يقلل من شأنهم بالأحاديث الصحيحة الثابتة أو بما عُرف من حقهم في شرع الله، قيل عني: (رافضي) !

ولما كنت أحاور الشيعة الاثني عشرية وأنتقد ما يطرحونه من غلو بأهل البيت قالوا عني: ناصبي كبير . . . فلست ناصبياً فقط بل عريق في النصب ولا حول ولا قوة إلا بالله!

ولما تحاورت مع بعض المتصوفة حول غلوهم في رسول الله ﷺ مستدلاً بأحاديث صحيحة ثابتة في بيان حقه صلوات الله وسلامه عليه تدعو إلى محبته وحفظ حقه بأبي هو وأمي، من غير غلو ولا جفاء، قيل عني: مبغض لرسول الله !

وهكذا صرت بين المتعصبة جامعاً لكل النقائض.

رافضي مبغض لصحابة رسول الله ومغال في أهل البيت . . . وناصبي مبغض لأهل البيت ومغال في الصحابة . . ومبغض لرسول الله ومن باب أولى مبغض لأهل بيته ولأصحابه.

وما حصل لي حصل للإمام المقبلي أكثر منه بكثير رحمه الله، ومثلي لا يُقارن بمثله لا فضلاً ولا علماً ولا تضحية، فأين جهد ذاك الإمام الجهبذ من جهد المقل.

فقد تجرع رحمه الله مرارة التعصب المذهبي وناله الأذى فصبر ومضى في طريقه غير آبه للتخذيل ولا للتخذير.

حرص على إعلان تنصُّله من الإنتماء إلى أي من المذاهب الإسلامية

= أن يستند في هذا إلى أدلة سائغة من علم الدراية أو الرواية.

و لا يصح ما يدّعيه البعض من أن حب أصحاب محمد عليه الصلاة و السلام و توبيهم نصب، فإنّ هذا لهو غاية الجهل بل حبهم إيمان و تقى، فهم الممدوحون المرضي عنهم بنص كتاب الله.

و لعل الله عز و جل أن ييسر لي كتابة بحث في هذا الشأن، أتطرق فيه إلى مفهوم النصب و دلائله و آثاره و من رُمي به بحق و من رُمي به زوراً و بهتاناً حتى يقف القارئ الحر على حقيقة هذا المفهوم الذي ظُلم كثيراً من أرباب الفرق المتنازعة.

والتأكيد على براءته من التعصُّب لها في معظم مؤلفاته شعراً ونثراً، ومن ذلك قوله:

برئت من التمذهب طول عمري وآثرت الكتاب على الصحاب
ومالي والتمذهب وهو شيء يروح لدى المماري والمحابي

كرَّس جهده ووقته لمحاربة الجمود والتعصُّب الفكري، فلقي من مقلِّدي ومتعصِّبي عصره أذى شديداً، وناصبوه العداء، واتَّهموه بأنه ناصبي، معادٍ لمذهب أهل البيت (المذهب الزيدي)، مما اضطره إلى بيع ممتلكاته والرحيل بأهله إلى مكة (١٠٨٠هـ) فجاور بها وانقطع فيها للعلم والتأليف والدعوة إلى التجديد وإشاعة روح التسامح ونبذ الفرقة والتقليد والتعصُّب، فعلا ذكره هناك وعظُم صيته بين علماء مكة والقادمين إليها من مختلف بلدان العالم الإسلامي، وتباينت الآراء حوله بين مؤيِّد ومعارض، فقد تقبَّل المنفتحون والمنصفون آراءه ووجهات نظره وأقبلوا، كما أقبلوا على اقتفاء أثره في اجتهاده وإطراح التقليد جانباً، واعتمادهم على منهجه وأسلوب بحثه واجتهاده، أما المتعصِّبون فرفضوا إطروحاته وثاروا عليه، ونسبوه إلى الزندقة لتمرُّده على التقليد وعدم تمسُّكه بمذهب معين، واعتماده على كتاب الله وسنَّة رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم فحسب، وخاصة بعد انتشار كتابه (العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشائخ)، وذيله الأرواح النوافخ، لما فيهما من النقد للمتعصِّبين للأسلاف، والحط من شأن التقليد والمقلِّدين، فقال قولته المشهورة: سبحان الله .. ناصبي في صنعاء وزنديق في مكة!

وهذا هو الإمام القرطبي بدوره يحكي عن محنته مع المتعصبة فيقول: (فقامت عليّ القيامة، وتواترت عليّ الملامة، وفوّق إليّ العتاب سهامه، ونُسبت إلى القول بأنّ الدعاء لا ينفع، ولا فائدة فيه، كما يُعزى إلى بعض الناس بسبب أني لم ألتزم الدعاء بهيئة الاجتماع في أدبار الصلاة - حالة الإمامة - .. وتارة نُسبت إلى الرفض وبغض الصحابة رضي الله عنهم، بسبب أني لم ألتزم ذكر الخلفاء الراشدين منهم في الخطبة .. وتارة أضيف إليّ القول بجواز القيام على الأئمة، وما أضافوه إلا من عدم ذكري لهم في

الخطبة.. وتارة أُحمل على التزام الحرج والتنطع في الدين، وإنما حملهم على ذلك أني التزمت في التكليف والفتيا الحمل على مشهور المذهب الملتزم لا أتعداه، وهم يتعدونه ويفتون بما يسهل على السائل ويوافق هواه - وإن كان شاذاً- .. وتارة نُسبت إلى معاداة أولياء الله، وسبب ذلك أني عاديت بعض الفقراء - يقصد الصوفية - المبتدعين المخالفين للسنة، المنتصبين - بزعمهم - لهداية الخلق ...)[١٩].

ويعزي الشاطبي نفسه بما أصاب العلامة ابن بطة مع أهل زمانه ناقلاً ما حكاه ابن بطة عن نفسه بقوله: (عجبت من حالي في سفري وحضري مع الأقربين مني والأبعدين، والعارفين والمنكرين، فإني وجدت بمكة وخراسان وغيرهما من الأماكن أكثر من لقيت بها موافقاً أو مخالفاً، دعاني إلى متابعته على ما يقوله، وتصديق قوله والشهادة له.

فإن كان صدقته فيما يقول وأجزت له ذلك - كما يفعله أهل هذا الزمان - سماني موافقاً.

وإن وقفت في حرف من قوله أو في شيء من فعله سماني مخالفاً.

وإن ذكرت في واحد منها أنّ الكتاب والسنة بخلاف ذلك وارد، سماني خارجياً.

وإن قرأت عليه حديثاً في التوحيد سماني مشبهاً .. وإن كان في الرؤية سماني سالمياً .. وإن كان في الإيمان سماني مرجئياً .. وإن كان في الأعمال سماني قدرياً، وإن كان في المعرفة سماني كرامياً، وإن كان في فضائل أبي بكر وعمر سماني ناصبياً، وإن كان في فضائل أهل البيت سماني رافضياً.

وإن سكت عن تفسير آية أو حديث فلم أجب فيهما إلا بهما سماني ظاهرياً .. وإن أجبت بغيرهما سماني باطنياً .. وإن أجبت بتأويل سماني أشعرياً .. وإن جحدتهما سماني معتزلياً .. إلى أن يقول (ومهما وافقت بعضهم عاداني غيره، وإن داهنت جماعتهم أسخطت الله تبارك وتعالى ..).

---

(١٩) الاعتصام ١/ ٢٧-٢٨

نحن مع الحق وإن قاله خصومنا

مشكلة الكثير من أرباب الفرق والجماعات أنهم يريدونك نسخة منهم، تنطق بما يؤمنون به هم وآباؤوهم الأولون، لا يريدون لضميرك ولعقلك أن يقول كلمته ولو على وجه التساؤل والبحث عن الحقيقة.

ومن آفاتهم النظر إلى المرء قبل النظر في قوله، يقولون: (من فلان حتى يعلّمنا؟) أو (أوليس هذا الذي أخطأ في مسألة كذا وكذا) فيعممون خطأه في مسألة على كل ما يقوله من صواب، فلا يستمعون إلى حجته ولا يريدون حقاً من ورائه.

وهذه النظرة الفوقية الاستعلائية تقصم ظهر صاحبها قبل الآخرين، فمن الخاسر سواه وهو يصد الناس عن الحق ويتجنبه هو في نفسه لا لشيء إلا لعصبية جاهلية ملأ بها دماغه.

والأولى بالمرء أن يطلب الحق حيث كان، وأن لا يحجبه عن الحق كونه قد أتى من خصمه.

يقول أبو حامد الغزالي رحمه الله: (فانظر إلى مناظري زمانك، كيف يسودّ وجه أحدهم إذا اتضح الحق على لسان خصمه، وكيف يخجل به، وكيف يجتهد في مجاحدته بأقصى قدرته، وكيف يذم من أفحمه طول عمره) وإنما ينبغي في المحاور (أن يكون في طلب الحق كناشد ضالة لا يفرّق بين أن تظهر على يده أو على يد من يعاونه، ويرى رفيقه معيناً لا خصماً، ويشكره إذا عرّفه الخطأ وأظهر له الحق..)[٢٠].

ولله در الإمام مالك بن أنس إذ يقول: (ما في زماننا شيء أقل من الإنصاف)[٢١].

نعم والله .. إنها أزمة الإنصاف.

---

(٢٠) إحياء علوم الدين ١/ ٦٤

(٢١) جامع بيان العلم ١/ ١٣٢

والإمام مالك ها هنا يتحدث عن زمانه الذي انتشر فيه العلم وسادت الفضيلة فكيف بزماننا وقد قلّ العلماء واتخذ الناس رؤوساً جهالاً فضلوا وأضلوا، وعمّ الفساد وبيعت الذمم.

ولابن تيمية كلمات جميلة في وجوب تحري المرء الحق واتباعه يقول فيها: (فإنّ الإنسان لا يزال يطلب العلم والإيمان، فإذا تبين له من العلم ما كان خافيا عليه اتبعه، وليس هذا مذبذباً، بل هذا مهتد زاده الله هدى . . . والواجب على كل مؤمن موالاة المؤمنين وعلماء المؤمنين، وأن يقصد الحق فيتّبعه حيث وجده)[٢٢]

ويقول: (وانتقال الإنسان من قول إلى قول لأجل ما تبيّن له من الحق هو محمود فيه، بخلاف إصراره على قول لا حجة معه فيه، وترك القول الذي وضحت حجته، أو الانتقال من قول إلى قول لمجرد عادة واتباع هوى فهو مذموم)[٢٣].

فالعبرة بالحق لذاته لا بمن قاله، وعلى المسلم أن ينفض عنه غبار التعصب والتقديس لغير كلام الله وكلام رسوله صلوات الله وسلامه عليه، فإنّ الناس لم يفترقوا ويزيغوا عن الهدى إلا لأمرين:

هوى متبع، وإعجاب كل ذي رأي برأيه.

ولسلطان العلماء العز بن عبد السلام عبارة ذهبية يقول فيها: (ولم يزل الناس يسألون من اتفق من العلماء من غير تقيد بمذهب ولا إنكار على أحد من السائلين إلى أن ظهرت هذه المذاهب ومتعصبوها من المقلّدين، فإنّ أحدهم يتبع إمامه مع بُعد مذهبه عن الأدلة، مقلّداً له فيما قال كأنه نبي أُرسل إليه، وهذا نأي عن الحق وبعد عن الصواب لا يرضى به أحد من أولي الألباب)[٢٤].

وهذا الإمام الشوكاني يوجه كلامه لمتعصبي المذاهب قائلاً: (فدعوا-

---

(٢٢) مجموع الفتاوى ٢/ ٢٥٢-٢٥٣

(٢٣) المصدر نفسه ٢٠/ ٢١٣-٢١٤

(٢٤) الفكر السامي للحجوي ٢٣٠

أرشدكم الله وإياي- كتباً كتبها لكم الأموات من أسلافكم واستبدلوا بها كتاب الله خالقهم وخالقكم ومتعبّدهم ومتعبّدكم)[٢٥].

نعم لندع التعصب المقيت، ولنحتكم إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه.

لماذا لا نتحاور؟

وإن أدرت أن تعجب أكثر فاعجب من أمر مسلمي اليوم . . . علّمهم القرآن الحوار مع أهل الكتاب الذين شتموا الله وشتموا رسوله، وهم اليوم يستكثرون على أنفسهم الحوار مع من انتقص من هم دون الله ودون رسوله!

يأتي المتعصب السني فيقول (لا حوار مع من شتم صحابة رسول الله، هؤلاء روافض لا ينبغي لنا حوارهم ولا حتى دعوتهم[٢٦] !) ويأتي المتعصب الشيعي فيقول (هؤلاء نواصب[٢٧] أنجاس لا ينبغي الحوار معهم!).

وقد عايشت الفئتين، وأوذيت منهم أيما إيذاء.

---

(٢٥) فتح القدير ص٣٥٢-٣٥٣

(٢٦) للأسف بعض هؤلاء المتعصبة لا يكلف نفسه حتى دعوة من يشتم الصحابة ولا الأخذ بيده، فأي موازين للدعوة هذه؟! وعلينا أن نفرّق بين فعل بعض السلف من عدم محاورة أهل البدع بغرض تحجيم فكرهم وعدم إعطاءهم الفرصة لنشر باطلهم على الملأ لكونهم قلة وأرباب هوى لا طلاب حق، وبين واجب الدعوة إلى الله لكل من ضل الطريق.

وعلى فرض ثبوت مخالفة أحد من السلف لما ذكرناه فإنه لا حجة في قول أحد من الناس مع وجود المنهج القرآني القويم في الحوار ومع وجود سيرة الرسول ﷺ ومنهجه في الدعوة مع الكفار وأهل الكتاب والمنافقين والأعراب فضلاً عن غيرهم، نعم من أراد المكابرة منهم لا يناقش ولا يُعطى المجال لكن التعميم في الحكم هو ما نستنكره.

(٢٧) لا نسلّم بهذه التهمة، فالشيعة مثلاً يبغضون الصحابة وكتبهم وخطباءهم وأشرطتهم تشهد بذلك وستأتي الإشارة إلى هذه الفكرة في موضعها في هذا الكتاب بإذن الله، أما أهل السنة فلا يبغضون أهل البيت بل يحبونهم ويقدّرونهم لكنهم يفضلون أبا بكر وعمر وعثمان مثلاً على علي لأدلة شرعية عندهم، وليس في هذا بغض لعلي رضي الله عنه، ولا أقول هذا الكلام تعصباً لأحد بل هذه حقيقة معلومة لكل منصف، فالمفاضلة بين رجل ورجل لأدلة حتى لو كانت ضعيفة لا تعني بأي حال من الأحوال بغض أحدهما.

والمتعصب يستطيع بكل سهولة إقناع نفسه بأنه هو وحده وكيل أهل البيت في الأرض، وأن من سواه لا يحبهم ولا يعرف حقهم.

فعجباً لهذه العقول، جعلت الصحابة وأهل البيت أعظم من الله ورسوله حين تتقبل الحوار مع اليهودي والنصراني الكافر بالله ورسوله والشاتم لهما ولا تتقبل الحوار مع المخالف!

والحقيقة أننا لن نستطيع فك رموز الخلاف السني الشيعي بهذه العقول المغلقة التي لا تريد الفهم ولا التفاهم.

فإنّ الإمام علي بن أبي طالب وهو أحد فقهاء الصحابة الكبار عند السنة والشيعة، لم يجد حرجاً في التحاور مع الخوارج الذين كفّروه، فأرسل إليهم حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس محاوراً، وعلي يعلم أنّ رسول الله ﷺ قد وصف الخوارج بأنهم (كلاب أهل النار)، فأين هؤلاء المتعصبة من الفقه والفهم لهذه المعاني الجليلة؟

نريده حواراً من أجل الحقيقة

الديكة تتصارع وتتطارح أرضاً، لأنها تؤمن بلغة العضلات، أما الإنسان العاقل فاللغة التي يرتضيها لنفسه ولمجتمعه هي لغة الحوار.

والناظر في عالمنا العربي والإسلامي المعاصر والذي ابتعد في ممارساته كثيراً عن التعاليم الإسلامية القويمة، ينتابه الأسى وتعلوه المرارة، على نمط الحوار المتبع بين جميع الفئات المختلفة على جميع المستويات.

كثيرة هي الحوارات التي تجسد لنا هذا المثال، جمهور يستمع وديكان يتصارعان، كل منهما يريد الفتك بالآخر، والانتصار للرأي لا للحقيقة.

إننا لم نتعود على الموضوعية والحوار والواقعية في حواراتنا وأدبياتنا ومداخلاتنا، بل اعتدنا على الرؤية الأحادية التي لا تتقبل رأي الآخر ولا تفهم ما يريد، وما على الآخرين إلا أن يقولوا (آمين) ثمانين مرة، لا سيما إذا كان البعض منا في موقع يسمح له بفرض رأيه الواحد على الآخرين[٢٨].

(٢٨) لا أدعي بكلامي هذا أنّ العقيدة الإسلامية صارت آراء تقبل وتُرد، وإنما القصد أن المقدس الذي تؤمن به، ليس مقدساً عند الطرف المخالف، وعليك أن تتقبل الحوار معه على هذا الأساس، أما النظرة الفوقية التي لا تريد الحوار بل تريد من الطرف المقابل الإذعان فحسب، فهذه لا تنفع للحوار وليست من الحوار في شيء.

ومثل هذه الحوارات جعجعة بلا طحين .. لا يُرتجى من ورائها هداية لأحد، أو نتيجة محمودة يستفيد منها الطرفان، لأنها تفريغ مخزون آفات نعيشها في أنفسنا.

فالمظلوم عندنا يشتكي من الظالم، لأنّ السوط بيد الظالم .. يذكّره بالله ويدعو عليه الليل والنهار، لكن سرعان ما ينقلب المظلوم ظالماً حينما يسقط السوط من يد ظالمه وينتقل إلى يده، يتناسى الرب الذي كان يخوّف الناس به، فيجور على الخلق وينتزي على حقوقهم بلا رحمة.

هكذا تجلت لي صراعات المتعصبين من أهل الطوائف.

ولكي ننهض من جديد كأمة إسلامية، ولكي نستطيع أن نتدارك بجدية الصدع الذي أضعف الأمة فانقسمت لأجله إلى فرق وطوائف متناحرة لا بد لنا من الإخلاص والصراحة، والرغبة في أن تكون راية الإسلام هي العليا لا راياتنا الطائفية.

ما أحوجنا اليوم إلى الإنصاف وإلى التجرد الذي بثه الإسلام في النفوس المؤمنة، التجرد للحقيقة لا للأشخاص.

ألم نقرأ قول الله عز وجل: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾(٢٩)

فأي مسلم يرى الهدى في غير الله وغير رسوله؟! وهل يشك رب العباد أنّ الحق معه ومع رسوله - معاذ الله -؟!

لكن الله يرشدنا إلى أدبيات الحوار .. إلى التجرد مع الخصم .. لا تفترض منذ البداية أنك أتيت لتملي عليه وأنّ عليه أن يقبل! .. إنما جُعل الحوار لبيان الحق ولكشف الشبهة.

والحوار يبتدأ بالحسنى ويكون بالحسنى كما قال الله تعالى

---

(٢٩) سورة سبأ آية ٢٤

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ ما دام الطرف المقابل يحتفظ بأمرين:

أولهما: التأدب مع مقدسات الطرف الآخر، فلا يشتمها ولا يستطيل في الكلام بها بل يوضح موضع النقد الذي يراه بكل موضوعية وتأدب.

والثاني: طلب الحق وعدم العناد والمكابرة، فإذا وُجد العناد ووجدت المكابرة استخدم مع صاحبها أسلوب ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾.

ولو أنّ حواراتنا قامت على هذا المنهج القويم الذي نادى به القرآن الكريم لكان الناس غير الناس والحال غير الحال، لكن نشكو إلى الله تعالى.

من هنا كانت البداية

فإن سألتني عن حكايتي وراودك السؤال: ما الذي أحوجني لخوض هذا المعترك؟

أجبتك بقولي: حكايتي واحدة من حكايات عاشها كثيرون غيري . . . لم أكن من فرقة وطائفة ثم انتقلت إلى أخرى بل مضيت في طريق وعر كتب الله لي فيه إبصار الحقيقة.

نشأت في بيئة تمازج فيها السنة والشيعة، فوالدي رحمه الله من أهل السنة، وكذلك والدتي، والبيت الذي نشأت فيه والدتي منذ الصغر كانت له طبيعته الخاصة.

فمربية الوالدة كانت شيعية وكذا إخوانها من الرضاعة، ولشدة علاقة والدتي بمربيتها كانت عائلتها مقربة منا إلى حد كبير، نزورهم ويزورونا.

وعلى مستوى صداقات الوالدة، فلوالدتي الكثير من الصديقات الشيعيات، أقربهن إليها امرأة بسيطة من عرب إيران (من منطقة عبادان الإيرانية على وجه الخصوص)، قضت معظم حياتها في الكويت.

وكنتيجة طبيعية لهذا الارتباط بالشيعة، كانت أمي تصطحبني صغيراً في

بعض الأحيان إلى الحسينية حيث يُقرأ العزاء وتوزع أطباق الطعام أيام المحرم.

لا زلت أتذكر يوم أن اصطحبتني أمي فترة النهار إلى إحدى الحسينيات.

قدور في باحة المكان ونساء يغرفن الطعام . . .

حينها طلبت مني والدتي أن أجلس في غرفة مقابلة للباحة حتى تنتهي من الحديث مع الملاّيه(٣٠)، لم أكن أعلم ولا زلت لا أعلم ماذا كانت تريد منها.

لكني أتذكر أني قد جلست على كرسي بجانبه صندوق كبير، ولا أظنك تتصور طفلاً يجلس لوحده في غرفة ولفترة من الزمن دون أن يحلق بنظره هنا وهناك، هذا إن لم يعبث بيديه بكل ما بقربه.

نظرت في الصندوق فرأيت أشياء كأنها من فخار أو طين.

لم يُترك لي المجال طويلاً للتخمين، سمعت نداء الوالدة (هيا يا محمد، لنذهب)، خرجت معها والأسئلة تحيط بي من كل جانب.

فقلت لها ونحن في السيارة (أماه . . ما هذا المكان الذي دخلناه؟)

قالت: إنها الحسينية، بيت مخصص لعزاء عاشوراء واللطم والنياحة والبكاء ولمناسبات أخرى.

فقلت: وما هذا الطين الذي وجدته في الصندوق في الغرفة؟ ووصفت لها شكله.

قالت: يسمونها التربة الحسينية، يضعها الشيعة على السجادة حينما يريدون الصلاة ويضعون جباههم عليها في الصلاة.

فقلت: طيب، لماذا هم شيعة ونحن سنة؟

---

(٣٠) الملايه: امرأة تقوم مقام الشيخ أو الملا بالنسبة لنساء الشيعة في الحسينيات من نعي وإلقاء دروس وغيرها بحسب ثقافتها وقدراتها.

أجابتني بقولها: لأنهم يسبون عائشة ولا يحبون أبا بكر وعمر ونحن نحب الصحابة ولا نرضى أن نسبهم، ولأنهم في عاشوراء يلطمون ويبكون ويلبسون السواد ويضربون أنفسهم ونحن لا نعتقد مثل هذه الأمور بل نراها خطأ، ولأنهم لا يصلون مثل صلاتنا.

إجابة غريبة بالفعل تحكي بساطة فهم والدتي آنذاك للخلاف بين السنة والشيعة، فكل ما تعرفه عن الشيعة من خلال تعايشها معهم هي تلك الفكرة فحسب، ربما لأنها لم تكلف نفسها السؤال أكثر بل رأت أنّ فتح باب النقاش أو السؤال عن هذه المواضيع قد يحرك في النفوس شيئاً، فشاءت أن تكتفي بما تعرفه.

لكني سألتها: لماذا يفعلون ذلك؟

وقد كنت كأي طفل قد تعلمت في المدرسة شيئاً من السيرة النبوية، وأنّ عائشة هي زوجة رسول الله وأنّ أبا بكر هو صاحبه في الغار وفي الهجرة، وتعلمت شيئاً عن قصة إسلام عمر وفضله، فبالنسبة لطفل قد تعلم هذا كله لا يُمكن له أن يتصور مسلماً يشتم هذه الشخصيات، فتعجبت جداً من كلامها، وبقي السؤال في داخلي (ما بال الشيعة يشتمون زوجة رسول الله وأقرب أصحابه إليه ويقولون إنهم مسلمون).

على أي حال، كانت هذه الإجابات المختصرة كافية حينها لسد فضولي كطفل بل وحتى في بدايات الشباب، فقد كان الدين بالنسبة لي آنذاك شيئاً هامشياً.

ومضت أعوام تمخضت عنها أسئلة جديدة كان من شأنها أن تدعوني إلى التفكير بجدية بموضوع السنة والشيعة.

في الجامعة، تعرفت على أحد سادة الشيعة، كان يكبرني نحو عشر سنوات إن لم يكن أكبر من ذلك، لم أرغب في فتح النقاش بيني وبينه عن الشيعة والسنة لحساسية الموضوع، لكن أحد الزملاء فتح معه باب النقاش واستعرض معه أوجه الخلاف، وكان مما ذكره السيد الشيعي حديث الكساء، ورغم احتكاكي بالشيعة آنذاك للبيئة التي عشت فيها إلا أني لم أكن حتى

ساعتي تلك قد اطلعت على هذا الحديث الشريف، ففتح لي هذا النقاش سبيلاً لبحث بسيط عن هذا الحديث الذي سمعته حينها لأول مرة.

بعدها بزمن أهدت لي إحدى الشيعيات كتاباً اسمه (ثم اهتديت) أرسلته لي عن طريق صديقة والدتي الإيرانية، فتصفحت الكتاب ثم شرعت في قراءته، وقد كان الكتاب بالنسبة لي قوياً لأول وهلة، لقلة علمي واستيعابي للأدلة التي يستدل بها الشيعة على صحة مذهبهم.

لكني مع ذلك، ومع علمي البسيط استوقفتني عدة مواضع من الكتاب استغربت منها جداً، فكان كتاب (ثم اهتديت) الانطلاقة الحقيقية لي في عالم الخلاف السني الشيعي.

فبدأت أقرأ في كتب الفريقين وأسأل من أثق به من أهل العلم عن كل ما يشكل عليّ حتى تولّدت لدي قناعات هامة، وتساؤلات كثيرة استفرغت الجهد والطاقة في البحث عن الإجابة عنها.

في السيدة زينب

شاء الله تعالى أن يكون محط قدمي في سوريا لأول مرة في حياتي، تجولت في ضواحي تلك البلاد وخطر ببالي أن أزور السيدة زينب وأن اقتني من تلك المنطقة كتباً شيعية لمزيد القراءة والبحث.

وكنت أمضي الساعات في السيدة زينب، أتناقش وأتصفح الكتب وأشاهد الناس حتى كدت ألتحق بحوزة الشيرازي هناك لولا إصرار الوالدة عليّ أن لا أفعل.

استجبت لرغبة والدتي وعيناي تتطلعان إلى هناك . . . لكني لن أنسى أبداً شاباً عراقياً تعرفت عليه في السيدة زينب وصحبته برهة من الزمن، كان له أثره الجيد في نفسي وفي التعرف على واقع الشيعة أكثر.

بدا لي شاباً من عامة الشيعة، لكنه أخبرني عن أبيه وهو عالم شيعي لا أدري ما مدى شهرته في الأوساط الشيعية، هاجر هذا الشاب مع أبيه إلى ايران

منذ أكثر من خمس عشرة سنة، فنشأ وترعرع في إيران ثم قدم إلى سوريا مع أبيه.

أبديت له إعجابي به، فهو شخص لم تستخفه الطائفية المقيتة التي ابتلي بها أكثر الناس اليوم، فلم يكذبني القول في حديثه بل كان صريحاً معي للغاية بخلاف غيره ممن التقيت بهم من الشيعة.

قلت له: اعلم قبل كل شيء أني شخصياً قد سعيت إلى أن أكون منصفاً قدر طاقتي، ولو كنت متحاملاً على الشيعة لاكتفيت بكتب خصومهم وحكمت عليهم بالضلال وأغلقت باب النقاش منذ البداية كما يفعل كثير من الناس، لكني أبيت إلا أن أبحث وأناقش واستمع لقولك وقول غيرك حتى أصل إلى الحقيقة.

فرحب بي وقال لي: أنا مستعد لكل ما تريده.

كان يتكلم بتلقائية متناهية، قال لي ذات مرة (لا أدري كيف خرجت الثورة الإسلامية في إيران . . لو كانت قد خرجت في العراق لكان هذا واقعياً لأنّ الشيعة هناك شيعة بحق، أما إيران فالوضع فيها مزري للغاية، أتصور أنّ الحكومة فقط هي الشيعية والشعب لا يعرف شيئاً عن الدين).

وقد سألته عن كثير من الأمور، فما كان يعلمه أجابني عنه وما لم يعلمه وعدني أن يسأل عنه أباه.

ولعل من أبرز ما تناقشنا فيه دعوى بعض علماء الشيعة تحريف القرآن . . فحينما طرحت له الموضوع واستفسرت منه عن رأيه، قال لي: أبداً، لم يقل عالم من علمائنا بتحريف القرآن، فقلت له: نحن الآن في منطقة المكتبات والكتب الشيعية متوفرة ها هنا، فهل لي أن أريك هذه الأقوال؟

وقد كنت حينها لا أتذكر إلا موضعاً واحداً أما بقية المواضع فكانت في دفتري الذي تركته في البلاد.

فخرج معي إلى مكتبة من المكتبات فقال لي: أي كتاب تريد؟ فقلت: تفسير الصافي للعلامة الشيعي الكاشاني.

فسلّم على صاحب المكتبة وطلب منه المجلد الأول من تفسير الصافي

ثم خرج معي من المكتبة، فأريته الموضع وجلس طويلاً يعيد قراءته وهو لا يكاد يصدّق[٣١].

فقلت له: عزيزي، لست أقصد من وراء إرشادك لهذا الموضع أن أستعرض عضلاتي أو أن أشكك في عقيدتك، قصدي واضح لا غبار عليه، أريدك أن تنتصر للإسلام من كل من يطعن فيه وينتقصه كائناً من كان، سنياً كان أو شيعياً، لا تقرأ وتزن الأمور بعيون شيعية وإنما ردّ الأمر إلى كتاب الله وسنة رسوله واجعلهما الحاكمين.

فقال لي: سأسأل عنه أبي وأخبرك.

بعد يوم من هذا اللقاء أخبرني بأنه ذهب لأبيه وذكر له أني أرشدته إلى موضع في تفسير الصافي يدّعي فيه الكاشاني أنّ قرآن المسلمين الذي بين أيدينا اليوم محرّف!

يقول: قبل أن أخبر أبي الموضع بالضبط، بادرني بإخباري عن رقم المجلد ورقم الصفحة والموضع بالذات، ثم قال لي: أخطأ الكاشاني في المسألة وانتهى الأمر.

---

(٣١) خصص الكاشاني في تفسيره الصافي المقدمة السادسة من مقدماته لإثبات تحريف القرآن، وعنون لهذه المقدمة بقوله (المقدمة السادسة في نبذ مما جاء في جمع القرآن، وتحريفه وزيادته ونقصه، وتأويل ذلك).

وبعد أن ذكر الروايات التي استدل بها على تحريف القرآن، والتي نقلها من أوثق المصادر الشيعية المعتمدة، خرج بنتيجة عبّر عنها بقوله: (والمستفاد من هذه الأخبار وغيرها من الروايات من طريق أهل البيت عليهم السلام أن القرآن الذي بين أظهرنا ليس بتمامه كما أنزل على محمد ﷺ بل منه ما هو خلاف ما أنزل الله، ومنه ما هو مغير محرف، وأنه قد حذف منه أشياء كثيرة منها اسم علي عليه السلام، في كثير من المواضع، ومنها لفظة آل محمد ﷺ غير مرة، ومنها أسماء المنافقين في مواضعها، ومنها غير ذلك، وأنه ليس أيضا على الترتيب المرضي عند الله، وعند رسول ﷺ)، ثم ذكر بعد هذا أن القول بالتحريف اعتقاد كبار مشايخ الإمامية قال: (وأما اعتقاد مشايخنا رضي الله عنهم في ذلك فالظاهر من ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني طاب ثراه أنه كان يعتقد التحريف والنقصان في القرآن، لأنه كان روى روايات في هذا المعنى في كتابه الكافي، ولم يتعرض لقدح فيها، مع أنه ذكر في أول الكتاب أنه كان يثق بما رواه فيه، وكذلك أستاذه علي بن إبراهيم القمي. رضي الله عنه. فإن تفسيره مملوء منه، وله غلو فيه، وكذلك الشيخ أحمد بن أبي طالب الطبرسي رضي الله عنه فإنه أيضا نسج على منوالهما في كتاب الاحتجاج).

فقلت للشاب: وأنت ما رأيك؟ أتوافق أباك فيما قاله؟

قال: نعم، الكاشاني أخطأ ونحن لا نوافقه.

فقلت له: القرآن هو المصدر الأول الذي يقوم عليه التشريع الإسلامي، والتشكيك فيه والقول بوقوع التحريف فيه هدم للدين، لو كنا نتكلم عن مسألة فقهية بسيطة لكفى أن تقول أخطأ وانتهى الأمر، أما أن يطعن الكاشاني في كتاب الله بهذه الصورة وتقول عنه أخطأ، فليس هذا بصحيح أبداً.

يا صاحبي، انس للحظات أنّ الكاشاني شيعي وانتصر لكتاب الله، إن لم يكن الطعن في كتاب الله والقول بزيادته أو نقصانه كفراً، فما هو الكفر؟

صمت ولم أشأ أن أحرجه وأثقل عليه، فأغلقت الموضوع، وبقيت معه زمناً أتناقش معه في أمور أخرى حتى فاجأني يوماً باعتذار على استيحاء يقول لي فيه بأنّ أحد السادة طلب منه أن لا يجالسني، لم أستفسر منه عن السبب لكني تفهمت وضعه وشكرته شكر مودع على أمل اللقاء به في يوم من الأيام.

رجعت من السيدة زينب محملاً بالكتب بعد شهر كامل قضيته في سوريا، وبت أتشوق إلى قراءة ما قدمت به من هناك، صحيح أني لشغفي بالقراءة قد تصفحت بعض هذه الكتب خلال فترة استجمامي هناك لكني كنت أنتظر بفارغ الصبر لحظة رجوعي إلى البلاد للبدء في البحث والقراءة الجادة.

في الحقيقة، لم تكن هذه الزيارة هي الاحتكاك الوحيد لي مع الشيعة، بل كنت كثير الأسئلة والنقاش، ناقشت مرة أحد علماء الشيرازية في الخلافة والإمامة في بيت قديم موقوف لعلماء الشيعة القادمين من إيران وغيرها من البلدان، وناقشت غيره في مكتبة شيعية، وآخر من البحرين وهكذا.

ولكثرة دخولي في النقاشات كان بعض أصحابي الذي يعرفون عني الاهتمام بالخلاف السني الشيعي حينما ألتقي بهم يسألوني عن آخر نقاشاتي.

على أي حال .. تولدت لي من هذه النقاشات قناعات كثيرة أبصرت بها حقائق جليلة عظيمة القدر تحتاج منك إلى قراءة متأنية بعين فاحصة، تطلب الحقيقة ولا ترتضي سواها.

في حب أهل البيت ...

(أحبونا حب الإسلام لله عز وجل فإنه
ما برح بنا حبكم حتى صار علينا عاراً)

الإمام علي بن الحسين

حب أهل البيت ..

كنت مستعداً لأن أكون شيعياً منذ الوهلة الأولى، إن كان الخلاف بين أهل السنة والشيعة الاثني عشرية أو غيرهم من فرق الشيعة خلافاً بين فئة تحب أهل البيت وبين فئة تبغضهم وتبخسهم حقهم.

لكن ما على هذا دار الخلاف ولا على هذا تحطم جسر العبور بين الفريقين بل على حقائق نطقت بها كتب الفريقين (السنة والشيعة)، وظهرت ملامحها واضحة المعالم في معتقد الفرقتين.

إنّ علماء الشيعة يدركون أن جُل الأحاديث التي يستدلون بها على مكانة أهل البيت وعلى رفعتهم هي أحاديث سنية ترويها كتب أهل السنة، ويدركون كذلك مدى إكبار أهل السنة لمقام أهل البيت وحفظهم لفضائلهم حتى إنّ الأحاديث النبوية المادحة لهم قد سُجلت ودوّنت في أصح كتبهم بدءً بالبخاري وانتهاء بأقل كتب الحديث عناية بالإسناد.

ومن يتصفح صحيحي البخاري ومسلم أو أي كتاب من الكتب الستة والمسانيد فإنه سيجد حتماً أبواباً بعضها في فضائل علي بن أبي طالب والحسن والحسين أو فاطمة وبعضها الآخر في فضائل بقية أهل البيت (العباس وابنه عبد الله، وجعفر بن أبي طالب وغيرهم)، إذن ما قضية الخلاف والكل يحب أهل البيت ويدعو إلى محبتهم ؟!

هل هي قضية (من الأولى بالخلافة أبو بكر أم علي)؟

لن تجد سنياً يرى حرجاً في تسلّم علي الخلافة بدلاً من أبي بكر، إذ كلاهما من الصحابة الأجلاء، أهل صلاح وتقى، ولولا إزراء الشيعة الاثني عشرية بمقام أبي بكر وطعنهم في الصحابة الذين بايعوه وفي حُسن اختيارهم لما كان للقضية كلها أدنى أهمية.

غير أنّ الخلاف بات متعدياً هذا الإطارِ بأميال وفراسخ، وبات بين عيني الفريقين أكبر من خلاف حول قضية فاضل ومفضول.

ثمة قضايا طرحتها الشيعة الاثنا عشرية إلى جانب قضية الخلافة والإمامة كانت ولا زالت سبباً في ظهور الشُقة بينها وبين أهل السنة.

الأئمة الاثني عشر معصومون ولا يُتصور فيهم السهو ولا النسيان!

للأئمة الاثني عشر ولاية تكوينية تخضع لها ذرات الكون !

إمامة الأئمة من الله، الله نصبّهم على العباد كما نصب الأنبياء والمرسلين !

غلو الشيعة الاثني عشرية بصفة عامة في أهل البيت ورفعهم إياهم إلى مصاف الأنبياء بل أكثر من هذا كما سنرى في استعراضنا لمرويات الشيعة في الأئمة.

القول بردة أغلب صحابة رسول الله وانقلابهم على أعقابهم!

هذه القضايا وقضايا أخرى عالقة في التاريخ جعلت الشيعة فيها خلاف الإمام علي مع غيره من الصحابة خلافاً بين كفر وإيمان !

حينئذ زادت الشقّة بين الفريقين ويات الخلاف فرقة وبغضاً وتنافراً حتى صار أهل السنة والشيعة الاثنا عشرية رفيقي درب ولكن . . على طريقين لا يلتقيان أبداً !

وصار يُنظر إلى أهل السنة على أنهم نواصب، يبغضون أهل البيت أو يتولون من يبغض أهل البيت!

ولذلك من السهل أن يُوصف من يجادل الشيعة الاثني عشرية في ما تطرحه من قضايا عقدية تجاه أهل البيت وتجاه خصومهم بأنه ناصبي مبغض لأهل البيت ! أو بأنه من حزب بني أمية ! أو من أحفاد يزيد!

ولن تجد مغالياً في الحب يرضى بحب من لم يكن مغالياً مثله.

ولذا مهما قرأ علماء الشيعة في كتب أهل السنة من ثناء عطر على أهل البيت أو إشادة بموقف أحد منهم فإنّ هذا لن يغير نظرتهم تجاه أهل السنة، طالما أنّ كاتب هذه الكلمات لا يدين الله بعقيدة الإمامة التي تنادي بها

الشيعة، ويضلل أبا بكر وعمر وعثمان وغيرهم ممن رضي بالخلافة أن تنتقل من أهل البيت إلى غيرهم!

كنت ولا زلت أتمنى لو أنّ الخلافة أعطيت لأهل البيت منذ تلك الفترة وأغلق الملف حتى لا يُصبح أهل البيت فيما بعد وسيلة لأهل الزعامات والتحزبات لاستحلاب الرزق السريع باسم الإسلام وباسم أهل البيت[٣٢] أو وسيلة لإلهاب مشاعر العامة وإثارة النعرات الطائفية حتى صارت ذكرى عاشوراء بيئة خصبة لشتم أصحاب رسول الله وانتقاصهم والتندر بهم أحياناً! وبيئة خصبة لإضفاء أجواء الغلو على كل ما يخص أهل البيت.

لكنه قدر الله عز وجل ... ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾... له سبحانه الحكمة البالغة التي نعجز عن فهمها بعقولنا البشرية القاصرة.

ولقد أرشدنا الله سبحانه وتعالى إلى أنه ما من أمر يأمر به عباده بفعله إلا كان للشيطان فيه حظان كلاهما حبيب إلى نفسه: إما غلو وإفراط وإما تقصير وتفريط.

---

(٣٢) حاول أيها القارئ أن تدرس قضية الخمس بإنصاف بدء بقراءة تفاسير جماهير المسلمين لآية الخمس ومقارنتها بتفاسير الشيعة الاثني عشرية، انتقالا إلى التنافس التاريخي بين نواب المهدي المنتظر على أموال الشيعة، ثم ما يحصل اليوم من تنافس بين الوكلاء والمرجعيات والأرصدة الخيالية لبعض الآيات، حتى إني حينما زرت السيدة زينب في سوريا لاقتناء الكتب واللقاء مع علماء ومفكري الشيعة قد فوجئت من كلام شاب عراقي التقيت به هناك، ودار بيني وبينه حديث عابر عن الخمس ذكر لي فيه أنّ هناك من الشيعة من يشكك في أموال ابن مرجع معروف يعيش في الغرب وأنّ أرصدته العالية إنما أتت من خمس الشيعة لا من أبيه الذي عُرف عنه الفقر، ولست هنا في موقف الاتهام لأحد أو حتى تبرأته لكنها قضية ذُكرت لي من شخص أتوسم فيه الصدق.

فهناك كلام كثير حتى بين الشيعة أنفسهم فيما يخص الخمس وجمعه ومن يجمعه وما هي مصارفه وإلى أين تذهب.

ولعل من أهم ما يُذكر في موضوع الخمس هو اعتراف أحد مدّعي النيابة عن القائم المنتظر واسمه (محمد بن علي الشلمغاني)، وكان إذ ذاك يتنافس مع أبي القاسم بن روح على النيابة عن القائم الغائب وأخذ الخمس من الناس فظفر أبو القاسم ولم تتسنى للشلمغاني فرصة الاقتيات على أموال الخمس فكان مما قاله: (ما دخلنا مع أبي القاسم الحسين بن روح إلا ونحن نعلم فيما دخلنا فيه، لقد كنا نتهارش على هذا الأمر كما تتهارش الكلاب على الجيف) المصدر: كتاب الغيبة للطوسي ص٢٤١

فإذا كان الناس في المسيح مثلاً ثلاثة: مبغض ذهب به البغض إلى وصف المسيح تارة بالساحر وتارة أخرى بالكافر أو ابن زنا - عياذاً بالله - (وهم اليهود المغضوب عليهم)، وصنف آخر غالى في المسيح حتى ادّعى أنه ابن لله وديّان الخلق يوم القيامة (وهم النصارى الضالون)، فإنّه بقي المسلمون على العقيدة الوسط بين غلو الغالين واتهام المبطلين ليقولوا: هو عبد الله ورسوله، الطاهر ابن الطاهرة وهو النبي المسدد من رب العالمين، آتاه الله المعجزات البيّنات ليظهره على الدين كله، لكنه مع علو مقامه ورفعة درجته لن يستنكف أن يكون عبداً لله عز وجل أو ليخرج عن المقام والمنزلة التي وضعه الله بها.

وليس حال أهل البيت من هذا الإطار ببعيد، فالبشر هم البشر والنظرات هي النظرات وإن تعددت الصور والشخصيات.

ولأقف هاهنا على رائعة من روائع الإمام علي وهو يصف الناس في نظراتهم له كإمام من أئمة أهل البيت إذ يقول: (وسيهلك فيّ صنفان: محب مفرط يذهب به الحب إلى غير الحق، ومبغض مفرط يذهب البغض إلى غير الحق، وخير الناس فيّ حالاً: النمط الوسط فالزموه، والزموا السواد الأعظم، فإنّ يد الله مع الجماعة وإياكم والفرقة فإنّ الشاذ من الناس للشيطان كما أنّ الشاذ من الغنم للذئب)[٣٣].

ولا يحتاج الأمر إلى التفكير في تلك الفرق الثلاثة التي تحدث عنها الإمام علي، إذ يظهر للمتمعن بالنص أنّ تلك الفئات الثلاث هي: الشيعة، النواصب، جمهور المسلمين (أهل السنة).

فإذا كان النواصب يمثلون جانب البغض والعداء لأمير المؤمنين علي (عليه السلام) حتى كفّروه واغتاله منهم ابن ملجم الأثيم، وإذا كان الشيعة الاثنا عشرية يمثلون جانب الغلو في الحب حتى قالوا بعصمة الإمام علي وكون

---

(٣٣) نهج البلاغة ص١٢٧ (ومن كلام له (عليه السلام) وفيه يبين بعض أحكام الدين ويكشف للخوارج الشبهة وينقض حكم الحكمين)

إمامته أعظم من إمامة الأنبياء سوى محمد عليه الصلاة والسلام!، فمن الواضح أنّ السواد الأعظم من المسلمين الذين هم النمط الوسط هم الذين أحبوا علياً وشهدوا له بالإيمان والصدق فقالوا هو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسيد أهل البيت وأفضل علمائهم، له من الفضائل والمآثر العظيمة ما له، فوصفوا خلافته وخلافة من سبقه من الخلفاء الثلاثة بأنها على منهاج النبوة، فأقروا بفضائله بخلاف النواصب، ولم يرتضوا الغلو فيه خلافاً للشيعة، وقالوا: لا عصمة لأحد بعد رسول الله ﷺ، و (نبي واحد خير من ألف ولي وصالح).

حديث الثقلين

منذ أن قرأت حديث الثقلين وقلبي معلّق بأهل البيت وبحبهم، وما زالت كلمات رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وهو يردد (أذكركم الله في أهل بيتي) تتأجج في أعماقي . . عند حادثة كربلاء وما حصل فيها من المآسي بمقتل الكثير من أهل بيت النبي عليه الصلاة والسلام على يدي المجرم الحاقد الظالم عبيد الله بن زياد وأخيه في الشر والظلم والمهانة شمر بن الجوشن.

عن زيد بن أرقم قال: قال النبي ﷺ: (أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه. ثم قال: وأهل بيتي، أُذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي. فقال له حصين: ومن أهل بيته.؟ يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهلُ بيته من حُرم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل عليّ، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس، قال: كل هؤلاء حُرم الصدقة؟ قال: نعم).[٣٤]

فحض النبي ﷺ في الحديث على رعاية أهل البيت وحبهم ومعرفة حقهم.

والمرؤ ليعتصر أسى أمام المشهد المخزي الذي صورته الأحداث مع يزيد وعبيد الله بن زياد وشمر بن الجوشن وعمر بن سعد ومسلم بن عقبة وأمثالهم من الظالمين الذين لم يراعوا قرابة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ولا صحابته فيما فعلوه في كربلاء بأهل البيت وفيما فعلوه بالصحابة وأبناء الصحابة في الحرة.

أين هؤلاء الجهلة الظلمة الذين باعوا آخرتهم بعرض من الدنيا قليل من

---

(٣٤) رواه مسلم

قول رسول الله (أذكركم الله أهل بيتي)؟، وكيف تتذكر هذه الوصية قلوب ران عليها ما تكسبه من الظلم والعدوان؟

اللهم إننا نبرأ إليك مما فعله المبطلون بأهل بيت نبيك ﷺ.

أيها القارئ . . الحديث عن هؤلاء المفسدين حديث ذو شجون . . يطول بنا بمقدار ما طالت آثارهم منذ ذاك الحين إلى يومنا هذا، ولعلي أقف عند هذه الفترة الهامة من التاريخ ببحث منفرد.

غير أنّ لي ها هنا وقفة مع حديث الثقلين الذين بين أيدينا . . . وقفة جديرة بالاهتمام . . . ليست كسائر الوقفات التي تناولت الحديث . . . وقفة مع التعرف على أهل البيت الذين أشار إليهم الحديث:

فالفئات المتمذهبة والمتناحرة فيما بينها قد ألجأها التعصب إلى تحديد أهل البيت بأشخاص دون آخرين . . . فنادى مناديهم برفع المظالم عن أهل البيت، في حين أنه يظلم أهل البيت مرات وكرات بحصره أهل البيت بأناس دون آخرين، فمنهم من حصر أهل البيت بأبناء الحسين بن علي بن أبي طالب دون أبناء الحسن بن علي بن أبي طالب مع أنّ كلا الإمامين من أهل البيت ومن نسل الإمام علي والسيدة فاطمة!

ومنهم من اعترف بدخول زوجات النبي عليه الصلاة والسلام في مسمّى أهل البيت إلى جانب أهل الكساء إلا أنهن لا يشغلن حيزاً في ضميره وولائه لقسوة في قلبه وجفاء في طبعه!

ومنهم من جعل أهل البيت اثني عشر رجلاً فقط! بلا بينة ولا دليل، وظلم بقية أهل البيت وسلبهم حقهم باسم التشيع لأهل البيت ورفع مظالمهم!

فأين أهل البيت من هذا وذاك . . . أظننا بحاجة إلى إعادة النظر في النصوص الشرعية لإدراك معنى أهل البيت بعيداً عن تعصبات المذهبيين واتجاهات الجاهلين.

لذلك أقول مستعيناً بالله:

يشير حديث الثقلين ذاته إلى مفهوم أهل البيت موضحاً أنّ أهل البيت هم أقرباء رسول الله ﷺ وزوجاته، ففي تتمة الحديث يقول زيد (نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حُرم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل عليّ، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس، قال: كل هؤلاء حُرم الصدقة ؟ قال: نعم).

ويقول عبد الرحمن بن أبي ليلى: لقيني كعب بن عجرة رضي الله عنه فقال: ألا أهدي لك هدية سمعتها من النبي ﷺ؟ فقلت: بلى، فأهدها لي، فقال: سألنا رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ فإنّ الله قد علمنا كيف نسلم عليكم، قال: قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد).[٣٥]

وقد علّم النبي صلوات الله وسلامه عليه صحابته عدة صيغ للصلاة على آله ذاكراً منها هذه الصيغة (قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد).[٣٦]

وإذا كان إطلاق مسمى (أهل البيت) على زوجات النبي ﷺ مذكوراً في الصلاة الإبراهيمية، فإنّ التصريح بكون نساء النبي ﷺ من آل بيته أوضح ما يكون في هذا الحديث الشريف.

---

(٣٥) رواه البخاري - كتاب الأنبياء - رقم ٣١٩٠

(٣٦) رواه البخاري - كتاب الأنبياء - رقم ٣١٨٩

عن أنس بن مالك أنه قال: (بنى النبي ﷺ بزينب بنت جحش بخبز ولحم، فأرسلت على الطعام داعياً **فخرج رسول الله ﷺ فانطلق إلى حجرة عائشة، فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله، فقالت: وعليك السلام ورحمة الله، كيف وجدت أهلك؟ بارك الله لك، فتقرى حجر نسائه كلهن، يقول لهن كما يقول لعائشة. . .)**(٣٧)

وفي حديث الإفك قال رسول الله ﷺ وهو على المنبرحاكياً اتهام عبد الله بن أبي سلول لأم المؤمنين عائشة بالزنا: (يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغ أذاه في **أهل بيتي فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً** ولقد ذكروا رجلاً (أي صفوان بن المعطل) ما علمت عليه إلا خيراً وما كان يدخل على أهلي إلا معي)(٣٨)

وفي أحاديث الشيعة الاثني عشرية ما يؤيد ذلك أيضاً:

روى الصدوق في الأمالي عن ابن عباس قال: قال علي عليه السلام لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، إنك لتحب عقيلاً، قال: إي والله، إني لأحبه حبين حباً له وحباً لحب أبي طالب له وإنّ ولده لمقتول في محبة ولدك فتدمع عليه عيون المؤمنين وتصلي عليه الملائكة المقربون ثم بكى رسول الله ﷺ حتى جرت دموعه على صدره ثم قال: إلى الله أشكو ما تلقى عترتي من بعدي)(٣٩).

فأثبت رسول الله بهذا الحديث أنّ عقيلاً وابنه من عترته عليه الصلاة والسلام.

وعن الحسين عليه السلام أنه قال بعد أن جمع ولده وإخوته وأهل بيته ونظر إليهم فبكى ساعة: اللهم إنا عترة نبيك.(٤٠)

---

(٣٧) رواه البخاري - كتاب التفسير - باب سورة الأحزاب رقم ٤٥١٥

(٣٨) رواه مسلم - كتاب التوبة - رقم ٤٩٧٤

(٣٩) أمالي الصدوق ص١٢٨ وبحار الأنوار ٢٢/ ٢٨٨، ٤٤/ ٢٨٧

(٤٠) بحار الأنوار ٤٤/ ٣٨٣

فلم يحصر الحسين العترة في نفسه وفي ولده زين العابدين بل عمم اللفظ لسائر من كان معه من أهل البيت.

وقد خاطب أحد الشيعة زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام قائلاً: (يا ابن رسول الله، ألست صاحب هذا الأمر؟ قال: أنا من العترة).(٤١)

وروى شيخ الطائفة الطوسي شهادة ولدي مسلم بن عقيل الصغيرين والتي فيها: (فقال له الغلام الصغير: يا شيخ، أتعرف محمداً؟ قال: فكيف لا أعرف محمداً وهو نبيي؟ قال: أفتعرف جعفر بن أبي طالب؟ قال: وكيف لا أعرف جعفراً وقد أنبت الله له جناحين يطير بهما مع الملائكة كيف يشاء، قال: أفتعرف علي بن أبي طالب؟ قال: وكيف لا أعرف علياً وهو ابن عم نبيي وأخو نبيي؟ قال له: يا شيخ، فنحن من عترة نبيك محمد ﷺ ونحن من ولد مسلم بن عقيل بن أبي طالب بيدك أسارى نسألك من طيب الطعام فلا تطعمنا و من بارد الشراب فلا تسقينا).(٤٢)

ومنها حديث أكثر صراحة في بيان العترة، فقد روى الأربلي عن زيد بن أرقم قال: سمعت رسول الله ﷺ يوم غدير خم يقول: إني تارك فيكم كتاب الله حبل ممدود من السماء من استمسك به كان على الهدى ومن تركه كان على الضلالة، وأهل بيتي، أذكركم الله عز وجل في أهل بيتي، أذكركم الله عز وجل في أهل بيتي، أذكركم الله عز وجل في أهل بيتي، قال: فقلت لزيد من أهل بيته؟ فقال: الذين لا تحل لهم الصدقة آل علي وآل عباس و آل جعفر و آل عقيل).(٤٣)

وقد أشار الأربلي إلى هذا في موضع آخر من كتابه فقال: (فإن قال قائل

---

(٤١) بحار الأنوار ٤٦/ ٢٠٢

(٤٢) الأمالي للصدوق ص ٨٣ وبحارالأنوار ٤٥/ ١٠٠ و١٠١

(٤٣) كشف الغمة ١/ ٥٤٩

فما حقيقة الآل في اللغة عندك؟، وقد بين رسول الله ﷺ حيث سئل فقال: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، فانظروا كيف تخلفونني فيهما، قلنا: فمن أهل بيته؟ قال: آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل عباس).[٤٤]

ويؤكد ذلك المفيد في كتابه العمدة فيقول: (ومن ذلك ما ذكره الثعلبي أيضاً في تفسير قوله تعالى ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾ يعني من أموال كفار أهل القرى ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ يعني قرابة النبي ﷺ، قال: وهم آل علي عليه السلام وآل العباس رضي الله عنه وآل جعفر وآل عقيل رضي الله عنهما ولم يشرك بهم غيرهم، **وهذا وجه صحيح يطرد على الصحة لأنه موافق لمذهب آل محمد صلى الله عليه وآله يدل عليه ما هو مذكور عندهم في تفسير قوله تعالى ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾** لأنّ مستحق الخمس عندهم آل علي (عليه السلام) وآل العباس رضي الله عنه وآل جعفر وآل عقيل (عليه السلام) ولا يشرك بهم غيرهم)[٤٥].

وروى الطبرسي في الاحتجاج (عن أبي المفضل محمد بن عبد الله الشيباني بإسناده الصحيح عن رجال ثقة أنّ النبي ﷺ خرج في مرضه الذي توفي فيه إلى الصلاة متوكئاً على الفضل بن عباس وغلام له يقال له ثوبان، وهي الصلاة التي أراد التخلف عنها لثقله ثم حمل على نفسه وخرج، فلما صلى عاد إلى منزله، فقال لغلامه: اجلس على الباب ولا تحجب أحداً من الأنصار وتجلاه الغشي وجاءت الأنصار فأحدقوا بالباب، وقالوا: استأذن لنا على رسول الله ﷺ، فقال: هو مغشي عليه وعنده نساؤه فجعلوا يبكون، فسمع رسول الله ﷺ البكاء، فقال: من هؤلاء؟ قالوا: الأنصار، **فقال: من هاهنا من أهل بيتي؟ قالوا: علي والعباس، فدعاهما وخرج متوكئاً عليهما).**[٤٦]

وعن سلمان الفارسي قال: كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه وآله

(٤٤) بحار الأنوار ٢٥/ ٢٣٧ نقلاً عن كشف الغمة في معرفة الأئمة للأربلي
(٤٥) العمدة للمفيد ص٦
(٤٦) الاحتجاج ١/ ٧٠ و بحار الأنوار ٢٨/ ١٧٦

في المسجد إذ دخل العباس بن عبد المطلب فسلّم، فردّ النبي ﷺ ورحّب به، فقال: يا رسول الله، بم فضل علينا أهل البيت علي بن أبي طالب والمعادن واحدة، فقال النبي: إذن أخبرك يا عم...إلخ.(٤٧)

وفي هذا الحديث إقرار من رسول الله للعباس بأنه من أهل البيت ثم إخبار له بسبب تفضيل علي بن أبي طالب عليه وعلى سائر رجال أهل البيت.

وعن الباقر عليه السلام قال: لما أمر العباس بسد الأبواب، وأذن لعلي عليه السلام بترك بابه، **جاء العباس وغيره من آل محمد** ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، ما بال علي يدخل ويخرج؟ فقال رسول الله: ذلك إلى الله فسلّموا له حكمه.(٤٨)

والشاهد هو قول الباقر (جاء العباس وغيره من آل محمد) وهو واضح جلي في دخول العباس وغيره في مسمى أهل البيت والعترة وعدم انحصار مسمى (آل محمد) بأصحاب الكساء أو بالأئمة الاثني عشر.

وعن ابن عباس قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم وهو آخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يقول: يا معشر الأنصار، يا معشر بني هاشم، يا معشر بني عبد المطلب، أنا محمد رسول الله، ألا إني خلقت من طينة مرحومة في أربعة من أهل بيتي أنا وعلي وحمزة وجعفر)(٤٩)

وروي عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: (ألا وإنّ إلهي اختارني في ثلاثة من أهل بيتي وأنا سيد الثلاثة وأتقاهم لله ولا فخر، اختارني وعلياً وجعفر ابني أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب كنا رقوداً بالأبطح ليس منا إلا مسجى بثوبه على وجهه).(٥٠)

---

(٤٧) إرشاد القلوب ٢/ ٤٠٣ وبحارالأنوار ٤٣/ ١٧

(٤٨) تفسير الإمام العسكري ص٢٠ وبحار الأنوار ٣٩/ ٢٥

(٤٩) الأمالي للصدوق ص٢٠٦ والخصال ١/ ٢٠٤ وقصص الأنبياء للجزائري ص٩٣ وبحار الأنوار ٧/ ٢٣١ و١١/ ٣٨٠ و٢٢/ ٢٧٤

(٥٠) تفسيرالقمي ٢/ ٣٤٧ وبحار الأنوار ٢٢/ ٢٧٧ و٣٥/ ٢١٤

وروي أنه قال في مرض موته للسيدة فاطمة (علي بعدي أفضل أمتي، وحمزة وجعفر أفضل أهل بيتي بعد علي).[٥١]

وفي غزوة بدر لما نُقل عبيدة بن حارث بن عبد المطلب إلى رسول الله جريحاً يحتضر قال: (يا رسول الله ألست شهيداً؟ قال: بلى، أنت أول شهيد من أهل بيتي).[٥٢]

أما في اللغة، فكلام علماء اللغة العربية أشهر من النار على العلم في بيان دخول زوجات الرجلِ في مسمى (أهل بيته).

يقول ابن منظور في كتابه لسان العرب: (أهل البيت: سكّانه، وأهل الرجل: أخص الناس به، وأهل بيت النبي ﷺ: أزواجه وبناته وصهره، أعني علياً عليه السلام)[٥٣]

ويقول الفيروز أبادي في القاموس المحيط: (أهل الأمر: ولاته، وللبيت: سكّانه، وللمذهب: من يدين به، وللرجل: زوجته كأهلته، وللنبي ﷺ: أزواجه وبناته وصهره علي رضي الله عنه)[٥٤]

ويقول الزبيدي في كتابه تاج العروس (والأهل للبيت سكانه ومن ذلك أهل القرى: سُكانها، والأهل للمذهب من يدين به ويعتقده، ومن المجاز: الأهل للرجل زوجته ويدخل فيه الأولاد، وبه فُسّر قوله تعالى ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾ أي زوجته وأولاده كأهلته بالتاء، والأهل للنبي ﷺ أزواجه وبناته وصهره علي أو نساؤه، وقيل أهله الرجال الذين هم آله ويدخل فيه الأحفاد والذريات، ومنه قوله تعالى ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾، وقوله

---

(٥١) كمال الدين ١/ ٢٦٤ وإرشاد القلوب ٢/ ٤٢٠ وبحار الأنوار ٢٨/ ٥٣

(٥٢) المناقب ١/ ١٨٨ وتفسير القمي ١/ وبحار الأنوار ١٩/ ٢٢٥ و١٩/ ٢٥٣

(٥٣) لسان العرب - حرف (اللام) ص٢٩٠

(٥٤) القاموس المحيط (باب اللام - فصل الهمزة) ص١٢٤٥

تعالى﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ و ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾)[٥٥]

ومما يؤكد دخول زوجات النبي عليه الصلاة والسلام في مسمى (أهل البيت) إضافة إلى الأحاديث النبوية وأقوال علماء اللغة، آيات القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

لقد سمّى الله في القرآن الكريم أزواج الأنبياء أهل بيته، فقال عز من قائل ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾[٥٦]، ومعلوم أنّ زوجته هي التي كانت معه وليس معهما أحد آخر.

وقال تعالى ﴿قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ . .﴾[٥٧]، والآية تحكي قول زليخا امرأة العزيز كما هو معلوم.

وقال تعالى أيضاً ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾، يقول القمي مفسراً الآية (. . فلما حال عليه الحول حمل موسى امرأته، وزوّده شعيب من عنده، وساق غنمه، فلما أراد الخروج قال له (شعيب): اذهب فقد خصّك الله بها، فساق غنمه فخرج يريد مصر، فلما صار في مفازة ومعه أهله أصابهم برد شديد وريح وظلمة وجنّهم الليل فنظر موسى إلى النار قد ظهرت كما قال الله ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾)[٥٨]

ويدخل في مسمى (أهل البيت) الإمام علي وابناه الحسن والحسين وأمهما فاطمة عليهم السلام جميعاً كما جاء في حديث الكساء الذي رواه مسلم عن أم المؤمنين عائشة أنها قالت: خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مُرحّل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل

(٥٥) تاج العروس ١٤/ ٣٦ طبعة دار الفكر ص١٩٩٤م.
(٥٦) سورة النمل آية ٧
(٥٧) سورة يوسف آية ٢٥
(٥٨) تفسير القمي ٢/ ١١٦-١١٧ سورة القصص

معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال: (﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾)[٥٩]

ويتلخص من هذا أنّ أهل البيت هم زوجات النبي ﷺ وآل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس.

ودعوى الشيعة الاثني عشرية أنّ أهل البيت هم اثنا عشر رجلاً (الإمام علي والحسن والحسين وتسعة من أبناء الحسين فقط) دعوى لا دليل عليها بل فيها ظلم بيّن لسائر أهل البيت.

ولذا جميع طوائف الشيعة مثل (الزيدية التي جعلت الإمامة فيمن خرج بالسيف من أبناء الحسن وأبناء الحسين، والإسماعيلية التي جعلت الإمامة من بعد جعفر الصادق في ابنه إسماعيل بن جعفر وبنيه، ومن قبلهم الكيسانية الذين جعلوا الإمامة في (محمد بن الحنفية) ابن علي بن أبي طالب وبنيه والفطحية الذين جعلوا الإمامة في عبد الله الأفطح بن جعفر الصادق) وغيرها من فرق الشيعة التي كانت تختلف فيما بينها بعد موت كل إمام.

كل هذه الفرق تدّعي اتباع أهل البيت دون سائر الناس، وتكفر أو تضلل بالتالي من يخالفها.

بل من الثابت وجود فرقة تدّعي بأن أهل البيت هم العباس وولده وهي فرقة (الرواندية)[٦٠] وتقول بإمامتهم دون باقي أهل البيت.

فالذين يدّعون أنّ الحديث نص على أنّ من تمسك بأهل البيت اعتصم من الضلالة ونجا يغالط نفسه ويغالط كذلك مفهوم الحديث الذي ينص على التمسك بكتاب الله ويأمر بحفظ حق أهل البيت وحبهم ومناصرتهم لا أن ينظر إليهم على أنهم عدلاء القرآن !

إنّ المخرج من الاختلاف الذي نشأ بين الشيعة أنفسهم قبل أهل السنة

---

(٥٩) صحيح مسلم مع الشرح - كتاب فضائل الصحابة - رقم ٢٤٢٤

(٦٠) راجع فرق الشيعة للنوبختي ص ٢٣و٣٣و ٦٨ والفرق بين الفرق للبغدادي ص٦٠ وكتاب عقائد الثلاث والسبعين فرقة لأبي محمد اليمني ج٢

إنما يكون باتباع الكتاب والسنة عن طريق العلماء الربانيين، من كان منهم من أهل البيت ومن لم يكن من أهل البيت لكنه من أهل العلم والتقى والورع.

وليعلم المؤمن أنه ليس كل أهل البيت مؤمنون بل منهم الكفار كأبي لهب ومنهم الضُلاّل وهذا أمر متفق عليه عند أولي الألباب، فمن ضم إلى الإيمان والصلاح قرابة إلى رسول الله ﷺ فعلى الرأس والعين وهو أولى بالحب والاتباع من غيره لكنه لا معصوم بعد محمد عليه الصلاة والسلام، إذ العصمة بعد كتاب الله لسنته عليه الصلاة والسلام وليس لأحد من بعده، ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾، فجعل الله عز وجل الرد في حالة الاختلاف إلى الله وإلى رسوله، ولو كانت العصمة لأحد بعد رسول الله لجعل الله الرد إليه، خصوصاً وأنّ الشيعة الإمامية تدّعي عصمة الأئمة الاثني عشر وأنّ الرد لا يكون إلا إليهم.

الوصية الخالدة

إنّ من أعظم الوصايا النبوية التي تعلق بها قلبي منذ الصغر هي وصية رسول الله ﷺ لابن عمه ابن عباس رضي الله عنهما.

يقول ابن عباس: (كنت ردف النبي ﷺ فقال لي: يا غلام إني محدثك حديثاً، احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، رفعت الأقلام وجفت الكتب، فلو جاءت الأمة ينفعونك بشيء لم يكتبه الله عز وجل لك لما استطاعت ولو أرادت أن تضرك بشيء لم يكتبه الله لك ما استطاعت)(٦١)

هذا الحديث بكل ما فيه من معاني سامية، من معنى التعلق بالله وحده والاستعانة يثير في نفس المؤمن عقيدة التوحيد الخالص التي ينادي بها القرآن الكريم، فالمسلم في صلاته يردد كل يوم خمس مرات على الأقل الآية ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ ليعلن إقراره بأنه لا معين إلا الله وأنه كعبد له لا يستعين إلا به وحده فهو عبد له والاستعانة في حقيقتها ضرب من العبودية لله عز وجل.

فالله وحده المعين لأنه الخالق المالك لكل شيء وهو المدّبر له الخاضع لسلطانه كل شيء ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٥٤﴾(٦٢) وما سواه من بشر ولو كانوا أنبياء ورسلاً أو ملائكة أو جناً أو غيرهم لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعاً ولا ضراً ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣﴾(٦٣) ذلك لأنهم عباد مخلوقون ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ

---

(٦١) مسند أحمد (مسند بني هاشم) حديث رقم ٢٦٢٧ والترمذي (صفة القيامة) حديث رقم ٢٤٤٠.

(٦٢) سورة الأعراف آية ٥٤

(٦٣) سورة فاطر آية ١٣

ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾(٦٤) وتشريف الله لأحدهم بالنبوة والرسالة ليس إلا لتبليغها للناس ولقيادته إياهم للعمل بها لا لعبادته وتقديسه بما هو فوق مستواه كبشر ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾.(٦٥)

والله يضرب المثل على ضعف ما سواه وأنّ المطلوب منه الحاجة كالطالب في ضعفه وهوانه على أن يأتي بشيء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾(٦٦) ثم يصف من يدعو غيره بقوله ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾(٦٧) وذلك حينما تضرعوا لغيره أو تضرعوا لغيره ليوصل دعاءهم له، وهو سبحانه مع ذلك يذكر أنّ من يدعونه اليوم سيتبرأ منهم غداً يوم العرض عليه يوم القيامة ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾(٦٨).

ولهذا يستنكر الله عز وجل على من يلتجأ بالدعاء إلى غيره ولو كواسطة

---

(٦٤) سورة الأعراف آية ١٩٤
(٦٥) سورة آل عمران آية ٧٩-٨٠
(٦٦) سورة الحج آية ٧٣
(٦٧) سورة الحج آية ٧٤
(٦٨) سورة فاطر آية ١٤

فعله هذا فيسأله طالباً منه الإجابة ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾(٦٩) وإذا كان سبحانه قريباً من عباده يفهم أحوالهم ويعرف حاجاتهم وهو الوحيد القادر على نجدتهم فكيف ينصرف العبد إلى سؤال غيره ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾(٧٠).

الدعاء هو العبادة

روى الكليني في الكافي والحر العاملي في وسائل الشيعة عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: (إنّ الدعاء هو العبادة)(٧١).

وعن أبي جعفر (عليه السلام) أنه قال (إنّ أفضل العبادة الدعاء)(٧٢).

وقد سئل الإمام الباقر (عليه السلام) (أي العبادة أفضل؟ فقال: ما من شيء أفضل عند الله عز وجل من أن يُسأل)(٧٣).

وعن أبي جعفر عليه السلام أنه (كان إذا أصبح قال: أصبحت وربي محمود، أصبحت لا أشرك بالله شيئاً، ولا أدعو معه إلهاً، ولا أتخذ من دونه ولياً)(٧٤).

---

(٦٩) سورة النحل آية ٦٢

(٧٠) سورة البقرة آية ١٨٦

(٧١) الكافي ٢/ ٣٣٩ كتاب الدعاء -باب فضل الدعاء والحث عليه، وسائل الشيعة ٧/ ٢٣ (أبواب الدعاء- باب الدعاء والحث عليه).

(٧٢) الكافي ٢/ ٣٣٨ كتاب الدعاء -باب فضل الدعاء والحث عليه

(٧٣) نفس المصدر

(٧٤) الكافي ٢/ ٣٨٨ كتاب الدعاء باب القول عند الإصباح والإمساء

وكان الإمام علي (عليه السلام) يقول: (طوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء)[٧٥].

وقد نص القرآن الكريم وهو كلام أصدق القائلين على أنّ الدعاء هو العبادة.

قال تعالى ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[٧٦] فسمّى الله في الآية الدعاء عبادة.

بل البيان أجلى وأظهر في قول الله تعالى عن إبراهيم (عليه السلام) ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ.. ﴾[٧٧]، فمن صرف الدعاء لغير الله تعالى فقد عبد غير الله، هذه حقيقة قرآنية جليّة لمن تدبرها ووعى معناها.

التوسل شيء ودعاء غير الله شيء آخر

كلما ناقشت بعض طلبة الحوزات حول الخلاف السني الشيعي وقلت لهم (اتقوا الله في الشيعة الذين يسيرون وراءكم ويثقون بكم وأنتم علماء المستقبل، كيف لكم أن تصمتوا عن تقرير علماء الشيعة الاثني عشرية للشرك في عقائد الناس وأنتم تتلون القرآن ليل نهار، وتتلمسون معانيه الداعية إلى إفراد الله وحده بالعبادة والدعاء، لماذا الصمت؟ بل الاستماته في الدفاع عن الباطل) كانت الإجابة: أنت لا تفرّق بين التوسل والشرك، وجميع المذاهب قد ذكرت التوسل فهل يعني ذلك أنهم كلهم كفار؟ الفكر الوحيد الذي يكفر المسلمين هو الفكر الوهابي .. إلى آخر هذا الكلام المعروف والمحفوظ بل والمعلّب أحياناً.

---

(٧٥) الكافي ٢/ ١٣ كتاب الإيمان والكفر باب الإخلاص
(٧٦) سورة غافر آية ٦٠
(٧٧) سورة مريم آية ٤٩

غير أنّ هذا الرد لا يُغني من الحق شيئاً . . . فالتوسل الذي اختلف علماء المسلمين في ثبوت الحديث فيه صحة أو ضعفاً وحول مشروعيته هو قول الرجل (اللهم اغفر لي بجاه نبيك) أو (اللهم إني أتوسل إليك برسول الله) أما أن يتوجه المسلم إلى رسول الله ﷺ أو غيره من المخلوقين قائلاً (يا رسول الله أغثني)، (يا صاحب الزمان أو يا كاظم اشفني) أو (يا علي أدركني) ثم يدّعي أنّ ذلك توسلاً فهذا ضحك على الذقون، وتسويغ للشرك في دين الله.

ولأفسح المجال لشاب شيعي - عراقي الأصل نيوزلندي الجنسية، شاء الله عز وجل أن أتعرف عليه بظروف لم تخطر لي على بال، فهو شاب مثقف ومتدين ومطّلع على كثير من الكتب السنية والشيعية حتى خلته طالباً من طلاب الحوزة، لكنه ليس كذلك.

تميز هذا الشاب بنبذ التعصب للموروث، والتحرر من كثير من أغلال المذهبية التي ما أنزل الله بها من سلطان والتي تعاني منها المذاهب على اختلاف ألوانها.

وقد طرح هذا الشاب بحكم معرفته بواقع بلده ومن خلال محيطه الشيعي طرحاً انتقد فيهِ موقف المراجع السلبي تجاه هذه الشركيات، واستغرب في مقاله تركيز المراجع على الفقه وأصول الفقه وتناسي العقيدة وحصر مضمونها فقط في الدفاع عن أهل البيت وإثبات الإمامة.

ويبدو أنّ صاحبي كان يتوقع أنّ كل الناس مثله ينطلقون من القرآن ولا ينطلقون من خلال مخزونهم المذهبي، ولذلك صُعق حينما رأى السهام تتخطفه وترميه بالضلالة.

يقول صاحبي في مقالته المعنونة بـ ((أدركني يا علي) في ميزان القرآن والعترة) ما نصه:

(هناك صيغتان من صيغ التوسل بالأنبياء و الأولياء و فيهما يقع الخلط بين الناس، الصيغة الأولى: هي صيغة التوسل بالجاه، كأن يقول القائل: (اللهم أدركني واكشف عني كربي بحق رسولك وآله) أو (اللهم إني أسألك بجاه رسولك وآله) وهي خطاب لله مباشرة، ولا كلام لنا عن هذه الصيغة وإن منعها بعض علماء المسلمين.

أما الصيغة الثانية فهي صيغة التوسل المباشر والاستغاثة المباشرة، كأن يقول القائل: (أدركني يا علي) أو (الغوث يارسول الله) هذه الصيغة منتشرة في مجتمعنا، سواءً بين عامتهم ومثقفيهم، فهي إذن ليست من طرح الخيال، بل هي واقع ملموس وفي عصرنا الحالي، لذا يحق لنا مناقشته.

من التبريرات التي أُلقيت حول هذه الصيغ هي أنها لطلب الشفاعة من الله لقضاء الحوائج وتفريج الكرب!

وهذا تبرير بعيد عن الحقيقة لعدة أسباب منها: أنه ليس في نص الصيغة ما يدل على طلب الشفاعة، لأنّ تلك صيغتها: (يا علي اشفع لي)! .. و(أدركني) غير (اشفع لي).. (أدركني) هي صيغة اليائس من حوله وقوته إلى حول وقوة من هو أقدر منه، أما (إشفع لي) فهي طلب الوساطة في أمرِ الحكمُ فيه لطرفٍ ثالث.

فدعاء (اشفع لي) فيه ثلاثة أطراف ؛ المستشفِع والمستشفَع به والمستشفَع عنده[(٧٨)]، أما دعاء (أدركني) ففيه طرفان فقط: المستغيث

---

(٧٨) قال تعالى ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ وقال تعالى ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ فأخبر الله تعالى بذلك أنّ الشفاعة لا تنفع إلا بشرطين:
الأول: إذنه سبحانه للشافع أن يشفع، الثاني: رضاه سبحانه عن المشفوع له.
وهذان الشرطان لازمان لكل شفاعة ترجى منفعتها، فأما الإذن: فهو إذن الله تعالى للشافع، ونكتة هذا القيد وسره صرف الوجوه إلى الله وإسلامها له، وتعلقها به، وترك تعلقها بغيره لأجل الشفاعة، لذلك يساق هذا بعد ذكر التوحيد وذكر ما يدل على عبادة الله وحده، وهذا الشرط لم يفهمه فئام من الناس، ظنوا أنّ الاستثناء يفيد إثبات الشفاعة مطلقاً، وطلبها من غير الله فعادوا لما ظن المشركون وقصدوه.
وحقيقتها أن الله إذا أراد رحمة عبده ونجاته أذن لمن شاء في الشفاعة رحمة للمشفوع فيه، وكرامة للشافع) هذه مفاهيمنا ص١٣٦-١٣٧

والمُستغاث به ولا واسطة بينهما، وكلا الصيغتين (إشفع لي أو أدركني) غير جائزة[٧٩] لأنها خطاب مباشر (لطلب تفريج الكرب أو قضاء حاجة) لمن لا يسمع الدعاء .. فإن قيل: أنّ الأنبياء والأئمة والأولياء إنما هم شهداء والشهداء أحياء ويشفعون لأوليائهم! نقول: نعم والله، إنهم لأحياء وإنهم لأهلٌ للشفاعة، ولكنهم أحياءٌ عند ربهم وليس عندنا أو بين ظهرانينا. لا يستطيعون سماعي وسماعكم وسماع هذا أو ذاك!

لأنّ هذه من صفات الله جلّ وعلا وهو الذي لا يشغله سمع عن سمع ولا يغلِطُهُ كثرة السائلين وهو أقرب إلينا من حبل الوريد ... ولم يبلغنا أنّ الله تعالى مكّنَ الأنبياء والأولياء من سماع نداء المستغيثين ولا أنه قد منحهم بعضاً من صفاته!

لا جرم ولا جدال أنهم أهل الشفاعة عند الله بعهد الله وميثاقه، فإن كنا نبغي الشفاعة بقولنا (يا علي اشفع لي) فالأولى تأدباً مع الله أن نطلب الشفاعة منه مباشرة ونقول: (اللهم شفّع فيّ رسولك) أو (شفّع فيّ علياً).

---

(٧٩) اختصاص الله بالشفاعة اختصاص ملك كما قال عز من قائل ﴿قل لله الشفاعة جميعاً﴾، ومعنى ذلك أنه ليس لأحد من الخلق شفاعة إلا من أخبر الله أنّ له شفاعة مقيدة بقيود، فالله جل وعلا هو مالكها يأذن لمن شاء أن يشفع، في من رضي أن يشفع فيه، فالشفاعة ليست ملكاً مطلقاً لأحد، لأنّ المالك له التصرف فيما يملكه، وإنما حقيقة الشفاعة أنها لله وحده، لكنه سبحانه يأذن لمن شاء أن يأذن له وفي هذا تمام صرف القلوب إلى خالقها وحده مالك الشفاعة، وعلى هذا دلت الآية في الزمر قال تعالى ﴿أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون. قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السماوات والأرض ثم إليه ترجعون﴾.

والشفاعة أعطيت للأنبياء والصالحين يوم القيامة مع شرط الإذن والرضي من الله تعالى، لا إعطاء مطلقاً، والأحاديث النبوية الصحيحة هي في الشفاعة يوم القيامة لا في الحياة البرزخية.

ففي الحياة البرزخية لا يجوز أن يسأل أحدٌ ميتاً الشفاعة، لأنهم لا يملكونها في الحياة البرزخية حتي ولا ملك انتفاع، لأنهم قد أفضوا إلى ما قدموا.

والنبي صلوات الله وسلامه عليه الذي أخبر بأنه سيشفع يوم القيامة، لم يخبر بأنه في قبره يشفع! ولا يوجد دليل صحيح ولا ضعيف في ذلك). هذه هي مفاهيمنا ص١٤٦-١٤٧ بتصرف

هذا فيما يخص دعاء أو صيغة (اشفع لي) وهي أخف وطأة من صيغة (أدركني)، غير أنه لم يمر علينا فيما مضى صيغة (اشفع لي يا علي) بين أوساط الشيعة بل صيغة (أدركني يا علي) هي المهيمنة وهي التي جرت على ألسن الناس، وهنا الطامة الكبرى.

الاستغاثة في ميزان القرآن

من غير الصحيح القول بأن الشيعة الذين يتحدثون بطريقة (أدركني يا علي) يقصدون توجيه الخطاب إليه أن يدركهم بالشفاعة مثلاً، فليس في ذلك ما يدل عليها ولا توجد قرينة ولا بينة لذلك، وليسأل أحدنا نفسه:

ساعةَ أن يردد (أدركني يا علي) هل يفكر في الله أم يفكر في علي؟! .. ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾(٨٠)! ولا يمكن تبرير هذه الصيغ وإسنادها إلى النيات، لأنّ النية غير كافية إذا كان العمل غير مشروع!

يقص لنا القرآن أخبار الأمم السابقة ليس على سبيل التسلية بل للعبرة و الاتعاظ والنهي عن التشبه بأفعال أهل الضلال لئلا ننتهي إلى ما انتهوا إليه ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(٨١) وقوله ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾(٨٢).. والله قص خبر المشركين وأخبر عن نياتهم بأنها التقرب إلى الله زلفى، وأنّ هذه الأوثان إنما هم شفعاؤهم عند الله ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾(٨٣) فما علتهم إذن؟ هل كان الاعتراض على أنهم لم يوفقوا في اختيار الشفيع أم على أسلوب الشفاعة؟ ... ولكن

---

(٨٠) سورة الأحزاب آية ٤

(٨١) سورة يوسف آية ١١١

(٨٢) سورة الحشر آية ٢١

(٨٣) سورة يونس آية ١٨

مهلاً . . . قد يقول قائل هنا: كيف نقارن بين المشركين والمؤمنين الذين آمنوا بالله ورسوله وكتابه وأقاموا الصلاة؟!

والجواب هو أننا لا نقارن وإنما نبينُ الأمرَ كَي لا نقع فيه، ألم يقل الله تعالى مخاطباً المؤمنين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾(٨٤)، كيف خاطبهم بصيغة الإيمان ثم شَبَّه فعلهم بفعل الكافرين؟!

إنها صيغة تحذير من التشبه بأفعال الكافرين، لأنّ الشيطان يسير بخطوات ولا يستطيع أن ينقل المؤمن إلى النقيض بخطوة واحدة، يقول احذروا هذه الخطوة لأنّ بعدها خطوة وبعدها خطوة وهكذا .. هذا هو أسلوب القرآن .. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ .. ونحن نقول يا إخواننا لا تكونوا كالذين أشركوا في اتباعهم الأسلوب الخطأ في الدعاء إلى الله، لأنّ دعاء غير الله إشراك به، قال تعالى ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ..

وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾
إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ
وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ
وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾(٨٥)

﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾(٨٦)

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾(٨٧)

---

(٨٤) سورة آل عمران آية ١٥٦
(٨٥) سورة فاطر آية ١٣-١٤
(٨٦) سورة الإسراء آية ٥٦
(٨٧) سورة النمل آية ٦٢

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾(٨٨)

وفي هذا ردٌ على الذين ·عمون أنّ نهي القرآن إنما جاء عن الأصنام فقط! والقرآن مليء بهذه الآيات وأمثالها.

ليست هذه مسألةٌ فقهية تعتمد أسس الاستنباط أو تحتاج إلى ذوي الاختصاص حتى يُخْتَلَف في تأويلها وتفسيرها، هذه من صلب عقيدة التوحيد التي لم يجعل القرآن فيها مجالاً للشك أو التأويل لأنها حجة على الخلق أجمعين، وآياتُ اللهِ تصرّح في كل موضع وفي كل سورة؛ أنّ الذين تدعون من دون الله لا يسمعونكم ولا يستجيبون لكم فأخلصوا الدعاء لله وحده:

﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾(٨٩)

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾(٩٠)

﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾(٩١)، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾(٩٢)

﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾(٩٣)

﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾﴾(٩٤)

---

(٨٨) سورة الأعراف آية ١٩٤
(٨٩) سورة الأنعام آية ٤١
(٩٠) سورة الأعراف آية ٢٩
(٩١) سورة الأعراف آية ٥٥
(٩٢) سورة الأعراف ١٨٠
(٩٣) سورة الرعد آية ١٤
(٩٤) سورة الشعراء آية ٧٢

﴿وَٱللَّهُ يَقْضِي بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾﴾[٩٥] سميعٌ لنداء المضطرين والمكروبين .. بصيرٌ بحالهم !

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[٩٦]

﴿هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[٩٧]

هو الحي وغيره يموت!

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾﴾[٩٨]، ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّي﴾[٩٩]

إنَّ قضية يطرحها القرآن بهذه الكثافة وهذا الوضوح لا يمكن أن تخضع لآراء واجتهادات البشر، قال تعالى ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ ؟![١٠٠]

لأنها قضية تكفل بالأجابة عنها وتوضيحها القرآن، وهي واضحة وضوح الشمس في وضح النهار ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ ... (لا تَدعُوا) ومصدرها الدعاء ولم يقل (لا تَدَّعوا) ومصدرها الادِّعَاء ... (مَعَ اللهِ أحَدًا)، لا مَلَكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً ولا ولياً مُشفعاً، هذه مسألة خالصة لله، الدعاء مُخُّ العبادة، والاعتماد على النيات ليس هنا موضعه، وإنما تبرز أهمية النية فيما لو كان العمل صالحاً مشروعاً والنية مُختَلَفٌ فيها.

كأن يتصدق رجلٌ بصدقة، فإن كانت نيته لله أُجرَ عليها و أُثيب، وإن كانت لغير الله لم يؤجر، لكنه لا يعاقب أيضاً وإنما فاته أجر هذا العمل؛ رجل

(٩٥) سورة غافر آية ٢٠
(٩٦) سورة غافر آية ٦٠
(٩٧) سورة غافر آية ٦٥
(٩٨) سورة الأحقاف آية ٥
(٩٩) سورة الجن آية ٢٠
(١٠٠) سورة الجاثية آية ٦

شارك في معارك الجهاد، فإن كانت نيته خالصة لأعلاء كلمة الله أُثيبَ على جهاده، وإن كانت لحسابات دنيوية أخرى لا ثواب له ولا عقاب وإنما فاته أجر هذا العمل؛ رجل صام رمضان، إن كان صيامه إيماناً واحتساباً أُثيب، وإن كان لتخفيف الوزن لم يُثب ولم يعاقب أيضاً بل فاته أجر هذا العمل، هنا النية هي الفيصل لأنّ العمل صالح ومشروع.

لكن قضية (أدركني يا علي) إن كانت لغير الله فقد وقع في ظلم الشرك وحبط عمله كله! وإن كانت نيته أن يدعو الله بهذا الدعاء فقد أساء الأدب مع الله وتكلم بهراء.

كان المشركون يعلمون تماماً من خلق السموات والأرض ومن يخرج الحي من الميت ومن يدبر الأمر، قال تعالى ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾(١٠١)

فما علتهم إذن إذا كانوا يعلمون كل هذا ؟! لماذا منعوها رسولَ الله ؟ لأنهم لم يعملوا بما علموا.

لم يعصم الله هذه الأمة من الوقوع في الشرك، ألم يقل بأبي هو وأمي ﷺ: (لتتبعُنَّ سَنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع)؟!

فخطوات الشيطان كثيرة، تبدأ من تخفيف حدة العبادة وتقليل النوافل وتنتهي بالإشراك بالله والعياذ بالله.

هؤلاء الناس لشدة حبهم لرسول الله ولأهل بيته عليه وعليهم السلام اندرجت هذه الألفاظ على ألسنتهم دون أن يعوا خطرها العقائدي، هؤلاء لا يعرفون الخطوط الحمراء بين الله وبين أوليائه لضعف علاقتهم بالقرآن من جهة ولوجود تلك الطبقة التي تعيش على لعق الدين ما بقي يدرّ عليهم معايشهم على حسب تعبير سيد الشهداء الحسين من جهة أخرى.

---

(١٠١) سورة يونس آية ٣١

إنّ الله بين لنا في قرآنه التناقض الشديد الذي يقع فيه الإنسان حين تدهمه الكرب والملمات حيث يلجأ بفطرته التي فطره الله عليها، فيدعو الله وحده ويخصه بالدعاء وحده، حتى إذا ما كشف الكرب عنه أعرض وجعل لله أنداداً، وكل شيء يضعه الإنسان بديلاً أو شريكاً لله فهو ندّ له، من دون فرق بين كون ذلك الند ملكاً أو نبياً أو ولياً أو صنماً!

يقول تعالى ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيۡهِ﴾ هذا هو دعاء الفطرة ! ثم يقول ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعۡمَةٗ مِّنۡهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادٗا﴾(١٠٢)

﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَانَا﴾ هذا هو دعاء الفطرة ! ثم يقول ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلۡنَٰهُ نِعۡمَةٗ مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمِۭ﴾(١٠٣)

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ﴾(١٠٤) هذا هو دعاء الفطرة، ثم يقول ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾(١٠٥)

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾(١٠٦)

﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾(١٠٧)

---

(١٠٢) سورة الزمر آية ٨
(١٠٣) سورة الزمر آية ٤٩
(١٠٤) سورة الإسراء آية ٦٧
(١٠٥) سورة الإسراء آية ٦٧
(١٠٦) سورة الأنعام آية ٤٠، ٤١
(١٠٧) سورة يونس آية ٢٢

﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾(١٠٨)

﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾(١٠٩)

﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾﴾(١١٠)

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ﴾(١١١)

﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾(١١٢)

ولم يترك الله هذه القضية العقدية للفقهاء حتى يختص بها أهل العلم لأنها حجته على الناس جميعاً، بل بينها في أغلب مواضع القرآن وشدد عليها أكثر مما شدد على الصلاة!

كيف يستقيم الإخلاص لله إذا اشترك معه غيره في الدعاء؟! أم كيف يكون الانقطاع الى الله إذاً إذا دعونا أحداً سواه؟! أم كيف تكون مناجاة الله والتضرع له الذي أمرنا به ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ .. إنّ أعظم الخلق قدراً ومنزلة هو رسول الله ﷺ، وأهل بيته وأصحابه هم أعلم الناس بأمره وقدره وأطوع الناس له ولم يكن يأمر أحداً منهم عند الفزع أو الكرب أو الخوف أن يستغيث به فيقول ياسيدي يا رسول الله أغثني!

---

(١٠٨) سورة العنكبوت آية ٦٥
(١٠٩) سورة لقمان آية ٣٢
(١١٠) سورة الأنعام آية ٦٣
(١١١) سورة يونس آية ١٢
(١١٢) سورة الروم آية ٣٣

وهو الذي ما ترك طريقاً للفلاح والخير والرشاد إلا ودل أمته إليه، بل كان يأمرهم بذكر الله ودعائه، وروي عنه أنه علم ابنته الزهراء عليها السلام أن تقول (يا حي يا قيوم يا بديع السماوات والأرض لا اله إلا أنت برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا إلى أحدٍ من خلقك) . .

إنّ الذي يملك الضر والنفع هو الله وحده، وأمرنا أن نتوجه إليه بعد أن نأخذ بالأسباب المتاحة لنا على قاعدة " اعقلها وتوكّل " . .حتى إذا عجزت أسبابنا توجهنا إلى خالق الأسباب ومسببّها، لقد أمر اللهُ تعالى مريمَ البتول عليها السلام حينما أجاءها المخاض الى جذع النخلة أن تهز جذع النخلة لتسقط عليها رطباً ! فهل رأيت إنساناً هزّ نخلة من قبل لتسقط عليه رطباً؟! ناهيك عن هذه المرأة الضعيفة وهي بعدُ في أضعف حالاتها بعد آلام الوضع ! إنه الأخذ بالأسباب ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾[١١٣].

ما هي معالم التوحيد في الإسلام ؟ ما هي مدلولات لا إله إلا الله التي حاربها ويحاربها الناس؟ إنها لربط الإنسان مطلقاً بخالقه وإخراجه من عبودية غيره، إنّ (لا إله إلا الله) لا تعني فقط (لا خالق إلا الله)، فهذه يعرفها حتى الذين يحاربون الإسلام!

إنّ لها أبعاداً لم يألفها البشر إلا في مناهج الرسل التي دأب البشر على تحريفها وتشويهها بما ينسجم مع تصوراتهم المادية المحدودة، فاخترعوا الوسطاء بين الله وبين خلقه ! . . وما قصة قوم نوح إلا مثالاً واضحاً عن كيفية تحول فئة من أولياء الله كـ (ودّ) و (يغوث) و (يعوق) و(نسر) إلى آلهة تعبد وترتجى من دونه مع تعاقب الأجيال، وها هي تصورات النصارى وعقائدهم في بنوة المسيح التي اخترعها لهم (بولس) لتماشي عقائد الرومان في الآلهة !

لا إله إلا الله تعني لا معبود في الكون يستحق أن يعبد إلا الله، لا رازق إلا الله، لا مدبر إلا الله . .

---

(١١٣) سورة الأنفال آية ١٧

لا نخشى إلا الله، لا نتوكل إلا على الله، لا نرجو إلا الله، لا نخاف إلا الله . .

لا نلجأ إلا إليه، ولا نتضرع إلا إليه . .

لا نرفع أكفنا بالدعاء إلا إليه، فنقول (يا رب أغثنا وأدركنا بلطفك)، ولا نرفع أيدينا فنقول (يا علي أدركنا)!

لا نرفع أيدينا لغيره، لا لأنبيائه ولا لأوليائه ! لأنّ حقهم علينا ليس دعاؤهم والاستغاثة بهم، بل اتباع أثرهم والاقتداء بنهجهم والصلاة عليهم، وهذا هو السبيل لنصرتهم وهذا هو ما يفرحهم ويعطي ثمرة جهادهم ودمائهم . .

أرسل الله الرسل ليطاعوا . . لا ليستغاث بهم! ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾(١١٤).

أرسلهم الله ليكونوا واسطة التبليغ عنه، لا ليكونوا واسطة التبليغ إليه !

هم رسل الله إلينا، وليسوا رسلنا إلى الله !

هم يبلغوننا ما يريده الله منا، ولا يبلغون الله ما نريده منه! هو الذي يسمع دعاء الخلائق وتضرعهم وليس بينه وبين دعائهم حجاب ! . .

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾(١١٥)

وتحت عنوان (شبهات حول بعض الآيات) قال صاحبي: (يتوهم البعض ورود بعض الآيات القرآنية التي تبيح أو تشير إلى مشروعية الاستغاثة بالنبي وأهل بيته عليه (وعليهم السلام)، منها قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾(١١٦) والوسيلة تأتي بمعنى

---

(١١٤) سورة النساء آية ٦٤

(١١٥) سورة ق آية ١٦

(١١٦) سورة المائدة آية ٣٥

الدرجة وبمعنى القربة بالطاعات، وقد أجمع على هذا كبار المفسرين من السنة والشيعة.

يقول ابن كثير في تفسيره: (يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين بتقواه وهي إذا قرنت بطاعته كان المراد بها الانكفاف عن المحارم وترك المنهيات وقد قال بعدها" وابتغوا إليه الوسيلة " قال سفيان الثوري: عن طلحة عن عطاء عن ابن عباس أي "القربة" وكذا قال مجاهد وأبو وائل والحسن وقتادة وعبد الله بن كثير والسدي وابن زيد وغير واحد وقال قتادة أي "تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه" وقرأ ابن زيد" أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة" وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف بين المفسرين فيه).

ويقول: (والوسيلة هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود، والوسيلة أيضاً علم على أعلى منزلة في الجنة وهي منزلة رسول الله - ﷺ - وداره في الجنة وهي أقرب أمكنة الجنة إلى العرش، وقد ثبت في صحيح البخاري من طريق محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: "من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته إلا حلت له الشفاعة يوم القيامة " "حديث آخر" في صحيح مسلم من حديث كعب عن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله سمع النبي - ﷺ - يقول: " إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشراً ثم سلوا لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة ".[(١١٧)]

ويقول القرطبي: (و(الوسيلة) القربة التي ينبغي أن يطلب بها، والوسيلة درجة في الجنة، وهي التي جاء الحديث الصحيح بها في قوله عليه الصلاة والسلام: (فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة).[(١١٨)]

---

(١١٧) تفسير القرآن العظيم ٢/ ٥٣

(١١٨) الجامع لأحكام القرآن ٦/ ١٥١

ويقول عنها الطبرسي في مجمع البيان: (أي اطلبوا إليه القربة بالطاعات)[١١٩]، وفي جوامع الجامع ١/٣٢٧: (كل ما يتوسل إليه من الطاعات وترك المقبحات).

وفي تفسير شُبّر: (أي ما تتوسلون به إلى ثوابه من الطاعة).[١٢٠]

وللطباطبائي في الميزان: (حقيقة الوسيلة الى الله تعالى مراعاة سبيله بالعلم والعبادة، وتحري مكارم الشريعة، وهي كالقربة ... ولا رابط يربط بين العبد وربه إلا ذل العبودية، فالوسيلة هي التحقق بحقيقة العبودية وتوجيه وجه المسكنة والفقر إلى جنابه تعالى. فهذه هي الوسيلة الرابطة).[١٢١]

وللسيد محمد الحسيني الشيرازي في تقريب القرآن ٦/ ٨٣: (﴿وَابْتَغُوا﴾ أي اطلبوا ﴿إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ﴾ السبب الذي يقرّبكم إليه سبحانه من فعل الخيرات والأعمال الصالحة).

فهذه كلها تقول إنّ الوسيلة هي طاعة الله ولا تعني بأية حال اتخاذ الأئمة والأولياء كوسائط ووسائل إلى الله.

أما قوله تعالى ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾[١٢٢] فقد قال جمهور المفسرين: إنّ المقصود من الآية هو أن هؤلاء الصالحين الذين يدعوهم المشركون، أقربهم الى الله يبتغي الوسيلة إليه بالطاعة والقربة، فكيف بغير الأقرب! كما قال بذلك الطبرسي في جوامع الجامع والكاشاني في الصافي وغيرهم.

---

(١١٩) مجمع البيان ٢/ ١٨٩
(١٢٠) تفسير شبر ١/ ١١٢
(١٢١) تفسير الميزان ٥/ ٣٥٥
(١٢٢) سورة الإسراء آية ٥٦- ٥٧

وللسيد محمد حسين فضل الله تعليقاً جميلاً يقول فيه: (لا واسطة بين العبد وربه في خطابه وسؤاله له:

وقد نلاحظ في التوجه الإنساني بوحدانية العبادة والاستعانة.. في خطاب العبد لربه في هذه الآية الكريمة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.. أنّ الإنسان لا يحتاج في حديثه مع الله وفي طلبه منه إلى أية واسطة من بشر أو غيره، لأنّ الله لا يبتعد عن عبده ولا يضع أي فاصل بينه وبينه.. إلا ما يضعه العبد من فواصل تبعده عن مواقع رحمته، وتحبس دعاءه عن الصعود إلى درجات القرب من الله.. بل أراد لعباده أن يدعوه بشكل مباشر ليستجيب لهم، وحدثهم عن قربه منهم بحيث يسمع كلامهم حتى لو كان بمثل الهمس أو في مثل وسوسة الصدور، وذلك قوله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ (البقرة ١٨٦) وقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ (سورة ق١٦)).[١٢٣]

الاستغاثة في ميزان العترة الطاهرة

لقد ترك الأئمة تراثاً من الأدعية تُكتب بحروف من ذهب على صفحات من نور، وقد بلغوا الذروة في أساليب التوسل والتضرع إلى الله لم يسبقهم إليها أحد ولم يأت بشبيه لها من بعدهم أحد، وهذه أدعية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وصحيفة الإمام السجاد عليهما السلام بين أيدينا وليس فيها صيغة استدراك أو سؤال لغير الله، فهل فاتهم سؤال رسول الله ﷺ وطلب الاستدراك منه ؟! ونحن نقرأ دعاء (كُمَيل) كل حين، فهل نقرأه لأننا معجبون بشخصية الإمام عليه السلام أم للتدبر بهذا التراث الخالد؟ بماذا توسل الإمام في بداية دعائه؟ برحمة الله وقوته وجبروتهِ وقدرتهِ وعظمتهِ وأسمائهِ ونور وجهه

(١٢٣) تفسير من وحي القرآن: الطبعة الأولى، ج ٢٥ ص ٦٥ . ٦٦ .

وصفاتهِ، وخطابهُ ومناجاتهُ كلها للهِ وحده ولم يسأل أحداً غيره، ولو جاز ذلك لكان هو الأولى بسؤال رسول الله ﷺ وهو الأخلص نية والأصفى قلباً! يقول الإمام علي بن أبي طالب يصف لنا آداب التوسل والدعاء:

(إنّ أفضل ما توسل به المتوسلون إلى الله سبحانه وتعالى الإيمان به وبرسوله والجهاد في سبيله فإنه ذروة الإسلام، وكلمة الإخلاص إنها الفطرة، وإقامة الصلاة فإنها الملة، وإيتاء الزكاة فإنها فريضة واجبة، وصوم شهر رمضان فإنه جُنة من العقاب، وحج البيت واعتماره فإنهما ينفيان الفقر ويرحضان الذنب، وصلة الرحم فإنها مثراة في المال ومنسأة في الأجل، وصدقة السر فإنها تكفر الخطيئة، وصدقة العلانية فإنها تدفع ميتة السوء، وصنائع المعروف فإنها تقي مصارع الهوان). [١٢٤]

ويقول الإمام السجاد الذي سطّر أخلص وأصفى تعابير التوسل والاستغاثة في أدعيته، يقول في الدعاء الذي رواه عنه أبو حمزة الثمالي:

(.. والحمد لله الذي أناديه كلما شئت لحاجتي، وأخلو به حيث شئت لسري .. بغير شفيعٍ، فيقضي لي حاجتي.. الحمد لله الذي لا أدعو غيره، ولو دعوت غيره لم يستجب لي دعائي ..) !!

والحمد لله الذي لا أرجو غيره، ولو رجوت غيره لأخلف رجائي.

ويقول في مناجاة المطيعين: (ولا وسيلة لنا إليك إلا أنت) !!

ويقول أيضاً: (أنت المدعو للمهمات وأنت المفزع في الملمات) !!

ويقول أيضا: (لا يشركك أحد في رجائي ولا يتفق أحد معك في دعائي ولا ينظمه وإياك ندائي) !!

ويقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

عجبت لمن أدركه الهمُّ.. ولم يفزع إلى قول الحقّ سبحانه:

---

(١٢٤) نهج البلاغة ص١٦٣ ووسائل الشيعة ١٣/ ٢٨٨

﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٧﴾ فإني سمعت الله بعقبها يقول ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٨٨﴾(١٢٥)

وعجبت لمن أدركه الخوف .. ولم يفزع إلى قول الحق سبحانه وتعالى:

﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ۝١٧٣﴾(١٢٦) فإني سمعت الله بعقبها يقول ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ﴾(١٢٧)

وعجبت لمن خاف المكر ولم يفزع إلى قول الحق سبحانه وتعالى ﴿وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾(١٢٨) فإني سمعت الله بعقبها يقول ﴿فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾.

إنّ تَشَيُّعَنا للإمام (عليه السلام) ليس لشخصه ولا لنسبه، وإنما للعقيدة التي آمن بها وللفكر الذي حمله وللنهج الذي انتهجه باعتباره المرآة الحقيقية لنهج رسول الله ﷺ ولعقيدة التوحيد الخالص في الأسماء والصفات والأفعال، سطرها ربنا في قرآنه وبينها رسوله ﷺ وجاهد عليها الأئمة (عليهم السلام) و بذلوا أنفسهم دونها، (أدركني يا علي) لا تكشف الضرّ .. ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٨٣ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖ﴾(١٢٩)

---

(١٢٥) سورة الأنبياء آية ٨٧-٨٨
(١٢٦) سورة آل عمران آية ١٧٣
(١٢٧) سورة آل عمران آية ١٧٤
(١٢٨) سورة غافر آية ٤٤
(١٢٩) سورة الأنبياء آية ٨٣

شبهات حول بعض الأحاديث

يستشهد الذين يرون جواز التوسل والاستغاثة بالأنبياء مباشرة بحديث الأعمى الذي سأل رسول الله ﷺ أن يدعو اللهَ له ليرد إليه بصره، روى الحديث أحمد في مسنده عن عثمان بن حنيف أنّ رجلًا ضريراً أتى النبي ﷺ فقال: يا نبي الله، ادع الله أن يعافيني، فقال: إن شئت أخرت ذلك فهو أفضل لآخرتك، وإن شئت دعوت لك، قال: لا، بل ادع الله لي، فأمره أن يتوضأ وأن يصلي ركعتين، وأن يدعو بهذا الدعاء (اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه فتقض وتشفعني فيه وتشفعه فيّ، قال: فكان يقول هذا مراراً ثم قال بعد (أحسب أنّ فيها أن تشفعني فيه)، قال: ففعل الرجل فبرأ).

وفي رواية الترمذي أنّ رجلاً ضرير البصر أتى النبي صلوات الله وسلامه عليه فقال: ادع الله أن يعافيني، قال: (إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت، فهو خير لك) قال: فادعه، قال: فأمره أن يتوضأ، فيُحسن وضوءه، ويدعو بهذا الدعاء (اللهم إني أسألك وأتوجه إليك، بنبيك محمد - نبي الرحمة -، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه، لتُقضى لي، اللهم فشفّعه فيّ).

والجواب أنّ الأعمى طلب من النبي ﷺ أن يدعو الله له أن يردّ بصره فعلّمه النبي ﷺ دعاء يسأل الله قبول شفاعة نبيه فيه.

فقال رسول الله: (إن شئت دعوت لك) فقال الرجل: (بل ادعه).

ولا بد ها هنا من الوقوف على فوائد هامة في هذا الحديث الشريف:

أولها: أنّ الأعمى ذهب إلى النبي صلوات الله وسلامه عليه ليطلب منه الدعاء ولو كان التوسل بالذات مشروعاً لم يكن ثمة حاجة للذهاب إليه إذ يكفيه أن يتوسل به من غير أن يذهب إليه، فيقول: (اللهم أسألك بنبيك) لكنه ذهب وطلب منه أن يدعو له.

الثاني: أنّ النبي صلوات الله وسلامه عليه وعده بالدعاء له فقال: (إن شئت دعوت لك) فألحّ عليه الأعمى بالدعاء قائلاً: (بل ادعه)، وهذا وعد من الرسول ﷺ بالدعاء للأعمى، علّقه على مشيئته، وقد شاءه الأعمى بقوله (بل

ادعه) ويقتضي أنه دعا ﷺ له، وهو خير من وفى بما وعد، يؤكد ذلك قول الأعمى في دعائه الذي علمه الرسول أن يدعو به (اللهم فشفّعه فيّ) أي اقبل دعاءه فيّ. والشفاعة معناها الدعاء كما قال ابن منظور في لسان العرب: (الشفاعة كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره، والشافع: الطالب لغيره، يتشفّع به إلى المطلوب، يُقال: تشفعت بفلان إلى فلان) وبهذا يثبت أنّ الأمر كان يدور على دعائه صلوات الله وسلامه عليه لا ذاته.

الثالث: أنّ النبي صلوات الله وسلامه عليه أمره أن يتقرب إلى الله بعدة وسائل منها التوسل إليه بالعمل الصالح وهو (إحسان الوضوء) و(أداء ركعتين) يدعو الله عقبهما أن يستجيب دعاءه في أن يقبل دعاء النبي ﷺ له.

وهذا هو معنى قوله (وشفعني فيه) أي أدعوك أن تتقبل دعاء النبي صلوات الله وسلامه عليه لي[١٣٠].

بقي أن نشير إلى ما أشرنا إليه من قبل عن وصية النبي صلوات الله وسلامه عليه لابن عباس التي يقول فيها: (يا غلام، إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أنّ الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف).

إنّ الأنبياء والشهداء أحياء ولكن عند ربهم في كرامته، ولا نعرف شيئاً عن كنه حياتهم أو طبيعتها، وهم لا يستطيعون كشف الضر أو تفريج الكرب أو عون المحتاجين لأنهم عباد وبشر مثلنا وقد انتقلوا إلى عالم آخر، لا يسمعون دعاءنا ولا نداءاتنا ولا استغاثاتنا!

---

(١٣٠) موسوعة أهل السنة في نقد فرقة الأحباش ١/ ١٨٣-١٨٤

يقول الإمام الصادق في الحديث الذي رواه الكليني في كتاب الروضة من الكافي:

(والله ما نحن إلا عبيد.. ما نقدر على ضر ولا نفع، إن رحمنا فبرحمته، وإن عذبنا فبذنوبنا، والله مالنا على الله من حجة ولا معنا براءة، وإنا لميتون ومقبورون ومنشورون ومبعوثون ومسؤولون، أشهدكم أني امرؤ ولدني رسول الله وما معي براءة من الله، إن أطعت رحمني وإن عصيت عذبني عذاباً شديداً).

وكتاب الله الذي استعرضنا قبساً من آياته، وسنة رسوله ﷺ وأقوال العترة المطهرة كلها تظافرت على منع الاستغاثة بغير الله والدعاء والطلب من غيره، والتشيع لأهل البيت عليهم السلام يقتضي السير على نهجهم واقتفاء أثرهم والعمل بهديهم، ولا يلتفت إلى أقوال الغلاة الذين يستأكلون بهم ويحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله!

إنّ الذين يحاولون تبرير الاستغاثة بغير الله من الأنبياء والأولياء سيجدون أنفسهم أمام عقبتين رئيستين:

أولهما: أن يثبتوا أن المقصود بالاستغاثة بهم على أحسن حالات حسن النية إنما هو ليشفعوا للمستغيث عند الله بدعائهم وليس طلب مباشرة حقيقة الفعل كالنصرة ورفع الضر وكشف الكرب والشفاء! أي إثبات (حسن النية) بإرادة شفاعتهم ودعائهم، وهذه لا يمكن الجزم بها وتقنينها لأنّ النيات موكلة إلى رب العباد، وجب النظر عندها إلى صيغة الاستغاثة وتنزيهها عن اللبس، فتبطل عندئذ (أدركني يا علي) و (أغثني يا علي) و (مدد يا أبا الحسن).

ثانيهما: أن يثبتوا بالدليل أنّ الأئمة عليهم السلام (في حياتهم الأخرى عند الله) يسمعون المنادي، ويسمعونه على أية حال كان وفي أي مكان وفي

أي وقت، وليس المنادي فقط بل يسمعون الجميع، جميع من يناديهم، بأصواتهم جهراً أو همساً، سراً وعلانيةً، بلغاتهم المختلفة!

فإذا نودي الإمام من قبل مائة شخص في آن واحد سمعهم جميعاً . وهذه الصفة مختصة بالله وحده لا شريك له فيها! وعلم هذا في الغيب وحده ومصدر الغيب الذي بين أيدي المسلمين هو القرآن فليشتقوا دليلهم منه فإن عدموا الدليل - وهو معدوم - ثبت عند ذلك ان هذه صفات الله وحده وتسقط عندها صيغة (أدركني يا علي بشفاعتك) .

أما محاولة ليّ أعناق النصوص وتفسير الكلام بغير مدلوله والادعاء بأن (أدركني يا علي) أو (الغوث يا أبا الحسن) هي إنما لطلب دعائهم الله لنا لكشف الكرب والغم وأن الكاشف والمغيث هو الله، فهي كالتصريح بمشروعية قولنا (اغفر لي يا علي) أو (ارحمني يا علي) والادعاء بأن الغافر والراحم هو الله !

﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾.(١٣١)

(١٣١) سورة الرعد آية ٣٣

يا الله أم يا علي ويا حسين؟!!

إنّ الله عز وجل هو الصمد الذي تلتجئ إليه المخلوقات في الرخاء والشدائد... حقيقة فطر الله الناس عليها ... وآمن بها المسلم العارف بدينه.

وقد روى الكليني في الكافي عن داود بن القاسم قال: قلت لأبي جعفر الثاني: جعلت فداك ما الصمد؟، قال: السيد المصمود إليه في القليل والكثير". والمصمود إليه أي المقصود.

علّق الكليني على ذلك فقال: (والله عز وجل هو السيد الصمد الذي جميع الخلق من الجن والإنس إليه يصمدون في الحوائج وإليه يلجأون عند الشدائد ومنه يرجون الرخاء ودوام النعماء ليدفع عنهم الشدائد)

وقد روي عن الإمام جعفر الصادق قوله " إذا خفت أمراً فقل: اللهم إنك لا يكفي منك أحد، وأنت تكفي من كل أحد من خلقك. فاكفني كذا وكذا"، وفي رواية، " يا كافياً من كل شيء ولا يكفي منك شيء[١٣٢]

فأين هذا من الذين يرددون (يا محمد يا علي يا علي يا محمد، اكفياني فإنكما كافياني، يا محمد يا علي يا علي يا محمد، انصراني فإنكما ناصراني، يا محمد يا علي يا علي يا محمد، احفظاني فإنكما حافظاني، يا مولاي، يا صاحب الزمان، ثلاث مرات، الغوث الغوث، أدركني أدركني، الأمان الأمان)؟

والله تعالى يسألهم ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾؟!

ألا يكفي هؤلاء أن يكون ربهم هو الملجأ لهم والمستغاث به، الذي يطلبون منه النصر والتثبيت والحفظ والأمان؟ أما يكفيهم رب العالمين حتى يشركوا معه غيره ؟!

يقول الله تعالى ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ

(١٣٢) الكافي ٢/ ٤٠٤ كتاب الدعاء باب الدعاء للكرب والهم والحزن والخوف

ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾(١٣٣).

وإنما يتوجه المسلم بندائه ودعائه لله دون غيره طالباً منه سبحانه وحده قضاء الحوائج وتفريج الكرب، لأنه يدرك أنّ الاستعانة والاستغاثة فيما لا يقدر عليه إلا الله لا تكون إلا له سبحانه، وأنّ صرف الاستعانة لغير الله صرف للعبادة لغير الله.

لقد وقفت على روايات شيعية تحكي هذه المأساة، مأساة التوجه لبشر لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعاً إن أراد الله بهم ضراً، ولا يملكون لأنفسهم حياة ولا نشوراً.

فقد خصصت تلك الروايات لكل إمام وظيفة في النفع والضر فقالت: (أما علي بن الحسين فللنجاة من السلاطين ونفث الشياطين، وأما محمد بن علي وجعفر بن محمد فللآخرة وما تبتغيه من طاعة الله عز وجل، وأما موسى بن جعفر فالتمس به العافية من الله عز وجل، وأما علي بن موسى فاطلب به السلامة في البراري والبحار، وأما محمد بن علي فاستنزل به الرزق من الله تعالى، وأما علي بن محمد فللنوافل وبر الإخوان وما تبتغيه من طاعة الله عز وجل، وأما الحسن بن علي فللآخرة، وأما صاحب الزمان فإذا بلغ منك السيف الذبح فاستعن به فإنه يعينك)(١٣٤) ثم ألحق المجلسي صاحب بحار الأنوار بهذه الرواية - دعاءً يتضمن الاستغاثة بالأئمة على هذا النحو السالف الذكر من قبيل الشرح لهذا النص.(١٣٥)

وعلى هذا المنوال سارت الأدعية الشيعية، حيث صار الأئمة هم المستغاث بهم والمرتجى، فيتوجه الشيعة بالدعاء قائلين عن الأئمة: (أركان

---

(١٣٣) سورة الزمر آية ٣٨
(١٣٤) بحار الأنوار ٩٤/ ٣٣
(١٣٥) المصدر السابق

البلاد، وقضاة الأحكام، وأبواب الإيمان منائح العطاء، بكم إنفاذه محتوماً مقروناً. فما شيء منه إلا وأنتم السبب وإليه السبيل فلا نجاة ولا مفزع إلا أنتم ولا مذهب عنكم يا أعين الله الناظرة)[١٣٦].

وإني على يقين من أنّ الشيعة لا يعتقدون في قرارة أنفسهم أنّ هناك إله مع الله، وأعلم كذلك أنهم يستشنعون هذا القول ويرفضونه إلا أنّ هذا كله منتف أمام ممارساتهم وعباداتهم فهم يستنكرون الشرك نظرياً وأقوالهم وأفعالهم تعج بالشرك.

ينادي أحدهم (يا حسين) و (يا علي) و (يا مهدي) وربما (يا عباس)[١٣٧]. يستغيث بهم لقضاء حوائجه أو لرفع ثقل يعجز عن رفعه.

فترى هذا يردد (يا علي مدد)، وهذا ينادي (يا حسين أغثني) وذاك يعكف عند مرقد الإمام الرضا يبكي عند قبره ويتمسح بالقبر ويقبّله ويدعوه أو ينذر له !!

وذاك يعتقد أنّ الإمام الكاظم هو باب الحوائج! فيتوجه له بالدعاء من دون الحي الذي لا يموت!

إنّ هذه الممارسات لتدعوني للتساؤل: كيف لمسلم أن يردد سبع عشرة مرة في صلواته اليومية قول الله عز وجل في سورة الفاتحة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ ثم إذا ما أراد أن يستعين بأحد في قضاء حوائجه استعان بمخلوق مثله دون أدنى اكتراث بتلك الآية التي حفظها منذ الصغر وردّدها لسانه ؟!

يرى أنّ حوائجه تنقضي إذا ما كرر عبارة (ناد علياً مظهر العجائب تجده

---

(١٣٦) بحار الأنوار آية ٩٤/ ٣٧

(١٣٧) أحدهم قال لي: النداء ليس بشرك، فهل حينما أنادي ابني (يا خالد) أو في نداء رجل في الطريق (يا فلان) شرك؟ فقلت له: بالله عليك، أتراك تنادي الإمام كما تنادي هؤلاء؟ ألست تناديه ليغيثك ويعينك ويصرف عنك السوء وغيرها من الحاجات؟ هذا هو الشرك الذي نتكلم عنه، ومن أخبرك أنّ نداء الناس كهذا النداء الشركي فقد كذب عليك أو استخف بعقلك.

عوناً لك في النوائب. كل هم وغم سينجلي بولايتك يا علي يا علي يا علي) ثم يلحقها بقوله: (يا أبا الغوث أغثني يا علي أدركني)، و يتناسى رب العباد الذي قال عن نفسه في محكم كتابه ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢﴾(١٣٨)

ولنا أن نسأل: إذا كان الأئمة هم ملجأ المحتاجين ومفزع الملهوفين وأمان الخائفين وقبلة الداعين، ولا تستجاب الدعوات إلا بذكر أسمائهم، فأي فرق بين هذا وبين ما يزعمه مشركو مكة في أصنامهم؟!!

نعم هناك فرق، لكنه فرق يحكي مأساة حقيقية .. فمشركو مكة كانوا في وقت الشدة يخلصون الدعاء لله ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ۝٦٥﴾(١٣٩)

أما الذين يستغيثون بالأئمة ويدعون بأسمائهم فيشركون بالله في الرخاء والشدة.

بل بلغت الجرأة فيمن صاغ هذه العقيدة إلى حد أن تُعنون في كتب الشيعة المعتمدة أحد أبوابها بـ (إنّ دعاء الأنبياء استجيب بالتوسل والاستشفاع بهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)!!(١٤٠)

والروايات في هذا الباب كثيرة عند الشيعة ومستفيضة ومنصوص عليها في عدد من المصادر المعتمدة لديهم.(١٤١)

تقول إحدى الروايات (عن الرضا عليه السلام قال لما أشرف نوح عليه السلام على

---

(١٣٨) سورة النمل آية ٦٢

(١٣٩) سورة العنكبوت آية ٦٥

(١٤٠) وهذا أحد أبواب بحار الأنوار ٢٦/ ٣١٩ ومن يتصفح الكافي أو بصائر الدرجات يرى ما يكفيه من أمثال هذا الغلو

(١٤١) انظر مثلاً: تفسير العياشي ١/ ٤١، الخصال لابن بابويه ١/ ١٣٠، معاني الأخبار ص٤٢، الاحتجاج للطبرسي ص٢٧، ٢٨، وسائل الشيعة ٤/ ١١٣٩ وغيرها

الغرق دعا الله بحقنا فدفع الله عنه الغرق، ولما رُمي إبراهيم في النار دعا الله فجعل عليه النار برداً وسلاماً، وإنّ موسى عليه السلام لما ضرب طريقاً في البحر دعا الله بحقنا فجعله يبساً، وإنّ عيسى عليه السلام لما أراد اليهود قتله دعا الله بحقنا فنُجّي من القتل فرفعه الله)[١٤٢]

هذا ما تقول الروايات بينما يقول الله تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[١٤٣] ولم يقل سبحانه (فادعوه بأسماء الأئمة أو مقامات الأئمة أو مشاهدهم).

وهؤلاء الأئمة صحيح أنهم صالحون وأخيار لكنهم بشر مثلنا لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾[١٤٤]، ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾[١٤٥]

ولم يجعل الله عز وجل بينه وبين خلقه في عبادته ودعائه ولياً صالحاً ولا ملكاً ولا نبياً مرسلاً، بل الجميع عباد لله ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[١٤٦]

ودعوى أنّ دعاء الأنبياء استجيب بالتوسل بالأئمة فيه إهانة وتنقيص لمقام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، بل دعوة للشرك حين تُعدل أسماء الأئمة بأسماء الله الحسنى التي يُدعى بها.

---

(١٤٢) وسائل الشيعة ٤/ ١١٤٣، بحار الأنوار ٢٦/ ٣٢٥
(١٤٣) سورة الأعراف آية ١٨٠
(١٤٤) سورة الأعراف آية ١٩٤
(١٤٥) سورة الفرقان آية ٣
(١٤٦) سورة النساء آية ١٧٢

والأنبياء كما أخبر الله تعالى وهو أصدق الصادقين إنما دعوه بأسمائه الحسنى ووحدانيته لا بأسماء المخلوقين الذين لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً.

قال سبحانه وتعالى عن يونس عليه السلام ﴿فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾(١٤٧)

ويقول عن أيوب عليه السلام ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾(١٤٨)

والكلمات التي علّمها آدم عليه السلام وزوجه هي كما قال الله تعالى ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾(١٤٩)

فأين هذا كله مما تدّعيه هذه الروايات السقيمة؟!

---

(١٤٧) سورة الأنبياء آية ٨٧

(١٤٨) سورة الأنبياء ٨٣

(١٤٩) سورة الأعراف آية ٢٣

وقفة مع دعاء (حلال المشاكل)

من الأدعية المنتشرة بين الشيعة الاثني عشرية وعلى نطاق واسع في العراق وإيران وبعض دول الخليج دعاء (حلال المشاكل).

وهو دعاء تنبض عروقه بالشرك بالله . . . فإن كنت في شك من ذلك فاقرأ نص الدعاء بنفسك وحكّم عقلك وضميرك.

يقول الداعي مخاطباً علي بن أبي طالب:

يا أبا الغيث أغثني ... يا علي الدرجات
حل عقدتي بك قيدي ... أنت لي إن ناب دهري
أنت لي إن حط قدري ... يا محل المشكلات
سيدي أنت منائي ... سيدي أنت رجائي
لك أخلصت ولائي ... يا محل المشكلات[150]
سيدي أنت سنادي ... سيدي أنت عمادي
في مماتي ومعادي ... يا محل المشكلات

إلى أن يقول:

حيدر يا علي حلل مشاكلها ... دخيلك هالمصيبة لا تطولها !!
حيدر يا علي وحضر يحامينا ... واكسر هالأعادي واستر علينا

وحتى ينهي الدعاء بقوله:

يا مولانا ترى احنا بحالة شنيعة ... أدركنا يا علي حلال مشاكلها !

لا أدري حقيقة كيف ارتضى علماء ومراجع الشيعة الاثني عشرية مثل هذا الدعاء الشركي، لكن يظهر جلياً أنّ باب الغلو في الأئمة في المذهب مفتوح على مصراعيه، وهذا ما سنشير إليه في العناوين القادمة .

أحد الأصدقاء زار إحدى المكتبات الشيعية لاقتناء بعض الكتب، وحدثني عن حادثة طريفة حدثت له حول هذا الدعاء.

---

(١٥٠) أتصور أن مؤلف هذا الدعاء نسي إضافة كلمة (يا رب)!

يقول: كنت أمام البائع فوقفت بالقرب مني امرأة وطلبت من البائع كتاب (حلال مشاكل)، فتحرك في نفسي الفضول: فقلت لها، عن ماذا يتحدث هذا الكتاب؟ فشرحت لي الفكرة والدعاء.

يقول: فقلت لها . . . سبحان الله . . . تعتقدين أنّ علي بن أبي طالب لم يحل مشكلته مع أبي بكر وعمر، وتريدينه أن يحل مشكلتك !!

يقول: فقالت لي (اصمت)، وأحمد الله أني لم أُصب منها بأذى.

الاستغاثة بالزهراء والأئمة أم بخالقهم؟

حينما احتاج المسلمون إلى العون في غزوة أحد أخبر رب العالمين عن دعائهم قائلاً ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩﴾[١٥١] مع أنّ رسول الله صلوات الله وسلامه عليه حي بين أظهرهم وكذا الإمام علي وكذا السيدة فاطمة في المدينة، لكنهم مع هذا كله وجهوا نداءهم لله وحده، لأنه لا يملك النفع والضر إلا الله ﴿قل لا يملك﴾، فمحمد عليه الصلاة والسلام بشر مخلوق لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فكيف يملك لغيره النفع والضر؟!

قال تعالى مخبراً عن رسوله الكريم محمد صلوات الله وسلامه عليه موجهاً الكلام للناس مسلمهم وكافرهم ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ۝١١٠﴾ ويقول ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۝٢١ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ۝٢٢ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾[١٥٢]، فالرسول بشر مبلّغ عن الله، كرامته وعظمته تتمثلان في

---

(١٥١) سورة الأنفال آية ٩.

(١٥٢) سورة الجن آية ٢١

اصطفاء الله له من دون سائر البشر واختياره للنبوة وفي أخلاقه وسلوكه وشخصيته التي تمثل الكمال البشري فيها في حب كل أوجهها ولكنه مع كل هذه العظمة لا يملك لنفسه ولا لغيره النفع والضر إلا بمقدار ما يستطيع البشر (بنص القرآن الكريم)، فكيف بمن هم دونه منزلة عند الله ومن هم دونه فضلاً وعلماً من الأئمة أو الأولياء والصالحين؟

هذا مثال لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه، وخذ هذا المثال الآخر لإبراهيم عليه السلام خليل رب العالمين الذي قال الله عنه في القرآن المجيد ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾(١٥٣)

وذاك المسيح عليه السلام، النبي العظيم الذي أُجريت على يديه المعجزات العظيمة من خلق بإذن الله وإحياء للموتى بإذن الله يقول عنه رب العالمين حينما زعم النصارى أنه يملك الحساب يوم القيامة وأنه قد فُوض له ذلك من رب العالمين، وأنه ابن له مع اعترافهم بأنّ الله (الآب) هو أعظم من ذاك الابن المتجسد (المسيح) كما هو منصوص عليه في عقيدتهم، ماذا أجابهم رب العالمين؟

قال الله تعالى ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾(١٥٤)

---

(١٥٣) سورة الممتحنة آية ٤

(١٥٤) سورة المائدة آية ٧٥-٧٦

بيّن الله عز وجل أنّ المسيح بشر يأكل الطعام ويحتاج إليه ويحتاج لمن خلقه، ويصيبه الضر إذا افتقده، فكيف تتوجهون بالدعاء والاستغاثة والنذور والقرابين والذبائح وغيرها من أصناف العبادات لمن لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، وتتجاهلون الإله الحق السميع العليم الذي يسمع سركم ونجواكم ويعلم ما تخفيه صدوركم؟!

ولذا جاء قول الله عز وجل ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾[١٥٥] ليبين أنّ المسيح عليه السلام وأمه مع جلالة قدرهما وعظم منزلتهما إن أراد الله عز وجل أن يهلكهما فلا راد له ولا دافع لعذابه، فإن كان المسيح وأمه لا يملكان دفع الضر عن نفسيهما فكيف يُتوجه لهما بالدعاء والعبادة؟!

فالأنبياء والأئمة والصالحون لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً، فمن توجه لهم الدعاء أو استغاث بهم فيما لا يقدر عليه بشر أو نذر لهم وقدّم قرابينه لهم أو ذبح لهم فقد أشرك بالله تعالى.

ولذا رأينا التوجيه القرآني الرائع القائل ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾[١٥٦] ولم يقل الله عز وجل (فقل لا إله إلا الله) لأنّ كلمة (لا إله إلا الله) أسهل ما تكون على اللسان، لكن فهم معنى هذه العبارة وتجسيدها على أرض الواقع وتحقيق معانيها هو المراد وهو المطلوب.

كان من السهل على كفار مكة أن يقولوا (لا إله إلا الله) لكنهم أدركوا أنّ المطلوب منهم أكثر من مجرد اللفظ، فهم يؤمنون بأن الله هو الخالق البارئ كما قال الله تعالى عنهم ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[١٥٧]،

---

(١٥٥) سورة المائدة آية ١٧

(١٥٦) سورة محمد آية ١٩

(١٥٧) سورة الزخرف آية ٨٧

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾(١٥٨) لكن كانوا يقيسون الله عز وجل بملوك زمانهم وغير زمانهم الذين لا يدخل عليهم أحد إلا بوساطة مقرّب عنده !

قالوا الله عز وجل أعظم وأجل من نطلب منه كذا وكذا، الله عز وجل عظيم ونحن مذنبون، كيف لنا أن نطلب منه مباشرة، لا بد من وسطاء فيشفعوا لنا، أخبر الله عز وجل عن دعواهم تلك بقوله حكاية عنهم ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾(١٥٩)

أي ما كنا نتوجه لهم بالعبادة (دعاء، نذور، قرابين، ذبائح) إلا ليقربونا إلى الله، لا ظناً بهم أنهم من خلقنا ورزقنا وينصرنا في الشدائد.

ولكن هل تقبل الله منهم هذا الإيمان؟ وهل نفعهم إقرارهم بهذا الإله الواحد مع إشراكهم معه غيره في الدعاء والعبادة؟!

قال الله تعالى فيهم وفي من يحذو حذوهم ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦﴾(١٦٠)، ولذلك أرسل الله عز وجل لهم محمداً عليه الصلاة والسلام، وشهد عليهم رسول الله ﷺ بالنار حين قاتلوه دفاعاً عن ذاك الشرك، فإقرارهم بالله لم ينفعهم لما وجهوا العبادة لغيره.

وليس فلان وفلان من الناس بأكرم عند الله من عشيرة رسول الله حتى يُستثنى وتُكتب له براءة من الشرك مع مزاولته للشرك أو اعتقاده له، فالدين لا محاباة فيه، وأبو لهب هو عم النبي عليه الصلاة والسلام ومع ذلك لما أشرك

---

(١٥٨) سورة الزمر آية ٣٨
(١٥٩) سورة الزمر آية ٣
(١٦٠) سورة يوسف آية ١٠٦

بالله لم تنفعه تلك القرابة، فمن استغاث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله أو نذر لغير الله أو دعا أهل القبور والعتبات فقد أشرك بالله.

وليس البشر اليوم بأكرم عند الله من قوم نوح عليه السلام لما أشركوا بالله أهلكهم جميعاً ونجا منهم أهل الإيمان وهم قلة، فالاستشهاد بكثرة من يدعو غير الله ويستغيث بغير الله رغم انتسابه للإسلام اسماً لن يغني من الحق شيئاً ولن يجعل من الشرك توحيداً، فكم ذم الله عز وجل الكثرة حين تتبنى الضلال فقال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ۝٦٠﴾[١٦١] ويقول ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨﴾[١٦٢]. ويقول ﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ۝٧٨﴾[١٦٣] ويقول ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦﴾ والآيات في هذا كثيرة جداً.

وانتساب المرء للإسلام شرف له ورفعة، لكنه حينما يشرك بالله ويتخذ له شركاء يدعوهم في الشدائد أو في الرخاء فإنّ الله غني عنه وعن عبادته وعن إسلامه.

يقول الله عز وجل ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ﴾[١٦٤] ويقول ﴿إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ۝٨﴾[١٦٥]

فليس لأحد أن يتمسك بالعنوان ويترك المعاني، يتمسك بعبارة (لا إله إلا الله) وهو يطعن في معنى هذه الشهادة في كل حركة وسكنة، يشرك بالله

(١٦١) سورة يونس آية ٦٠
(١٦٢) سورة الشعراء آية ٨و٦٧و١٠٣و١٢١و١٣٩و١٥٨و١٧٤و١٩٠
(١٦٣) سورة الزخرف آية ٧٨
(١٦٤) سورة الزمر آية ٧
(١٦٥) سورة ابراهيم آية ٨

الليل والنهار، ويتصور أنّ شهادة (لا إله إلا الله) اللفظية فقط تنجيه من حر النار ومن كفر الدنيا والآخرة !

إنّ هذا ليعود بذاكرتي إلى كتاب (أكسير الدعوات)[١٦٦] وهوكتاب أدعية واسع الانتشار بين الشيعة وقد شدّني في هذا الكتاب عنوان (استغاثة إلى فاطمة عليها السلام) يقول فيه المؤلف: (في البلد الأمين تصلي ركعتين فإذا سلّمت فكبّر الله تعالى ثلاثاً، وسبّح تسبيح الزهراء عليها السلام **واسجد وقل مائة مرة (يا مولاتي يا فاطمة أغيثيني) ثم ضع خدك الأيمن على الأرض وقل كذلك، ثم عد إلى السجود وقل كذلك، ثم ضع خدك الأيسر على الأرض وقل كذلك، ثم عد إلى السجود وقل كذلك مائة وعشر مرات، واذكر حاجتك تُقضى بإذن الله)!** فرق بين من يستغيث بمخلوق لا يملك لنفسه الحياة ولا الممات ولا الرزق حتى يهب ذلك لغيره !

(١٦٦) ص٤١٠

ماذا بقي لرب العالمين ؟!!

الشيعة الاثنا عشرية يؤمنون بإله واحد ولا يدينون بإلوهية غيره، هذا هو الأصل وهذا ما يدّعيه علماء المذهب، لكن المشكلة التي يعيشها هذا المذهب هو إسباغه صفات الألوهية على الأئمة بل وتقريره الاستغاثة بهم في الشدائد والنذر لهم ودعاءهم من دون الحي الذي لا يموت، وهذا كله قدح في التوحيد وإثبات للشركاء لله وإن لم يكن الشيعة يعتقدون أنهم شركاء لله، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في الصفحات السابقة، غير أنّ ما لم أتطرق إليه هو الغلو الفاحش الذي تناقلته كتب الشيعة الاثني عشرية في الأئمة الاثني عشر، ونظرة كبار علماء المذهب المعاصرين منهم والقدماء للأئمة الاثني عشر، كل ما سيأتي ذكره سيضطرك إلى التساؤل بكل أسى (ماذا بقي لرب العالمين إن كانت هذه هي صفات الأئمة؟!).

الغلو في روايات الشيعة الاثني عشرية

الروايات المغالية في التراث الشيعي الاثني عشري كثيرة جداً وحسبي ها هنا أن أشير إلى أمثلة منها:

١- الإمام علي والصفات الإلهية التي أسبغتها عليه الروايات !

فنسبت الروايات إلى الإمام علي قوله (أنا الأول أنا الآخر)[١٦٧]

وقوله (أنا عين الله، وأنا يد الله، وأنا جنب الله، وأنا باب الله)[١٦٨]

وقد ذكر المجلسي ستاً وثلاثين رواية[١٦٩] في كون الإمام علي هو وجه الله ويد الله !

---

(١٦٧) جامع الأسرار ومنبع الأنوار لحيدر آملي ص٢٠٥ حديث رقم ٣٩٤.

(١٦٨) رواه الكافي ١/ ١٤٥ والمجلسي في بحار الأنوار ٢٤/ ١٩٤

(١٦٩) بحار الأنوار ٢٤/ ١٩١-٢٠٣

وفي رجال الكشي[١٧٠] وردت الرواية بصيغة أخرى هي (أنا وجه الله، أنا جنب الله، وأنا الأول والآخر، وأنا الظاهر والباطن)!

وقد ذكر هذه الروايات ابن بابويه القمي في كتابه (التوحيد)! لكنه حاول جاهداً إيجاد تأويلات سائغة لها بعد أن عجز عن تضعيفها أو الطعن فيها !

٢- الإمام علي هو منقذ الأنبياء !

فنسبت الشيعة الاثنا عشرية للإمام علي قوله (والله قد كنت مع إبراهيم في النار، وأنا الذي جعلتها برداً وسلاماً، وكنت مع نوح في السفينة فأنجيته من الغرق، وكنت مع موسى فعلّمته التوراة، وأنطقت عيسى في المهد وعلمته الإنجيل، وكنت مع يوسف في الجبّ فأنجيته من كيد إخوته، وكنت مع سليمان على البساط وسخّرت له الرياح)[١٧١].

أقول: فماذا بقي لرب العالمين؟!

٣- الإمام لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء !

فنسبت الشيعة الاثنا عشرية للإمام الصادق قوله (إنّ الإمام لا يخفى عليه شيء مما في الأرض ولا مما في السماء، وأنه ينظر في ملكوت السماوات فلا يخفى عليه شيء، ولا همهمة ولا شيء فيه روح، ومن لم يكن بهذه الصفات فليس بإمام)[١٧٢] ومثل هذه الرواية كثير في الكافي وبصائر الدرجات وبحار الأنوار وغيرها من الكتب.

وينسب الشيعة الاثنا عشرية إلى الإمام الصادق قوله (إني لأعلم ما في السماوات وما في الأرض وأعلم ما في الجنة وأعلم ما في النار وأعلم ما كان وما يكون)[١٧٣].

---

(١٧٠) رجال الكشي ص٢١١ رقم ٣٧٤ وانظر بصائر الدرجات ص١٥١ وبحار الأنوار ٩٤/ ١٨٠
(١٧١) الأنوار النعمانية ١/ ٣١
(١٧٢) الأنوار النعمانية ١/ ٣٣
(١٧٣) الكافي ١/ ٢٦١

بينما يقول الله عز وجل عن نفسه ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾[١٧٤]

ويأمر أفضل الخلق وخاتم الأنبياء والمرسلين أن يقول للناس ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾[١٧٥].

٤- الإمام والتحكم في الكون !

فنسبت الشيعة الاثنا عشرية لجعفر الصادق قوله (إنّ الدنيا تمثل للإمام في مثل فلقة الجوز، فلا يعزب عنه منها شيء، وإنه ليتناولها من أطرافها كما يتناول أحدكم من فوق مائدته ما يشاء)[١٧٦].

وليس هذا بغريب، أمام ما ذكرته هذه الكتب من أنّ ضربة الإمام علي لمرحب اليهودي كادت أن تشق الأرض نصفين[١٧٧] !!

وفي رواية تُنسب للإمام الصادق (أما إنه ما كان من هذا الرعد ومن هذا البرق، فإنه من أمر صاحبكم، قلت: من صاحبنا؟ قال: أمير المؤمنين عليه السلام !)[١٧٨].

والأئمة في روايات الشيعة هم علة الوجود !

فقد نسب الشيعة الاثنا عشرية إلى الإمام الصادق قوله (نحن علة الوجود وحجة المعبود لا يقبل الله عمل عامل جهل حقنا)[١٧٩].

بل هم الكاف والنون التي يخلق الله بها الأشياء !!

---

(١٧٤) سورة النمل آية ٦٥
(١٧٥) سورة الأعراف آية ١٨٨
(١٧٦) الاختصاص ص٢١٧ (قدرة الأئمة عليهم السلام)، وبحار الأنوار ٢٥/ ٣٦٧ باب (غرائب أفعالهم)، وبصائر الدرجات ص٤٠٨ باب قدرتهم.
(١٧٧) مشارق أنوار اليقين ص١١٠
(١٧٨) الاختصاص ص٣٢٧
(١٧٩) بحار الأنوار ٢٦/ ٢٥٩ حديث ٣٦

فينسب الشيعة الاثنا عشرية إلى الإمام علي قوله في حديث طويل عن صفات الإمام (**الإمام كلمة الله وحجة الله ووجه الله ونور الله وحجاب الله وآية الله**، يختاره الله ويجعل فيه ما يشاء ويوجب له بذلك الطاعة والولاية على جميع خلقه، فهو وليه في سماواته وأرضه . . . فهو يفعل ما يشاء وإذا شاء الله شاء . . . مفزع العباد في الدواهي والحاكم والآمر والناهي، مهيمن الله على الخلائق . . . خلقهم الله من نور عظمته، وولاهم أمر مملكته، **فهم سر الله المخزون وأولياؤه المقربون وأمره بين الكاف والنون - وفي نسخة - لا بل هم الكاف والنون، إلى الله يدعون وعنه يقولون وبأمره يعملون، مبدأ الوجود وغايته وقدرة الرب ومشيئته وأم الكتاب وخاتمته**)(١٨٠) !!

٥- لا فرق بين الأئمة وبين الله إلا أنهم عباده !!!

هذا ما نصت عليه الزيارة الرجبية والتي فيها (إنه لا فرق بينك وبينهم إلا أنهم عبادك)(١٨١).

فالأئمة شاركوا الله عز وجل تقريباً في كل شيء سوى كونه معبوداً، فهو معبود وهم عباد، أما الاختلاف فبدرجة الكمال فقط، ولذا صار هو معبوداً وهم عبيد له، هذا ما أستطيع أن أفسر به كل ما قرأته وعبّر عنه هذا النص، تماماً كما كان يقول مشركو مكة في تلبيتهم (لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك) ! اختلفت الألفاظ وتطابقت المعاني !

فالصفات شاركوه فيها من الإحاطة بكل شيء علماً، ومن عدم السهو ولا الغفلة، وما إلى ذلك.

والأسماء الحسنى التي لرب العباد لم يشاركوه فيها فحسب بل ذكرت الروايات أنّ الأئمة هم الأسماء الحسنى(١٨٢)، فالإمام علي بن أبي طالب كما بيّنا هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم!

---

(١٨٠) بحار الأنوار ٢٥/ ١٦٩ إلى ١٧٤ باب آخر في دلالة الإمامة حديث ٣٨.

(١٨١) مشارق أنوار اليقين ص١٣٤ والإنسان الكامل ص١٢٨ والرسائل الثمانية ص٨٨.

(١٨٢) روي في ذلك روايات شيعية كثيرة منها ما نُسب للإمام علي كقوله عن نفسه (أنا الأسماء الحسنى) - شرح دعاء الجوشن ص٥٧٦ والأنوار النعمانية ٢/ ١٠٠- ومنها ما نسبه العياشي للإمام جعفر الصادق من قوله (نحن والله الأسماء الحسنى الذي لا يُقبل من أحد إلا بمعرفتنا، قال عليه السلام: فادعوه بها) - تفسير العياشي ٢/ ٤٢ حديث١١٩ والبرهان ٢/ ٥٢- وقريب من هذه الرواية ما نُسب إلى الإمام الباقر كذلك- انظر بحار الأنوار ٢٥/ ٤ حديث ٧ - ومثل هذا كثير.

حتى خلق الكون قد أسنده الشيعة الاثنا عشرية إلى الأئمة!

ففي صيغة زيارة الحسين عليه السلام التي رواها ابن قولويه بإسناد صحيح عند الشيعة الاثني عشرية عن الإمام الصادق أنه قال: (بكم يباعد الله الزمان، وبكم يمحو الله ما يشاء ويثبت، وبكم تنبت الأرض أشجارها، وبكم تُخرج الأرض أثمارها، وبكم تنزل السماء قطرها ورزقها، وبكم ينزل الله الغيث، إرادة الرب في مقادير أموره تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم) (١٨٣).

وفي الزيارة الجامعة المشهورة (بكم فتح الله وبكم يختم وبكم ينزل الغيث)(١٨٤)

٦- الإمام يحاسب الخلائق يوم القيامة وهو الديّانّ !

روى المجلسي في بحار الأنوار ٢٤/ ٢٧٢ عن البرقي في كتابه الآيات عن أبي عبد الله عليه السلام أنّ رسول الله ﷺ قال لأمير المؤمنين عليه السلام: يا عليّ أنت ديّان هذه الأمة!، والمتولي حسابهم!، وأنت ركن الله الأعظم يوم القيامة!، ألا وإنّ المآب إليك!، والحساب عليك! والصراط صراطك!، والميزان ميزانك!، والموقف موقفك!!

قلت: قد قال الله تعالى عن نفسه في القرآن ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ فجعلها الشيعة الإثني عشرية للإمام علي والأئمة، ولا أدري لماذا لا يصرّح هؤلاء بأنّ علياً هو الله تعالى فيريحوا أنفسهم بدلاً من تعداد صفات الله وأسماءه وتوزيعها على الأئمة بهذه الصورة؟!

الغلو في أمهات كتب الشيعة

لا يقتصر الغلو الذي نشير إليه على بضعة أحاديث هنا وهناك يمكن للمرء أن ينسلخ منها ويدّعي أنها لا تصح نسبتها إلى عقيدة الشيعة وأنّ الشيعة

---

(١٨٣) كامل الزيارات ص٢٠٠ الباب ٧٩

(١٨٤) بحار الأنوار ١٠٢/ ١٤٤

الاثني عشرية منها براء، بل إنّ الغلو طال أبواباً كاملة يحوي كل باب منها على عدد لا يُستهان به من الأحاديث المغالية، وإليك مثالاً على ذلك كتاب الكافي للكليني.

وهو أهم كتب الحديث عند الشيعة الاثني عشرية على الإطلاق، هذا ما يقرره محققو الشيعة الاثني عشرية وعلماؤهم ومنهم سيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي في كتابه المراجعات حيث يقول: (الكتب الأربعة التي هي مرجع الإمامية في أصولهم وفروعهم من الصدر الأول إلى هذا الزمان، وهي الكافي والتهذيب والاستبصار ومن لا يحضره الفقيه، وهي متواترة ومضامينها مقطوع بصحتها، والكافي أقدمها وأعظمها وأحسنها وأتقنها).[١٨٥]

شهادة كهذه من عالم أصولي مدقق في الأخبار شهادة بالغة الأهمية وذات وقع كبير على الأصوليين من الاثني عشرية قبل الإخباريين، ولو أننا فرضنا حتى جدلاً أنّ عبد الحسين كان إخبارياً لا دراية له بالحديث (كما يحلو للأصوليين عادة أن يُظهروا الإخباريين من الشيعة) فإنه يجوز لنا أن نشكك في حديثين من كل باب، ثلاثة، أربعة، أكثر، لا أن يستغل البعض تلك الحجة لنسف كتاب بأكمله انبنت عليه أحكام الشيعة وعقائدهم منذ عصر غيبة القائم!

ولا شك أنّ اعتراف عالم كبير من علماء الأصوليين كعبد الحسين الموسوي بكون أحاديث الكافي متواترة ومضامينها مقطوع بصحتها وبكون الكافي أقدم وأعظم وأحسن وأتقن كتب الشيعة على الإطلاق، شهادة كافية لإلقاء نظرة على فهرس كتاب الكافي.

فهارس كتاب الكافي (الأصول) ج١ دار التعارف - بيروت

- باب- أنّ الأئمة (عليهم السلام) ولاة أمر الله وخزنة علمه
- باب- أنّ الأئمة (عليهم السلام) خلفاء الله عز وجل في أرضه وأبوابه التي منها يؤتى

---

(١٨٥) المراجعات - المراجعة ١١٠

- باب- أنّ الأئمة (عليهم السلام) نور الله عز وجل
- باب- أنّ الآيات التي ذكرها الله عز وجل في كتابه هم الأئمة
- باب- ما فرض الله عز وجل ورسوله (صلى الله عليه وآله) من الكون مع الأئمة (عليهم السلام)
- باب- في أنّ من اصطفاه الله من عباده وأورثهم كتابه هم الأئمة (عليهم السلام)
- باب- أنّ الأئمة إذا شاؤوا أن يعلموا علموا
- باب- أنّ الأئمة (عليهم السلام) يعلمون متى يموتون وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم
- باب- أنّ الأئمة (عليهم السلام) يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم شيء صلوات الله عليهم
- باب- أنّ الله عز وجل لم يُعلم نبيه علماً إلا أمره أن يُعلّمه أمير المؤمنين (عليه السلام) وأنه كان شريكه في العلم
- باب- أنّ الأئمة (عليهم السلام) لو سُتر عليهم لأخبروا كل امرئ بما له وعليه
- باب- التفويض إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وإلى الأئمة (عليهم السلام) في أمر الدين
- باب- أنّ القرآن يهدي للإمام
- باب- أنّ النعمة التي ذكرها الله عز وجل في كتابه هي الأئمة (عليهم السلام)
- باب- عرض الأعمال على النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام)
- باب- أنّ الأئمة (عليهم السلام) معدن العلم وشجرة النبوة ومختلف الملائكة
- باب- أنّ الأئمة (عليهم السلام) ورثة العلم يرث بعضهم بعضاً
- باب- أنّ الأئمة ورثوا علم النبي وجميع الأنبياء والأوصياء الذين قبلهم
- باب- أنّ الأئمة (عليهم السلام) عندهم جميع الكتب التي نزلت من عند الله عز وجل وأنهم يعرفونها على اختلاف ألسنتها.
- باب- أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة (عليهم السلام) وأنهم يعلمون علمه كله

- باب- في أنّ الأئمة (عليهم السلام) يزدادون في ليلة الجمعة
- باب- لولا أنّ الأئمة (عليهم السلام) يزدادون لنفد ما عندهم
- باب- أنّ الأئمة (عليهم السلام) يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل(عليهم السلام).

هذا بخلاف الكثير الكثير من الكتب التي انتهجت هذا المنهج ككتاب (بصائر الدرجات) للصفار، و(بحار الأنوار) للمجلسي وغيرها.

كيف ينظر كبار علماء الشيعة إلى الأئمة الاثني عشر؟

وإذا كان الغلو في الأئمة واقعاً في روايات الشيعة وفي أبرز كتب الطائفة العقائدية فإنّ ذلك الغلو أوضح ما يكون في أقوال ومصنفات مراجع الشيعة وعلمائهم الكبار الذين غربلوا المرويات الشيعية في تلك الكتب وأثبتوا في رسائلهم وفتاويهم العقائدية ما يوافق المذهب ورفضوا ما لا يصح نسبته إليه من عقائد!

فإنّ من يقرأ تلك المرويات ويؤلمه ما فيها من غلو فاحش في أهل البيت يتصور للوهلة الأولى أنّ تلك المرويات مرفوضة من قبل هؤلاء المراجع وأنهم يتبرأون منها وممن كتبها لكنه حينما يقرأ فتاوى ومصنفات هؤلاء العلماء والمراجع يصاب بالصدمة بالفعل، ويتبين له بالدليل القاطع أنّ الغلو الذي تناقلته هذه الكتب هو جزء لا يتجزأ من العقيدة الشيعية الاثني عشرية.

١- الإمام الأكبر محمد الحسين آل كاشف الغطاء

يقول عن الإمام علي بن أبي طالب (إمام الشيعة علي بن أبي طالب عليه السلام[١٨٦] الذي يشهد الثقلان أنه لولا سيفه ومواقفه في بدر، وأحد، وحنين والأحزاب، ونظرائها لما اخضرّ للإسلام عود، ولما قام له عمود، حتى قيل في ذلك: بنى الدين فاستقام ولولا ضرب ماضيه ما استقام البناء نعم لولا حسامه ومواقفه بعد الهجرة وقبلها وحماية أبيه أبي طالب قبل الهجرة، هذا في

(١٨٦) على بن أبي طالب إمام عظيم من أئمة المسلمين، وحصر كاشف الغطاء إمامته بالشيعة فقط تعصب منه وتحكم لا يرضاه أي مسلم.

مكة وذاك فيها وفي المدينة لقضت قريش وذئبا العرب على الإسلام في مهده وخنقته وهو في حجر أمه)!![١٨٧]

ولنا أن نسأل كاشف الغطا ماذا كان يفعل أصحاب رسول الله في بدر وحنين وغيرها من المشاهد؟ هل كانوا يتفرجون على الإمام علي وهو يقاتل أم كانوا معه جنباً إلى جنب؟!! فما معنى تجاهل دورهم رضوان الله عليهم وبخسهم حقهم بهذه الصورة وادعاء أنّ حسام الإمام علي وحده هو الذي حفظ الإسلام دون حسام الزبير وطلحة وقوس سعد وقيادة خالد وغيرهم من الصحابة؟!!

ثم ما معنى قول كاشف الغطاء (لولا سيفه ومواقفه في بدر لما اخضرّ للإسلام عود، ولما قام له عمود) واستشهاده ببيت شعر في ذلك، وقوله أيضاً (نعم لولا حسامه ومواقفه بعد الهجرة لقضت قريش وذئبان العرب على الإسلام في مهده وخنقته وهو في حجر أمه) فأين دور محمد عليه الصلاة والسلام؟!!

لا أدري حقيقة من الرسول ومن التابع؟

فالشيعة الاثنا عشرية أسبغوا على الأئمة الاثني عشر صفات لا تجدهم أسبغوها على رسول الله صلوات الله وسلامه عليه مع كونه خير البشر !

حاول أن تتتبع النصوص التي ذكرها الشيعة الاثنا عشرية في الأئمة وتحاول جاهداً أن تجد معشارها في رسول الله.

أما الإسلام فهو دين الله الذي أرسل به رسوله ليُظهره على الدين كله، وخذلان أحد من الناس له كائناً من كان (أبو بكر أو علي أو عمر أو خالد أو غيرهم) لا يعني أن لا يقوم للإسلام عمود وأن لا يخضرّ للإسلام عود.

---

(١٨٧) أصل الشيعة وأصولها ص٢٥

والله تعالى يقول عن نبيه عليه الصلاة والسلام ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ(١٨٨) إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾(١٨٩) فجعله الله عز وجل منصوراً ومسدداً منه سبحانه وإن أعرض عنه الناس.

وليت غلو محمد آل كاشف الغطاء يقف عند هذه، لكنت حمدت الله وارتضيته رجل دين معتدل في مقابل باقي العلماء الذين لم يتركوا شيئاً لله إلا قالوه في الأئمة .

لكن آل كاشف الغطاء أبى إلا تجاوز هذا الحد إلى مستوى لا أملك التعليق عليه حين يقول عن الأئمة ما نصه:

يا كعبة لله إن حجت لها الأمـ ... لاك فعرشه ميقاتها
أنتم مشيئته التي خُلقت بها الأشياء ... بل ذرئت بها ذراتها
أنا في الورى قالٍ لكم إن لم أقل ... ما لم تقله في المسيح غلاتها (١٩٠)

حيث يجعل كاشف الغطاء الأئمة كعبة تحج إليها الملائكة وجعل عرش الرحمن هو ميقاتها، وجعلهم هم مشيئة الله وقدرته التي خُلقت بها الأشياء، بل وقطع على نفسه عهداً أن يقول في الأئمة مالم تقله غلاة النصرانية في المسيح عليه السلام، ولعله بهذه الأوصاف قد وصل إلى ما أراد، والله المستعان.

٢- آية الله العظمى الخميني

يستهل الخميني حديثه عن الأئمة فيقول (إنّ من ضرورات مذهبنا أنّ

---

(١٨٨) المعبر عنه في الآية بالثاني هو أبو بكر الصديق (صاحبه في الغار) وهذا معروف لدى السنة والشيعة.
(١٨٩) سورة التوبة آية ٤٠
(١٩٠) ديوان شعراء الحسين - محمد باقر النجفي ص١٢ ط طهران ١٣٧٤ هـ

لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرّب ولا نبي مرسل وقد ورد عنهم عليهم السلام أن لنا مع الله حالات لا يسعها ملك مقرّب ولا نبي مرسل)[١٩١] وهذا يعني بكل وضوح أنّ الأئمة أفضل من الأنبياء كإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام، والشيعة الاثنا عشرية يستثنون محمد عليه الصلاة والسلام من هذا، فيقولون بأنّ الأئمة الاثنى عشر أفضل من الأنبياء جميعاً ما عدا محمد عليه الصلاة والسلام - عياذاً بالله -!!

وينزه الخميني الأئمة الاثني عشر عن السهو والغفلة فيقول: (الأئمة الذين لا نتصور فيهم السهو أو الغفلة، نعتقد فيهم الإحاطة بكل ما فيه مصلحة المسلمين)[١٩٢] بل يذكر أنّ جميع ذرات الكون خاضعة لهم فيقول (إنّ للإمام مقاماً محموداً، ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون)[١٩٣]

والغريب أن تجد عالمين من قدماء علماء الشيعة قد صرّحا في زمانهما بأنّ القول بعدم جواز السهو على الأئمة هو أول درجات الغلو إلا أنّ هذه العقيدة الآن صارت مقررة في المذهب وصار من يخالفها من أعداء أهل البيت!

ولعل في هذا ما يؤكد مقولة أنّ مذهب الشيعة يتطور عقائدياً على مر الزمان، فكما تطور بالأمس من اختلاف سياسي مع بني أمية حتى صار فيما بعد خلافاً عقائدياً بين الشيعة أنفسهم (الزيدية والاثني عشرية والإسماعيلية والفطحية والواقفية وغيرها)، فإنه تطور كذلك عقائدياً من غلو إلى غلو أكبر على مر الزمن.

يقول ابن بابويه القمي في كتابه (من لا يحضره الفقيه) ما نصه (**إنّ الغلاة والمفوضة لعنهم الله ينكرون سهو النبي** يقولون: لو جاز أن يسهو (أي النبي

(١٩١) الحكومة الإسلامية ص٥٢
(١٩٢) الحكومة الإسلامية ص٩٥
(١٩٣) الحكومة الإسلامية ص٥٢

عليه الصلاة والسلام) في الصلاة لجاز أن يسهو في التبليغ، لأنّ الصلاة فريضة كما أنّ التبليغ فريضة)[١٩٤]

وقد سبق القمي شيخه محمد بن الحسن حيث يقول فيما ينقله عنه تلميذه القمي (أول درجة في الغلو نفي السهو عن النبي ﷺ والإمام)[١٩٥]

تُرى لو كان محمد بن الحسن وتلميذه القمي في زماننا هذا، ماذا تراهم يقولون في كبار علماء مذهب الشيعة ومراجعهم بدءً بخميني وانتهاء بأحدث مرجعية في عالم الحوزات العلمية، حين ترى المرجعيات التي تدعي أنها تمثل خط أهل البيت مجمعة فيما بينها على هذا الغلو وهو عندها أساس للاعتقاد!

يضاف إلى ذلك أمر هو أعجب مما سبق وهو الإيمان بأنّ الأئمة خُلقوا من النور ولم يُخلقوا من أصل الخلقة التي خُلق منها آدم وهي التراب!

تلك معادلة صعبة لم أستطع فك رموزها، ما الغاية التي من أجلها تُغيّر خلقة أهل البيت من صورتها الطبيعية التي فطر الله الناس عليها وعلى رأسهم الأنبياء، إلى هذه الصورة الملائكية؟!

سيسألك أحدهم بكل بساطة: (أليس الله على كل شيء قدير؟).

أقول: نعم .. هو كذلك عز وجل ... لكنه قد جعل لكل شيء سبباً، وليست هذه العبارة ولا غيرها من التبريرات شماعة نعلّق عليها عقائدنا، فلأي غاية يُخلق أهل البيت من نور، بينما يُخلق أنبياء الله من طين، إن قلت ذاك تكريم لهم، أجيبك: وهل في خلقتهم الطبيعية التي خُلق بها الأنبياء أي تنقيص؟!

ولك أن ترى إلى أي حد ذهب الغلو بالخميني حينما تقرأ قوله: (اعلم أيها الحبيب، أنّ أهل بيت العصمة عليهم السلام، يشاركون النبي صلى الله عليه وآله في مقامه الروحاني الغيبي قبل خلق العالم، وأنوارهم كانت تسبح

---

(١٩٤) من لا يحضره الفقيه ١/ ٢٣٤

(١٩٥) من لا يحضره الفقيه ١/ ٢٣٤ وشرح عقائد الصدوق ص٢٦٠

وتُقدّس منذ ذلك الحين، وهذا يفوق قدرة استيعاب الإنسان، حتى من الناحية العلمية، ورد في النص الشريف: (يا محمد، إنّ الله تبارك وتعالى، لم يزل منفرداً بوحدانيته، ثم خلق محمداً وعلياً وفاطمة، فمكثوا ألف دهر، ثم خلق جميع الأشياء، فأشهدهم خلقها، وأجرى طاعتهم عليها، وفوّض أمورها إليهم!! فهم يحلون ما يشاؤون أو يحرّمون ما يشاؤون إلا أن يشاء الله تعالى!!، ثم قال: يا محمد، هذه الديانة التي من تقدّمها مرق، ومن تخلف عنها محق، ومن لزمها لحق، خذها إليك يا محمد).

هذا ما ورد في حقهم عليهم السلام في الكتب المعتبرة، يبعث على تحير العقول، حيث لم يقف أحد على حقائقهم وأسرارهم إلا أنفسهم[(١٩٦)]، صلوات الله وسلامه عليهم!!).[(١٩٧)]

ويقول الخميني في مناسبة ولادة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (أنا لا أستطيع ولا يستطيع غيري التحدث في شخصية أمير المؤمنين عليه السلام. نحن لا نتمكن من إدراك الجوانب المختلفة من هذا الإنسان العظيم. **إنه الإنسان الكامل ومظهر جميع أسماء الله وصفاته وبالتالي فإنّ أبعاده وجوانب شخصيته تكون ألفاً حسب أسماء الله تعالى ونحن لا نستطيع أن نوضح واحداً منها. هذا الإنسان الذي يجمع في نفسه الأضداد، لا يتمكن أحد من التحدث حوله. لذا أرى من الأفضل أن أصمت وأسكت** . . . ثم يقول بعد هذا: (**هذا الموجود، معجزة إلهية لا يستطيع أحد الوصول إلى حقيقته بل الجميع يتكلمون حسب**

---

(١٩٦) وأقول للخميني: (حقيقتهم أنهم بشر مخلوقون وأنّ محمداً عليه الصلاة والسلام النبي الخاتم، أرسله الله عز وجل بالرسالة الخاتمة وأيده بمعجزات تثبت صدقه، وهو كما قال تعالى﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ أما علي وفاطمة فهم من سادة أهل البيت مكانة وشرفاً ورفعة اللهم إلا الغلو الفاحش الذي يريد به الخميني إخراجهم فيه عن طبيعتهم البشرية.
كنا نستنكر في النصارى غلوهم الفاحش في المسيح عليه السلام - وهو نبي الله وروح منه - كيف جعلوه ابناً لله وصرفوا له الدعاء والاستغاثة والاستعانة وجعلوه وسيطاً بينهم وبين الله حتى رأينا من كلام علماء الشيعة ما دعانا للعجب والاستغراب، فتأمل كلام الخميني ثم اقرأ ما ألحقته بعده من كلام للخراساني والتستري وغيرهم لتدرك المصيبة العظمى.

(١٩٧) الأربعون حديثاً للخميني ص٦٥٤ وزبدة الأربعين حديثاً ص٢٣٢ اختصار سامي خضرا.

فهمهم ومقدار إدراكهم والإمام علي عليه السلام غير ما يتصورونه ويتوهمونه أي أننا لا نستطيع أبدا أن نمدحه بما هو هو[١٩٨] . ولهذا فالكل يأخذ بضعة من صفاته المتضادة ويخيل إليه أنه قد عرف أمير المؤمنين عليه السلام إذ ذاك فالأفضل علينا غض الطرف عن التحدث حوله بل نأمل أن نسير في مسير هدايته ونصل إلى بعض هذا الصراط)[١٩٩] .

٣- آية الله العظمى الخوئي

سئل في صراط النجاة السؤال التالي (ترشد بعض الروايات إلى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله والزهراء عليها السلام يحضران مآتم عزاء الإمام الحسين عليه السلام، فما رأي مولانا الكريم، وعلى فرض الورود فهل يشمل حضور بقية الأئمة عليهم السلام؟

أجاب الخوئي: هذا أمر ممكن، وبعض الروايات دلّت عليه، والله العالم![٢٠٠]

٤- آية الله الغظمى جواد التبريزي

يقول في تعليقاته وفتاويه المطبوعة مع صراط النجاة للخوئي إجابة على سائل يقول: (ما رأيكم فيمن يعتقد بأنّ النبي وأهل بيته عليهم السلام كانوا موجودين بأرواحهم وأجسامهم المادية قبل وجود العالم، وأنهم كانوا مخلوقين قبل خلق آدم عليه السلام لا أنّ الله تعالى جعل صورهم حول العرش، فما هو الجواب؟

أجاب التبريزي: كانوا عليهم السلام موجودين بأشباحهم النورية قبل

---

(١٩٨) هذه عبارة اعتدنا أن نرددها في رب العالمين، فنقول كل كمال تتصوره في رب العالمين فالله خير وأكمل من ذلك، فعقولنا لا تدرك هذا الكمال المطلق كما هو وإن أدركت معناه، لكنها عند الخميني تُقال لعلي بن أبي طالب !!

(١٩٩) جريدة رسالت رقم ٦٢٨، ١٢/١٢/٦٦

(٢٠٠) صراط النجاة ج٣ ص٣١٩، سؤال رقم (١٠٠٠)

خلق آدم عليه السلام، وخلقتهم المادية متأخرة عن خلقة آدم، كما هو واضح، والله العالم!!

وسئل أيضاً: هل يجوز الاعتقاد بأنّ الصدّيقة الطاهرة السيدة الزهراء عليها السلام تحضر بنفسها في مجالس النساء في آن واحد، في مجالس متعددة بنفسها ودمها ولحمها ؟

أجاب التبريزي: الحضور بصورتها النورية في أمكنة متعددة في زمان واحد، لا مانع منه، فإنّ صورتها النورية خارجة عن الزمان والمكان، وليست جسماً عنصرياً ليحتاج إلى الزمان والمكان، والله العالم!!![٢٠١]

وسئل أيضاً: هل هناك خصوصية للزهراء عليها السلام في خلقتها، وبالنسبة للمصائب التي جرت عليها بعد أبيها ﷺ من ظلم القوم لها، وكسر ضلعها وإسقاط جنينها، ما رأيكم بذلك؟

أجاب التبريزي: نعم، فإنّ خلقتها كخلقة سائر الأئمة (سلام الله عليهم أجمعين) بلطف من الله سبحانه وتعالى، حيث ميّزهم في خلقهم عن سائر الناس وكانت فاطمة (عليها السلام) في بطن أمها محدّثة وكانت تنزل عليها الملائكة بعد وفاة الرسول ﷺ!!![٢٠٢]

وسئل أيضاً: بالنظر إلى آية المباهلة، وما تضافرت به الروايات والزيارات (كزيارة الجامعة الكبيرة مثلاً) هل يُمكن القول بأنّ الأئمة الاثني عشر والزهراء عليها السلام هم أفضل من الخلق كافة، سوى الرسول الأكرم ﷺ؟

أجاب التبريزي: نعم القول في المزبور متعين بالنظر إلى الآية، والروايات المشار إليها، ويريدها الزيارات.[٢٠٣]

وهذا تصريح من التبريزي بكون الأئمة والزهراء أفضل من الأنبياء عليهم السلام سوى محمد عليه الصلاة والسلام، ولا يخفى ما في هذا من

---

(٢٠١) صراط النجاة ج٣ ص٤٣٩، سؤال رقم (١٢٦٣)

(٢٠٢) صراط النجاة ج٣ ص٤٣٩-٤٤٠، سؤال رقم (١٢٦٤)

(٢٠٣) صراط النجاة – ج٢ ص٥٦٨

الغلو فيهم بل وفي الطعن في أنبياء الله الذين اختارهم لحمل رسالته في تفضيل أهل البيت عليهم.

وسئل أيضاً: ما هو المراد بمصحف فاطمة عليها السلام؟

أجاب التبريزي: المراد بمصحف فاطمة عليها السلام ما ورد في الروايات المعتبرة في الكافي (أنّ ملكاً من الملائكة كان ينزل على الزهراء عليها السلام بعد وفاة أبيها، ويُسليها ويحدثها بما يكون من الأمور، وكان علي عليه السلام يكتب ذلك الحديث فسُمي ما كتب مصحف فاطمة عليها السلام، فهو ليس قرآناً كما توهم، ولا كتاباً مشتملاً على الأحكام، فإنّ هذا التوهم مخالف للنصوص. ولا غرابة في حديث الملائكة مع الزهراء عليها السلام فقد ذكر القرآن أنّ الملائكة حدّثت مريم ابنة عمران ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ﴾ ومن المعلوم أفضلية الزهراء على مريم ابنة عمران، كما ورد في النصوص المعتبرة من أن مريم سيّدة عالمها، وأنّ فاطمة سيّدة نساء العالمين.(٢٠٤)

ونحن في الحقيقة لا نجادل في منزلة ومقام سيدتنا فاطمة، فهي سيدة نساء العالمين بالفعل، لكننا نسأل التبريزي هل يعتقد أنّ الوحي لم ينقطع بعد وفاة رسول الله ﷺ وأنّ جبريل أمين الوحي يمكن أن ينزل على أحد بعد رسول الله ؟!!

ويبدو أنّ التبريزي قد خجل من ذكر اسم الملك الذي نزل على الزهراء في حين أنّ كل الروايات الشيعية التي تذكر هذه الحادثة تنص على أنه جبريل أمين الوحي!

إنّ قياس ما حصل لمريم عليها السلام مع ما حصل لفاطمة عليها السلام قياس غريب جداً، إذ أنّ جبريل عليه السلام لم ينزل على مريم بنت عمران ويحادثها إلا ليبشرها بالمسيح عليه السلام ثم ينفخ في جيبها لتنجب المسيح عليه السلام، فما وجه قياس ما حصل لمريم عليها السلام بحال فاطمة عليها السلام؟!

---

(٢٠٤) صراط النجاة - الجزء الثالث ص٤٤١

ثم إنّ مريم بنت عمران كانت في زمان لم تنقطع به النبوة فلا مانع من نزول جبريل عليه السلام عليها لكن فاطمة عليها السلام بمجرد وفاة خاتم الأنبياء والمرسلين فإنه انقطع الوحي عن أهل الأرض، فكيف ينزل جبريل ويملي عليها وعلى علي هذا المصحف؟ ولماذا جبريل بالذات وكلنا يعلم أنه الملك الموكل بالوحي؟!! ألا يُعدّ هذا طعناً في ختم نبوة محمد عليه الصلاة والسلام والتي من مستلزماتها انقطاع الوحي بوفاته عليه الصلاة والسلام؟!

ثم إنّ الشيعة يستنكرون القياس في العبادات فكيف يجيزونه في العقائد .. عجباً !

إنّ هذه العقائد نموذج حي للغلو الذي دخل على التشيع لأهل البيت باسم حبهم ومناصرتهم.

٥- آية الله العظمى محمد بن مهدي الحسيني الشيرازي

يقول في كتابه (من فقه الزهراء) ما نصه: (ثم إنهم عليهم السلام ومنهم فاطمة (صلوات الله وسلامه عليها) يحيطون علماً وقدرة - بإذن الله تعالى - بالكائنات جميعاً إلا ما استثني، وقد تقدّم في الزيارة الرجبية ما يدل على ذلك، كما في جملة من الأحاديث (يعلمون ما كان وما يكون وما هو كائن)[٢٠٥] فإنه ليس بمحال عقلاً، ويشبه ذلك في الماديات الهواء والحرارة والجاذبية وغيرها)[٢٠٦]

ويقول أيضاً: (كما أنها (صلوات الله عليها) - يعني السيدة فاطمة - تعلم الغيب كسائر المعصومين عليهم السلام حسب مشيئته سبحانه.

ولها ولهم عليهم السلام الولاية التكوينية ومعناها: أنّ زمام العالم بأيديهم عليهم السلام ومنهم فاطمة (سلام الله عليها) حسب جعل الله سبحانه، كما أنّ زمام الإماتة بيد عزرائيل، فلهم عليهم السلام التصرف فيها

(٢٠٥) يعني أن يقول الشيرازي أنهم رب العالمين.

(٢٠٦) من فقه الزهراء - المقدمة ص٣٦-٣٧ تحت عنوان (شمولية علمهم وقدرتهم عليهم السلام)

إيجاداً وعدماً، لكنَ من الواضح أنّ قلوبهم أوعية مشيئة الله تعالى، فكما منح الله سبحانه القدرة للإنسان على الأفعال الاختيارية منحهم عليهم السلام القدرة على التصرف في الكون.

وما نذكره يشمل كل المعصومين عليهم السلام، فإنّ كل الصلاحيات التي كانت للأنبياء عليهم السلام ثابتة للمعصومين عليهم السلام أيضاً، لأنهم أفضل منهم، وفاطمة (صلوات الله عليها) أفضل من جميع الأنبياء عليهم السلام إلا الرسول ﷺ)(٢٠٧)

٦- آية الله العظمى وحيد خراساني

يخاطب الوحيد الخراساني الإمام المهدي بقوله "يا فاعل" ما به الوجود" ويا من أينما كان " ما منه الوجود" (أي الله تعالى) كنت أنت أيضاً هناك، فلا يخلو مكان - بحكم البرهان - من فاعل ما منه الوجود، ولا يخلو مكان منك أنت أيضاً، لأنّ أفعاله تعالى وإن كانت أفعاله ولكنها بواسطتك، فمنه تعالى كل شيء، لأن كل شيء منه لا إله إلا الله، ومنك كل شيء، لأن كل شيء يكون بواسطتك. إننا موحدون. . . لا نعرف شيئا منك، بل نعرف أن كل شيء من الله تعالى، ولكن في عين الحال التي نرى أن كل شيء منه هو، نرى أيضا أن أنفاس صدورنا منه ولكن بك أنت، والنظرة والرؤية التي نتمتع بها، والخطوة التي نخطوها، كلها منه سبحانه وتعالى، ولكنها بك أنت. . . أيتها الرحمة التي وسعت كل شيء" .(٢٠٨)

ويقول الوحيد الخراساني بصراحة مثيرة:

- "إنّ إمام العصر صار عبداً، وعندما صار عبداً صار رباً، فـ " العبودية

(٢٠٧) من فقه الزهراء - المقدمة ص١٢ تحت عنوان (الولاية التكوينية والتشريعية).

(٢٠٨) صفحة ٤١ من كتاب مقتطفات ولائية، ترجمة عباس بن نخي، المحاضرة الثالثة تحت عنوان (صبر الحجة) ألقاها في المسجد- الأعظم بقم بتاريخ ١٣ شعبان ١٤١١ الموافق ١٩٩١/٢/٢٧

جوهرة كنهها الربوبية" فمن ملك هذه الجوهرة تحققت ربوبيته - بالله تعالى لا بالاستقلال - بالنسبة إلى الأشياء الأخرى.(٢٠٩)

وتأييدا لأقواله الباطلة، يستورد الوحيد الخراساني حديثاً من أحد أقطاب الفرقة الخطابية الملعونة والبائدة التي كانت تؤله الإمام الصادق، وهو (المفضل بن عمر) يقول فيه كذباً وزوراً وبهتاناً: " إنه سمع أبا عبد الله (عليه السلام) يقول في قول الله تعالى (وأشرقت الأرض بنور ربها): رب الأرض إمام الأرض. قلت: فإذا خرج يكون ماذا؟ قال: إذن يستغني الناس عن ضوء الشمس ونور القمر ويجتزئون بنور الإمام".(٢١٠)

واستناداً إلى أقوال الغلاة هذه يعتقد الشيخ الوحيد الخراساني: " أنّ إمام العصر هو صاحب مقام الإمامة المطلقة، أي العلم المطلق والقدرة المطلقة والإرادة المطلقة والكلمة التامة والرحمة الواسعة".(٢١١)

ويقول: (لا شك أنّ إمام الزمان جوال في زيارة أولياء الله ولا حجاب أمامه، فمن هو "فاعل ما به الوجود" لا يكون محجوباً).(٢١٢)

ومع أنّ الله عز وجل ينهانا عن دعاء غيره ويقول: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ ويقول: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ و﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ فإنّ الشيخ الوحيد الخراساني يوجه المسلمين وغير المسلمين إلى الاستغاثة بالإمام المهدي، فيقول: " من الضروريات والمسلمات: إنّ كل من تنقطع به السبل ويتيه في صحراء قاحلة لا يهتدي فيها إلى طريق، سواء كان يهودياً أو نصرانياً، أو مسلماً شيعياً او سنياً. لا فرق بتاتاً، إذا ما ندب في ذلك الحين وقال: (يا أبا صالح المهدي أدركني) فإنّ النتيجة قطعية الحصول. . .

(٢٠٩) المصدر صفحة ٣٩
(٢١٠) المصدر صفحة ٦٢
(٢١١) المصدر صفحة ٤٣
(٢١٢) المصدر صفحة ٤٢

والسر في ذلك أنّ الدعاء في تلك الحالة متوجه للإمام حقيقة لأنه نابع عن اضطرار واقعي يخرق الحجب، وفي غير تلك الحالة فإنّ الندبة غير متوجهة إليه! والأمر سيان بين الله وبين سبيل الله، " من منه الوجود" و من به الوجود" والحكم في الحالين واحد، فكما أن التوجه بالدعاء إلى " من منه الوجود" يجب أن يتحقق حتى تتحقق الاستجابة، كذلك الأمر بالنسبة إلى "من به الوجود" فهو السبيل الأعظم والصراط الأقوم، فإنّ التوجه إليه بالدعاء يجب أن يتحقق فتتحقق الاستجابة في ذلك الحين بالضرورة).(٢١٣)

(وإذا اضطر أحد فتوجه إلى (السبيل الأعظم) أي "من به الوجود" للنجاة من صحراء تاه فيها وبلوغ المعمورة، فإنه عليه السلام يرشده إلى الطريق ويدله على ما يجب أن يفعله حتى ينجو . . . لقد اضطرته تلك الحال فلجأ إليه وتوسل به، فينظر عليه السلام إليه نظرة يكون فيها دواؤه وشفاؤه).(٢١٤)

ويغفل الوحيد الخراساني عن حقيقة أنّ النبي ﷺ وبقية الأئمة من أهل البيت كانوا في حياتهم محدودي القدرة ضمن أطر الزمان والمكان ولم يكونوا يخترقون الحجب ولا يمتلكون هذه القدرة الخارقة على نصرة أوليائهم أو المستغيثين بهم، وقد تعرضوا هم إلى أشد ألوان العذاب واستغاثوا بالله تعالى وطلبوا منه النصر والعون.

٧- آية الله العظمى ملا زين العابدين الكلبايكاني

يقول في حديثه عن الأئمة: (فليس في بول المعصومين ودمائهم وأبوالهم وغائطهم استخباث وقذارة يوجب الاجتناب في الصلاة ونحوها كما هو معنى النجاسة، ولا نتن في بولهم وغائطهم بل هما كالمسك الأذفر، بل من شرب بولهم وغائطهم ودمهم يحرم الله عليه النار واستوجب دخول الجنة)!!(٢١٥)

(٢١٣) المصدر صفحة٥٠

(٢١٤) المصدر صفحة ٥١

(٢١٥) أنوار الولاية ص٤٤٠ ط ١٤٠٩ هـ

وهذه دعوة من الكلبايكاني لكل موالي في أن يتمنى لو أنه حصل على شيء من ذاك البول وذاك الغائط حتى تحرم عليه النار ويكون مصيره إلى الجنة!

لن أعلق بل سأترك التعليق لك أيها القارئ.

٨- آية الله الحائري الإحقاقي الراحل

سُئل آية الله الحائري عن معنى كلمة (شديد القوى) في سورة النجم فأجاب (. . . كيف وقد صح، واشتهر عند الإمامية أنّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو معلم جبرائيل في العالم الأول (عالم النورانية) والرواية معروفة لا حاجة إلى ذكرها)[٢١٦]

فهل علّم علي بن أبي طالب جبريل أمين وحي السماء؟!! غلو فاحش وضلال مبين لا يحتاج إلى تعليق.

ويسأله أحد مقلديه قائلاً: (لما مرض النبي صلى الله عليه وآله، مرضه الذي توفي فيه، أوصى إلى أخيه وابن عمه أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: (إذا فاضت نفسي المقدسة فتناولها بيدك وامسح بها وجهك، ثم قال: وإذا مت غسلني وكفني واعلم أنّ أول من يصلّي عليّ الجبار جل جلاله، ثم أهل بيتي ثم الملائكة ثم الأمثل والأمثل من أمتي)، فما معنى إفاضة نفسه، وتناولها بيد علي (عليه السلام) ومسحها بوجهه ثم ما كيفية صلاة الجبار عليه؟ أفيدونا أطال الله بقاءكم.

يأتي جواب الحائري على هذا التساؤل فيقول: (النفس هنا معناها الروح، يعني خرجت روحي من جسدي، فتبارك بها وامسح بها وجهك، ولأنّ روحه الزكية أفضل روح، وأشرف روح بين الأرواح، فهي مباركة طيبة. هذا إذا كانت روحه البشرية وأما إذا كانت النفس اللاهوتية[٢١٧]، فهي التي

---

(٢١٦) الدين بين السائل والمجيب ٢/ ٤٩ سؤال رقم (٢٤٠)

(٢١٧) (اللاهوت) مصطلح استخدمه النصارى ومعناه عندهم (جوهر الله)، والحائري يطلقه على الأئمة دون خجل، ثم يدّعي هو ومن يحذو حذوه بأنهم يتبرأون من الغلو والغلاة!!

تنتقل من معصوم إلى معصوم، بعد وفاة كل منهم، وهي الملك المسدد الذي جاء في أخبارنا.

وفي بعض الروايات تتجسم كالزبدة على شفتي الإمام عند وفاته، فيتناولها الإمام من بعده بفمه ويأكلها.

وفي بعضها: تتجسم كالعصفور فيبلعها وصيه والإمام من بعده، كما جرى ذلك بين الإمامين الرضا والجواد عليهما السلام.(٢١٨)

٩- العلامة جعفر التستري

يقول في كتابه الخصائص الحسينية (اعلم أنّ الله جل جلاله لم يزل متفرداً ولم يكن مخلوق ولا زمان ولا مكان، فلما ابتدأ بخلق أفضل المخلوقات اشتق من نوره نور علي وفاطمة والحسن والحسين - عليهم السلام - وجعل لهم محال متعددة وعوالم مختلفة كما يظهر من مجموع الروايات المعتبرة فمنها: قبل خلق العرش، ومنها: بعده خلق آدم، ومنها: بعده أنوار تارة وأشباح نور تارة، وظلال وذرات وأنوار في الجنة تارة، وعمود نور وأقذف في ظهر آدم عليه السلام تارة، وفي أصابع يده الأخرى، وفي جبينه تارة، وفي جبين كل جد من الأجداد من آدم عليه السلام إلى والد النبي صلى الله عليه وآله عبد الله بن عبد المطلب، وفي جبين كل جدة عند الحمل ممن هو في صلبه من حواء، إلى أم النبي آمنة بنت وهب. ثم إنّ أنوارهم محال متعددة قدام العرش، وفوق العرش، وتحت العرش، وحول العرش، وفي كل حجاب من الحجب الاثني عشر، وفي البحار الأنوار، وفي السرادقات ولبقائهم في كل محل مدة مخصوصة. فمدة وجودهم قبل خلق العرش أربعمائة ألف وعشرون ألف، وزمان كونهم حول العرش خمسة عشر ألف عام قبل خلق آدم عليهم السلام، وزمان كونهم تحت العرش اثنا عشر ألف سنة قبل آدم، وليس المقام مقام هذه التفاصيل فإنه يحتاج إلى كتاب مستقل، إنما المقصود بيان خصائص الحسين عليه السلام في نوره وامتياز نوره من الأنوار في جميع هذه العوالم

(٢١٨) الدين بين السائل والمجيب ٢/ ٧٥-٧٦ سؤال رقم (٢٥٦).

والحالات في الظلال والأشباح والذرات، وحين تجسمه بالشجرة في الجنة والقرط في أذن الزهراء عليها السلام وهي في الجنة في إحدى هذه العوالم.

نقول: إنّ هذه الأنوار في هذه العوالم مصدرها نور النبي ﷺ وامتيازه كون نوره من نوره، فإنه من حسين وحسين منه، وحين افتراقهما قد كان لنور الحسين عليه السلام خصوصية في أن رؤيته كان موجباً للحزن)(٢١٩)

ويقول تحت عنوان (في أنّ الله خصه - عليه السلام - بخصائص الكعبة) بعد مقارنة بين مقام وزيارة الحسين وبين الكعبة ما نصه: (التاسعة: جعل طوافه ركناً من أركان الإسلام فقال ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾(٢٢٠) ومن لم يأت به نقص ركناً من أركان الإسلام، والحسين - عليه السلام - قد جعلت زيارته ركناً من أركان الإسلام والإيمان، فقد ورد في الحديث أنّ تارك زيارته منتقص الإيمان قاطع لحرمة رسول الله ﷺ ورحمه وقد عق رسول الله ﷺ، وفي رواية ليس بشيعة، وفي رواية إن كان من أهل الجنة فهو من ضيفانهم، وفي رواية تارك حقاً من حقوق الله ولو حج ألف حجة، وفي رواية محروم من الخير، وفي رواية بعد أن سمع أحدهم - عليهم السلام - أنّ جماعة من الشيعة تأتي عليهم السنة والسنتان لا يزورونه، قال: حظهم أخطأوا وعن ثواب الله زاغوا وعن جوار رسول الله ﷺ تباعدوا) (٢٢١)

ويقول تحت العنوان نفسه أيضاً (الثالثة عشرة: جعله مطافاً للناس وجعل ثواب الطواف جزيلاً بالنسبة إلى أشواطه وخطواته، وقد زادت فضيلة زيارة الحسين عليه السلام على ذلك أضعافاً كثيرة كما تبين في عنوان الزيارة.

الرابعة عشرة: جعله مطافاً للملائكة كما ورد أنه لما بنى جبرائيل الكعبة بأمر الله طافت حولها الملائكة وهم سبعون ألف ملك كانوا يحرسون الخيمة التي أنزلت من الجنة وبنيت على قواعد البيت التي بناها الملائكة قبل خلق

---

(٢١٩) الخصائص الحسينية (محل نوره بعد خلقه) ص٢٨-٢٩

(٢٢٠) سورة آل عمران آية ٩٧

(٢٢١) الخصائص الحسينية ص٢٩٣

آدم، ورفعت قواعدها بازاء الضراح والبيت المعمور والعرش، ولما نحى الخيمة وبنى جبرائيل البناء الثاني وطافت الملائكة حوله نظر آدم وحواء إليهم فانطلقا وطافا سبعة أشواط، والحسين عليه السلام قد كان مطافاً للملائكة حين كان نوراً مع الأنوار المحدقة بالعرش وكان شفيعاً للملائكة)(٢٢٢)

وتحت العنوان نفسه أيضاً: (التاسعة عشرة: أنّ الكعبة مطاف الأنبياء من آدم إلى خاتم النبيين عليهم السلام كما دلت عليه الروايات الكثيرة المتواترة. وقد ثبت مثل ذلك للحسين عليه السلام بالنسبة إلى جسده تارة وبالنسبة إلى رأسه الشريف وبالنسبة إلى قبره المنيف)(٢٢٣)

ويؤكد التستري على قضية أنّ مرقد الحسين حرم كسائر بيوت الله بل هو عند الشيعة أعظم حرمة من الكعبة بحسب الروايات الشيعية الكثيرة.

يقول التستري: (الثلاثون: أنّ الله خلق مكة واتخذها حرماً قبل دحو الأرض، ولكن قد ورد في كربلاء عن علي بن الحسين عليه السلام أنه قال: اتخذ الله أرض كربلاء حرماً آمناً مباركاً قبل أن يخلق الله أرض الكعبة ويتخذها حرماً بأربعة وعشرين ألف عام، وأنه إذا زلزل الله تبارك وتعالى الأرض وسيرها رفعت كما هي بتربتها نورانية صافية فجعلت في أفضل روضة من رياض الجنة، وأفضل مسكن في الجنة لا يسكنه إلا النبيون والمرسلون، أو قال: أولو العزم من الرسل وأنها لتزهر بين رياض الجنة كما يزهر الكوكب الدري بين الكواكب لأهل الأرض)(٢٢٤)

ويقول أيضاً: (الواحدة والثلاثون: أنّ مكة قد تكلمت وتفاخرت بكرامة الله لها فقالت: من مثلي وقد بني بيت الله على ظهري، يأتيني الناس من كل فج عميق. ولكربلاء فضل على ذلك أنها تفاخرت فأوحى الله إليها أن كفي وقري ما فضل ما فضلت به فيما أعطيت أرض كربلاء إلا بمنزلة الإبرة غمست

---

(٢٢٢) المصدر ص٢٩٦
(٢٢٣) المصدر ص٣٠٠
(٢٢٤) المصدر ص٣٠٦

في البحر فحملت، ولولا تربة كربلاء ما فضلتك، ولولا من تضمنته أرض كربلاء ما خلقتك ولا خلقت البيت الذي به افتخرت فقري واستقري وكوني دنية متواضعة ذليلة مهينة غير مستنكفة ولا مستكبرة لأرض كربلاء وإلا سخت بك وهويت بك في نار جهنم) إلي آخر كلامه.[٢٢٥]

ويقول تحت عنوان (ما أُعطي للأنبياء من الحسين عليه السلام) ما نصه: (اعلم أنه قد أُعطي جميع الأنبياء من الحسين عليه السلام شيئين:

الأول: أنه أسوة لهم. فكان كل واحد منهم إذا أصابته مصيبة تأسى بالحسين عليه السلام وصبر عليها تأسياً بالحسين عليه السلام ولذا قال علي عليه السلام يوماً للحسين عليه السلام يا أبا عبد الله أُسوة أنت قدماً.

الثاني: أن كل ما وقع يعني في شدة فقد حصل الفرج له عند التلفظ باسم الحسين عليه السلام وفي ذلك روايات:

الأول: في قبول توبة آدم عليه السلام حين علّمه الله الأسماء الخمسة فكانت الاستجابة عند قوله بحق الحسين.

الثاني: في سكون سفينة نوح عليه السلام حين أُوحي إليه أن يتوسل بالخمسة فكان الاستواء على الجودي عند قوله وبحق الحسين.

الثالث: في استجابة دعاء زكريا عليه السلام حين قال فهب لي من لدنك ولياً فعلمه الأسماء الخمسة فحصلت البشارة بيحيى عند قوله بحق الحسين.

الرابع: في نجاة يونس من بطن الحوت فإنه دعا بحق الخمسة وحصل نبذه بالعراء عند قوله بحق الحسين.

الخامس: في كشف الضر عن أيوب عليه السلام فإنه حصل عند دعائه متوسلاً بالخمسة ونودي بقوله اركض برجلك هذا مغتسل بارد عند قوله بحق الحسين عليه السلام.

---

(٢٢٥) المصدر ص٣٠٧

السادس: حصول الفداء لإسماعيل فإنه قد ورد أنّ المراد بذبح عظيم هو الحسين عليه السلام ولذلك معنى لا يلزم منه كون إسماعيل أعلى رتبة.

السابع: في خروج يوسف عليه السلام من غيابة الجب فإنه حصل بالتوسل بالخمسة وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه عند قوله (وبحق الحسين عليه السلام).

الثامن: في خروج يوسف من السجن فإنه لما توسل بالخمسة بعد بضع سنين فلما قال (وبحق الحسين) جاء صاحب السجن وقال يا يوسف أيها الصديق أفتنا إلى آخر القصة.

التاسع: في تفريج الغم ليعقوب عليه السلام فإنه لما ضاق عليه الأمر قال: رب أما ترحمني، ذهبت عيناي ونور عيني فأوحي الله إليه (قل اللهم إني أسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين أن ترد علي عيني) فبمجرد التلفظ بالحسين جاء البشير وارتد بصيراً)[٢٢٦]

وهكذا قارن التستري بين أنبياء الله الذين اصطفاهم لحمل رسالاته وبين الحسين ابن ابنة رسول الله، وفرق بين أن يكون الرجل قريباً من رسول الله وكونه سيد شباب أهل الجنة وله من الفضائل ما له وبين أن يقارن بنبي واحد فضلاً عن جميع الأنبياء كما حلا للتستري أن يقارن.

والحقيقة أنّ التستري لم يكتف بمقارنة الإمام الحسين بأنبياء الله عليهم الصلاة والسلام وبأولي العزم من الرسل بل تعدّى ذلك إلى مقارنة بين ما لله رب العباد من القدسية والعظمة سبحانه وبين ما لموت الحسين شهيداً من قدسية حيث يقول تحت عنوان (في خصوصية عطاياه عليه السلام) ما نصه: (الأول: إنّ من صفات الله ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ وله خمس معان،

(٢٢٦) الخصائص الحسينية ص٣٦٢

وقد أُعطي الحسين عليه السلام ما يناسب ذلك، فإن من شيء إلا وقد بكى لمصيبته ولكن لا نفقه بكاءهم فبكاء كل شيء بحسب حاله، ولا ينحصر في تقاطر الدمع من العين، فبكاء السماء تقاطر الدم، وبكاء الأرض أنّ كل حجر يُرفع يرى تحته دم، وبكاء السمك خروجها من الماء، وبكاء الهواء إظلامها، وبكاء الشمس كسوفها، وبكاء القمر خسوفه كما ورد كل ذلك في الروايات)[٢٢٧]

ولا يخفى على القارئ اللبيب أنّ التستري فيما نقلناه عنه قد أتعب من بعده في أن يأتي بغلو مشابه أو أكبر، اللهم إلا التصريح بألوهية الأئمة أو أنهم أبناء الله أسوة بالنصارى القائلين بأنّ المسيح عليه السلام ابن الله الإنسي.

(٢٢٧) المصدر ص٧٢-٧٣

طلاسم في كتب الأدعية والاستشفاءات!

سئل الخوئي عن حكم الاعتقاد بالطلاسم الموجودة في كتب الأدعية وغيرها فأجاب كما هو مسطّر في أجوبة استفتاءاته: (لا نعرف ما هذه الطلاسم، وإن كانت من أنواع السحر فهي محرّمة وإلا فمباحة!)[(٢٢٨)]

فقيّد الخوئي حرمة الاعتقاد بالطلاسم والتدين بها ما إذا كانت من أنواع السحر، دون أن يستنكر على السائل اعتباره هذه الطلاسم وأمثالها من الخرافات جزء من أدعيته أو استشفاءاته وعقيدته، بل أعطاه صكاً بجواز الانتفاع بها إن لم تكن سحراً، وهذا بحد ذاته أمر خطير يندى له الجبين، وثمرته لا تخفى على كل بصير.

ومن غير المعقول أن يكون الخوئي وهو من هو في العلم عند الشيعة حتى أُطلق عليه اسم (أستاذ الأساتذة) وكان زعيماً للحوزة العلمية في النجف أن لا يكون قد مر عليه في حياته كتاب مفاتيح الجنان أو الدعوات لابن طاوس أو غيرها من كتب الأدعية حتى لا يعي ما معنى الطلاسم ومن يُخاطب بتلك الطلاسم!

بل كان تصريح الخوئي منصباً على كتاب (ضياء الصالحين) على وجه الخصوص والذي لم يطلع الخوئي على طلاسمه، غاية ما في الأمر أنّ الخوئي أفتى بجواز الانتفاع بهذه الطلاسم وعليك أن تدرك ماذا يمكن أن يستفيد العامي من هذه الطلاسم عقائدياً وفكرياً!

وقد كانت تمر عليّ قبل قراءتي لهذه الفتوى بعض الطلاسم والخرافات الغريبة العجيبة، وكنت أظن أنّ لعلماء الشيعة موقفهم المتشدد تجاه هذه

---

(٢٢٨) صراط النجاة في أجوبة الاستفتاءات - الجزء الثاني ص٤٤٠ سؤال رقم ١٣٨١

الخرافات العابثة بعقائد الناس، لكني ما لبثت أن أدركت أنّ علماء الشيعة لا يبيحون هذه الطلاسم للناس فحسب بل يصنفون المصنفات فيها ويحضون عامة الناس على الاستشفاء بها أحياناً !

وإليك أيها القارئ نماذج من الطلاسم التي مررت عليها أثناء القراءة.

في كتاب أكسير الدعوات وتحت باب (أدعية الاستشفاء)[٢٢٩] وجدت الطلسم التالي: (يكتب على الرق ويعلّق عليه (هف هف هد هد هف هف هات هات أنا له كف كف قل هو الله الغالب من حيث يستحسر العدو إبليس شح لبني آدم كما الذي سجد لآدم الملائكة بإذن الله، إنه كريمة بنت كريمة وولد بن فلان بن فلان شددت شددت بسورة بسورة صفه صفه ختمت، نما تم سليمان بن داوود لله رب العالمين) !

وينصح السيد عبد الله البوشهري أهل التوحيد قائلاً: (اكتب هذه الكلمات في اليوم السابع من كل شهر واجعلها في كيسك يدفع عنك الفقر إن شاء الله وقد جربناه، بسم الله الرحمن الرحيم، يا معز كل ذليل ذو الطول قال: وحاصله بعد البسملة، يا معز كل ذليل ست مرات وذو الطول ست مرات، وحرف اللام ثلاث وعشرون مرة والطلسم المرقوم (ثم ذكر الطلسم))[٢٣٠]

فبالبداية استعانة بالرحمن وبالنهاية استعانة بمن لا نعلم !

ومنها لمنع نزف الدم يُكتب للمريض (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم، انقلب يا دم لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم هج هج لح هج لحطاس هي حطاس)[٢٣١]

---

(٢٢٩) أكسير الدعوات ص١٤٠ أدعية الاستشفاء (الدعاء لمن يبول عند النوم).

(٢٣٠) التحفة الرضوية ص٤٦

(٢٣١) أكسير الدعوات ص١٤٥ أدعية الاستشفاء (الدعاء لقطع نزف الدم)

انظر إلى العبث بكتاب الله، فأين قول الله تعالى ﴿وما محمد إلا رسول﴾ الآية من طلاسم الشيطان وخرافات المخرّفين !

ومنها ما هو مروي عن الإمام الصادق لتزويج العانس - ونحن نجل الإمام الصادق عن هذا الكذب- (عن الإمام الصادق عليه السلام في رواية أخرى أنه قال: من بقيت لديه ابنة في المنزل فليكتب سورة الأحزاب على رقّ غزال وليضعها في حلقة وليغلق باب تلك الحلقة جيداً وليخفها في منزل تلك البنت فستجد زوجاً)(٢٣٢)

وكذلك (يكتب سورة (إنا فتحنا) إلى قوله تعالى ﴿عزيزاً حكيماً﴾ بزعفران على لباس الفتاة ستجد زوجاً. ولمثله يكتب ويعلّق عليها (البسملة) عشر مرات وعشر واوات وثلاث ميمات وثلاث لامات وثلاث خواتيم سليمان)(٢٣٣)

وهذا سحر وليس بطلسم، والمكتبات الإسلامية الشيعية هي الناشرة لهذا الكتاب ! وعلماء الشيعة سكوت !

وفي كتاب مهج الدعوات ومنهج العبادات طلسم آخر عنونه المؤلف بعنوان (حرز آخر لمولانا ومقتدانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب)، ويعتبر مؤلف الكتاب ابن طاووس من كبار علماء الشيعة الإمامية ومن المتقدمين حيث كانت وفاته سنة ٦٦٤ من الهجرة.

يقول الطلسم (يكتب ويشد على العضد الأيمن وهو: بسم الله الرحمن الرحيم أي كنوش أي كنوش ما طيطاسالوس خيطوس مسفقلس ممساصعوس الطيعوس بالاسم المكتوب على جبهة إسرافيل اطردوا عن صاحب هذا الكتاب كل جني وجنية وشيطان وشيطانة وتابع وتابعة وساحر وساحرة وغول

---

(٢٣٢) أكسير الدعوات ص١٥٥ أدعية إكثار النسل (الدعاء لمن أراد تزويج بناته وأهله)
(٢٣٣) أكسير الدعوات ص١٥٥ أدعية إكثار النسل (الدعاء لتزويج البنت والمرأة)

وغولة وكل متعبث وعابث يعبث بابن آدم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلّي العظيم وصلّى الله على محمد وآله أجمعين الطيبين الطاهرين) ثم رسم للطلسم وبعدها (خير خير خير خير ثم ثم سرجه حلدا مل . .)[٢٣٤]

فانظر إلى هذا العبث وهذه الخزعبلات واحمد الله أن جعل لك عقلاً يبرأ الإمام علياً وأهل البيت عن هذا الافك.

وهناك طلسم آخر في الكتاب ذاته بعنوان (حرز الإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام)) ذكر فيه ما نصه: (يكتب ويشدّ على العضد: أعيذ نفسي بربي الأكبر مما يخفى ويظهر ومن شر كل أنثى وذكر ومن شر ما رأت الشمس والقمر) ثم رسم المؤلف شكلاً للطلسم ثم قال (يا حي يا قيوم يا ديّان يا ديّان يا إهيا أشرا إهيا آذونا أصباوث آل شداى) ثم رسم طلسماً آخر وقال (أسألك بحق هذه الأسماء الطاهرة المطهّرة أن تدفع عن صاحب هذا الكتاب جميع البلايا وتقضي حوائجه إنك أنت أرحم الراحمين وصلوات الله على محمد وآله الطاهرين اللهم كهكهيج بعسط مهحما مسلع وروره مهفتام وبعونك إلا ما أخذت لسان جميع بني آدم وبنات حواء على فلان بن فلان إلا بالخير يا أرحم الراحمين فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم وصلى الله على محمد وآله الطاهرين)[٢٣٥]

أما العدو فله طلسم آخر (ومما ينفع لهلاك العدو يقرأ يوم الأربعاء حين طلوع الشمس (بسم الله الرحمن الرحيم يا أبا الغوث أغثني ناد علياً مظهر العجائب تجده عوناً لك في النوائب كل هم وغم سينجلي بولايتك يا علي يا علي يا علي) إحدى وأربعين مرة ثم ينفخ باتجاه منزل المقصود فإنه يهلك أو يُذل)[٢٣٦]

---

(٢٣٤) مهج الدعوات ومنهج العبادات لابن طاووس ص٢٠-٢١ (حرز مولانا ومقتدانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب).

(٢٣٥) نفس المصدر ص٣٠-٣١ (حرز الإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام)).

(٢٣٦) أكسير الدعوات ص١٧٩ أدعية الأمان من السلطان والأعداء (الدعاء على الظالم).

أقول: قال الله تعالى ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾(٢٣٧)، وقال تعالى ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾(٢٣٨) وقال عز من قائل ﴿وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦۗ﴾(٢٣٩)، فوالله لن تستطيع هذه الطلاسم ولن يستطيع الإنس والجن على نصرة أحد منا أو إهلاكه إلا بأمر الله، ولن ينتصر المسلم بهذه الخزعبلات والطلاسم بل بتصحيح عقيدته ونصرة دينه.

ولعله من المضحك المبكي في هذه الطلاسم أنها تطلب النصرة والغوث من الإمام علي بن أبي طالب، ويتصور الجاهل أنها ستنفعه وأنّ علياً سينصره، في حين أنك لو حدّثته عن الخلافة وعن الصحابة وسألته لماذا لم ينتصر الإمام علي على مخالفيه، ولماذا قُتل الحسين شهيداً ولم يفتك بيزيد لقال لك (لم يجد الإمام علي من ينصره) وتذكر الحسين وردد لك عبارة حفظها منذ الصغر يقول فيها (ألا من ناصر ينصرني)، فمن لا يستطيع أن ينصر نفسه كيف له أن ينصرك أيها المخدوع؟!

ونرجع لنقول ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ١٩٤﴾.(٢٤٠)

---

(٢٣٧) سورة فاطر آية ١٠

(٢٣٨) سورة محمد آية ٧

(٢٣٩) سورة آل عمران آية ١٦٠

(٢٤٠) سورة الأعراف آية ١٩٤

الخلافة والإمامة

(أيها الناس: إنّ أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه، وأعلمهم بأمر الله فيه، فإن شغب شاغب استعتب، فإن أبى قوتل. ولعمري لئن كانت الإمامة لا تنعقد حتى تحضرها عامة الناس: ما إلى ذلك من سبيل، ولكن أهلها يحكمون على من غاب عنها: ثم ليس للشاهد أن يرجع، ولا للغائب أن يختار).

نهج البلاغة

الخلافة والإمامة

إنّ وجود نظام يكفل للمجتمع كيانه ويحفظه من الفوضى ضرورة لازمة لاستمراريته وبقائه وحفظ كيانه من الاندراس.

يوضح ابن خلدون ماهية هذا النظام فيقول: (قوانين سياسية مفروضة يُسلّمها الكافة وينقادون إلى أحكامها، فإذا خلت الدولة من مثل هذه السياسة لم يستتب أمرها ولم يتم استيلاؤها ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ﴾)[241]

والمسلمون بشتى توجهاتهم المذهبية ومشاربهم الفكرية مجمعون على أهمية وجود النظام وكونه ضرورة لا غنى عنها، بل كل من لديه مسحة عقل لا يجادل في هذا أصلاً!!

ولذلك تجد أنّ الخلاف السني الشيعي حول قضية الإمامة ليس منصباً على ضرورة وجود إمام يقود الأمة أو عدم وجوده، إذ كلا الفريقين يرى وجود إمام وقائد للأمة الإسلامية أمراً لا بد منه ولا محيص عنه، لكن مفترق الطريق بين الفريقين منصبّ على نمط هذه الإمامة . . هل لها القدسية التي أعطاها الله عز وجل للنبوة بحيث يكون أمر الحاكم تماماً لو كان النبي عليه الصلاة والسلام موجوداً، لا يخالف، ولا يعارض، ولا يُتصور فيه الخطأ ولا حتى النسيان أم أنها لا تعدو أن تكون ضرورة دينية واجتماعية لحفظ نظام المجتمع الإسلامي؟ هل تنحصر باثني عشر رجلاً منذ وفاة رسول الله ﷺ إلى قيام الساعة أم أنها غير محددة الحكام بحسب حاجة الأمة والتغيرات السياسية التي تحوطها وتتجدد معها؟ هل تنعقد بالنص الإلهي على أشخاص محددين أم بنظام الشورى الإسلامي وبضوابط شرعية تكفل أن لا يتصدر الحكم إلا من هو أهل له؟

هنا يكمن الخلاف، وهنا تتشعب القضية بل وتصل إلى طريق مسدود

---

(٢٤١) مقدمة ابن خلدون (فصل ٢٥ –ص٢٣٨) والآية من الأحزاب ٣٨

يوم أن تنتقل القضية المتنازع عليها من إطار الخلاف الفقهي إلى إطار الخلاف العقائدي بحيث تصير الإمامة أصلاً لقبول أعمال العباد عند خالقهم، وأصلاً في معرفة الدين، وأصلاً في تقييم صحابة الرسول وزوجاته وخلفاء المسلمين وعلماء الأمة والفتوحات الإسلامية!!

فقضية تنصيب خليفة على المسلمين يراها أهل السنة والجماعة ضرورة اجتماعية لحفظ دين المجتمع وكيانه كما قرر ذلك جمع من علمائهم.[٢٤٢]

ولكنها عند الشيعة الاثني عشرية لها شأن آخر، يصفها كاشف الغطاء بأنها (منصب إلهي كالنبوة)[٢٤٣]، وفي أحاديث الكافي الذي يُعتبر عند الشيعة الأمامية أهم كتب الحديث تعلو الإمامة في أحاديث هذا الكتاب على مرتبة النبوة[٢٤٤]، وهذا ما يُجاهر به علماء الشيعة الإمامية، يقول نعمة الله الجزائري (الإمامة العامة التي هي فوق درجة النبوة والرسالة).[٢٤٥]

ويقول آية الله هادي الطهراني: (الإمامة أجل من النبوة)[٢٤٦] بل إنّ الإمامة ليست من أصول الدين فحسب ولا ركناً من أركانه بل جاءت روايات شيعية لتجعل ولاية الأئمة الاثني عشر أعظم أركان الإسلام!

روى الكليني بسند موثق عن أبي جعفر قال: (بني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية، ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية، فأخذ الناس بأربع، وتركوا هذه - يعني الولاية)[٢٤٧]

---

(٢٤٢) غاية المرام للآمدي ص٣٦٣، مقدمة ابن خلدون ٣/ ١٠٨٠
(٢٤٣) أصل الشيعة وأصولها ص٥٨
(٢٤٤) الكافي ١/ ١٧٥
(٢٤٥) زهر الربيع ص١٢
(٢٤٦) ودايع النبوة ص١١٤
(٢٤٧) الكافي - كتاب الإيمان والكفر - باب دعائم الإسلام ٢/ ١٨ رقم ٣، علّق صاحب الشافي شرح الكافي على الحديث فقال (موثق كالصحيح) والحديث الموثق معتبر عند الشيعة كما هو الحال في درجة الحديث الحسن عند أهل السنة.

وورد الحديث بذاته بسند آخر مع زيادة (قلت (أي الراوي): وأي شيء من ذلك أفضل؟ فقال: الولاية أفضل)[(٢٤٨)]

ووردت رواية ثالثة بنحو الرواية الأولى مع زيادة تقول: (فرخص لهم في أشياء من الفرائض الأربع ولم يُرخّص لأحد من المسلمين في ترك ولايتنا، لا والله ما فيها رخصة)[(٢٤٩)] بل وصلت الأخبار إلى أكثر من هذا حينما قالت: (عُرج بالنبي ﷺ بالولاية لعلي والأئمة من بعده أكثر مما أوصاه بالفرائض)![(٢٥٠)]

هذه الروايات الشيعية ومثيلاتها في كتب الشيعة كانت كفيلة بأن تجعل الإمامة هي الحكم على إيمان الرجل أو كفره وأن تجعل المسلم معرضاً للاتهام بالكفر لمجرد اختلافه مع الشيعة الإمامية في عقيدة الإمامة التي يعتقدونها، ولذا رأينا بعض كبار علماء الشيعة الإمامية السابقين واللاحقين يصرّحون بهذه الحقيقة المرّة.

يقول ابن بابويه القمي في رسالته (الاعتقادات): (واعتقادنا فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه كمن جحد نبوة جميع الأنبياء، واعتقادنا فيمن أقر بأمير المؤمنين وأنكر واحداً من بعده من الأئمة أنه بمنزلة من أقر بجميع الأنبياء وأنكر نبوة محمد صلى الله عليه وآله).[(٢٥١)]

ويقول يوسف البحراني في موسوعته (الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة): (وليت شعري أي فرق بين من كفر بالله سبحانه وتعالى ورسوله وبين من كفر بالأئمة عليهم السلام مع ثبوت كون الإمامة من أصول الدين).[(٢٥٢)]

---

(٢٤٨) الكافي (كتاب الإيمان والكفر) باب دعائم الإسلام ٢/ ١٨، وهو حديث صحيح السند كما صرح بذلك علماء الشيعة (انظر الشافي شرح الكافي ٥/ ٥٩)، وقد ورد الحديث في (تفسير العياشي ١/ ١٩١، البرهان ١/ ٣٠٣، بحار الأنوار ١/ ٣٩٤)

(٢٤٩) الكافي ٢/ ٢٢، قال المجلسي في مرآة العقول ٤/ ٣٦٩ (حديث صحيح)

(٢٥٠) بحار الأنوار ٢٣/ ٦٩

(٢٥١) الاعتقادات ص١٠٣

(٢٥٢) الحدائق الناضرة ١٨/ ١٥٣

ويقول المجلسي في موسوعته الحديثية بحار الأنوار ٢٣/ ٣٩٠ (اعلم أنّ إطلاق لفظ الشرك والكفر على من لم يعتقد إمامة أمير المؤمنين والأئمة من ولده عليهم السلام وفضل عليهم غيرهم يدل أنهم مخلّدون في النار).

وبهذا التشعب الكبير يسير الفريقان في خطين متوازيين، لا يلتقيان!!

وكباحث قد أخذ على نفسه العهد بأن يسعى قدر الطاقة لرتق هذه الفجوة، كنت استقرأ النصوص وأبدي تساؤلات على كل قضية يطرحها الطرفان.

وقد كنت أقول لبعض من ألتقي بهم (إنه من السهل عليّ أن أتعصب لطائفة دون أخرى، وأكتفي بكتاب أو كتابين قد ضللا الطائفة المقابلة كي أحكم عليها دون أن أزعج نفسي أو أكلفها مشقة القراءة والبحث لكني لم أفعل هذا ولم أرتض لنفسي أن تسلك هذا المسلك).

لقد كنت مقتنعاً منذ البداية أنّ الطريق الذي أسير فيه والذي لا أعرف إلى أين نهايته، أنه لا يأتي لي إلا بخير ما دمت قد حزمت أمري متوكلاً على الله وباذلاً السبب في البحث عن الحق، فإنّ للحقيقة نوراً ساطعاً، وبريقاً لامعاً لا تخفيه الغيوم.

كنت مقتنعاً بأنّ الحقيقة واضحة جلية، لن تحتاج إلى نقاشات مطوّلة تستهلك طاقات الأمة ويُحار فيها الفريقان (السنة والشيعة) لإثباتها أو نفيها.

وكان الشعور يراودني بأنّ الخط الفاصل بين الحق والباطل والذي تُعرف به الحقيقة من غيرها موجود لا خفاء فيه، ولكننا في غمرة التعصب المذهبي وغياب الموضوعية والتربّي على التراشق بالتهم غفلنا عن إدراكه.

وإذا كان الله عز وجل قد وضع بيننا كمسلمين وبين جميع الأمم الكتابية منها وغير الكتابية معاييراً وأسساً يتفق عليها الطرفان، وتكون حجة للمسلمين على غيرهم من أهل الملل، تبياناً للحق الذي جاء به الإسلام وكشفاً للباطل الذي عليه باقي الأديان، فكيف لا يضع لأمة يطالبها بالوحدة أسساً تتحد عليها ومعياراً يُعرف به الحق من الباطل؟!

ومن يتصفح القرآن ويعيش مع آياته العظام ويراه وهو يناقش النصراني

واليهودي ويراه وهو يناقش عابد الصنم وعابد القبر والدواب يدرك لأول وهلة بأنّ الله عز وجل لا يترك الحقيقة معمّاة يتخبط الناس في طلبها وسلوك طريقها بل يرسم حداً فاصلاً بين الحق والباطل.

وإذا كان الله عز وجل عالم الغيب والشهادة بعلمه الأزلي قد علم أننا سنختلف كأمة مسلمة إلى سنة وشيعة، أيُظن به أن يتركنا دون وضوح تام بين الحق الذي جاء به محمد عليه الصلاة والسلام وبين الباطل الذي أحدثته الأهواء والعصبيات؟ حاشا رب العزة ذلك.

إذاً أين الطريق؟ وأين الحق في قضية كقضية الإمامة ؟، إذا كنا كسنة وشيعة لا نثق بأوثق كتب الحديث عند الطرفين؟، فلا الشيعة يؤمنون بأحاديث صحيح البخاري ولا باقي كتب أهل السنة والحال كذلك مع أهل السنة، لا يؤمنون بأحاديث الكافي ولا بباقي كتب الإمامية الحديثية ؟!! أما من خيط يتمسك به الطرفان ويزيل الغموض ويُعرف به الحق من الباطل ؟!!

إنّ الأمر الذي يتفق عليه أهل السنة مثلاً مع فرقة تؤمن بأحاديثها هو القرآن والسنة، وكذلك الحال مثلاً بين الشيعة الإمامية وأي فرقة تتفق معها في الإقرار بإمامة إمام من الأئمة فالحجة في القرآن وفي قول الرسول والإمام الذي يتفقون على إمامته، وإذا جئنا لنطبق النظرية ذاتها على السنة والشيعة فإننا نلحظ خلافاً واضحاً حول مفهوم السنة وتوثيق رواتها لا يمكن تجاهله، فالاستشهاد بالسنة في هذه الحال إن لم يفتقد الحجية على الطرفين فهو على الأقل طريق متشعب يجرنا إلى نقاشات مطوّلة وجدال وسجال نحن في غنى عنه، في حين أنّ الحقيقة ليست بذاك الخفاء لكي تحتاج إلى جهود مضنية لإثباتها من مصدر يختلف في فهمه الطرفان.

إنّ الأمر الذي يمكن أن يزيل الشك ويثبت الحقيقة للطرفين ويغلق بدوره ملف نقاش نَصية الإمامة من عدمها إلى أبد الآبدين هو القرآن الكريم.

فالقرآن كما أخبر رب العزة قد بينّ أصول العقائد وحقائقها وهو التبيان لكل شيء، يقول تعالى ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾(٢٥٣) ويقول واصفاً كتابه بأنه لم يفرّط في قضية يقوم عليها الدين بقوله ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ﴾.(٢٥٤)

إنّ العقل والمنطق السليم يحضانا كسنة وشيعة إلى التحاكم إلى القرآن الكريم ليرفع عنا الخلاف، خصوصاً وأنه وحده الذي يمكن أن يفض النزاع لعدم اتفاقنا على أصول أخرى سواه.

وما أجمل قول الإمام الصادق: (إنّ الله تبارك وتعالى أنزل في القرآن تبيان كل شيء، حتى والله ما ترك شيئاً يحتاج إليه العباد، حتى لا يستطيع عبدُ أن يقول: لو كان هذا أُنزل في القرآن، إلا وقد أنزله الله فيه)(٢٥٥).

فإن كان الأمر كذلك فإنّ المرء ليتساءل عن سند هذه العقيدة، فكتاب الإسلام العظيم (القرآن) تُذكر فيه مرات وتؤكد كرات (الصلاة والصيام والزكاة والحج) ولا ذكر فيه لشأن الأئمة الاثني عشر أو الإمامة من بعد الرسول رغم كون الإمامة كما تقول النظرية الشيعية أعظم أركان الدين !!

أو ليس من العجيب أن يذكر القرآن تفاصيل طريقة الوضوء ويُصنّف أنواع المحرّمات من الطعام والشراب ويتحدث عن الجهاد تارة وعن السلم تارة أخرى ويناقش القضايا الأخلاقية ثم يتجاهل إمامة الاثني عشر التي يصفها آل كاشف الغطا بأنها (منصب إلهي كالنبوة)!!

إنّ هذه النصوص القرآنية قد شهدت بكل وضوح بأنّ القرآن الكريم لم يفرّط في قضية يحتاج إليها البشر، فكيف يفرّط في قضية الإمامة النصية التي تذكرها الشيعة الإمامية ثم يتركها لعلمائهم لكي يصيغوها ويجددوا معالمها مع كون النص على الأئمة من الله لا منهم!!

---

(٢٥٣) سورة النحل آية ٨٩

(٢٥٤) سورة الأنعام آية ٣٨

(٢٥٥) الكافي ١/ ٥٩ وتفسير القمي ٢/ ٤٥٢

وكأني بالإمام علي بن أبي طالب وهو يرد على الخوارج في استدلالاتهم العقائدية التي لم ينطق بها القرآن يرد كذلك على الذين جعلوا إمامة الاثني عشر أعظم شيء في الدين وعليها يقوم دين المسلمين، في حين أنّ القرآن لم ينطق بها ولم يتطرق إليها بل نص على ما يناقضها!

يقول الإمام علي بن أبي طالب (أم أنزل الله سبحانه ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه! أم كانوا شركاء له، فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضى؟! أم أنزل الله سبحانه ديناً فقصّر الرسول ﷺ عن تبليغه وأدائه، والله سبحانه يقول ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ وفيه تبيان كل شيء)[٢٥٦].

(٢٥٦) نهج البلاغة للشريف الرضي - خطبة رقم ١٨ ص٦١ (في ذم أهل الرأي)

لا ينال عهدي الظالمين

لا يكاد يُطرح موضوع الإمامة في كتب الشيعة الإمامية عادة إلا مقروناً بالاستدلال بقوله تعالى ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾(٢٥٧).

وتأتي بعد ذلك النظرية الإمامية للآية لتحاول من خلالها إثبات إمامة الأئمة الاثني عشر وبطلان إمامة من سواهم!!

قد تتساءل كيف؟ ومن حقك أن تتساءل طالما لم تر في النص ما يدل على إمامة الاثني عشر من بعد رسول الله ﷺ، لكن النظرية الإمامية صاغت استدلالها بالآية من خلال الجزئية الأخيرة منها (لا ينال عهدي الظالمين).

تقول النظرية: إنه لا ينال الإمامة ظالم، والذنب ظلم، وما دام الأمر كذلك فيتعين أن يكون خليفة المسلمين معصوماً عن اقتراف الذنوب والخطايا حتى ينال عهد الله (الإمامة) بل ينبغي لإمام المسلمين فوق هذا كله أن لا يخطئ ولا يسهو ولا ينسى، ولا يتحقق هذا إلا في الأئمة الاثني عشر.

وهنا يتضح للقارئ كيف استطاعت النظرية الإمامية اشتراط العصمة للخليفة باستخدام قياس غريب!

إذ ما الداعي لعدول النظرية عن اشتراط العدالة في خليفة المسلمين بدل من اشتراط عصمته!!

فإنّ نقيض الظلم هو العدل لا العصمة!

غير أنّ الخطأ الجلي الذي وقعت فيه النظرية لا يتركز على هذه النقطة فحسب بل على اتخاذ هذه الآية دليلاً على قضية الخلافة!

---

(٢٥٧) سورة البقرة آية ١٢٤

إنّ الله عز وجل حينما خاطب ابراهيم عليه السلام بقوله ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ لم يجعله بهذه الآية إماماً يأتم به قومه بعد أن لم يكن كذلك، إذ أنّ كل الأنبياء هم أئمة لأقوامهم يأتمون بهم في كل ما يأمرون به وينهون عنه، ومن المحال أن يُراد بالإمامة هنا وجوب الاتباع لأنّ كل نبي لا بد أن يكون مطاعاً كما قال الله تعالى ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾(٢٥٨).

إذن ما الجديد الذي أضفته هذه الإمامة المذكورة؟

لقد بيّن الله عز وجل أنّ الإمامة قد أُعطيت لإبراهيم عليه السلام بعد أن ابتلاه الله، ومن أهم الابتلاءات التي ابتلي بها إبراهيم عليه السلام أمر الله له بذبح ابنه اسماعيل والتي ذكرها القرآن الكريم بقوله ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾﴾(٢٥٩) وقد حدث هذا الابتلاء لإبراهيم عليه السلام قبل أن يمنّ الله عليه بالإمامة.

ثم ابتلاه الله عز وجل بكلمات (اختلف المفسرون فيهن) فقام بهن على أكمل وجه كما قال تعالى ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾(٢٦٠) فجعله الله إماماً للحج كما قال تعالى ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾(٢٦١).

يقول الشيخ السعدي: (وقد فعل الخليل عليه السلام، ثم من بعده ابنه محمد صلى الله عليه وسلم، فدعيا إلى حج هذا البيت، وأبديا في ذلك وأعادا، وقد حصل ما وعد الله به، أتاه الناس، رجالاً وركباناً من مشارق الأرض، ومغاربها)(٢٦٢).

فلا يُذكر إبراهيم عليه السلام إلا ويُذكر الحج فهو الرافع لقواعد بيت الله

---

(٢٥٨) سورة النساء آية ٦٤

(٢٥٩) سورة الصافات آية ١٠٦

(٢٦٠) سورة النجم آية ٣٧

(٢٦١) سورة الحج آية ٢٧

(٢٦٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٧٢٩

والمؤذن للحج ليأتم الناس كلهم به في مناسكهم فكان أول من ائتم به هو ابنه إسماعيل عليه السلام ثم الناس جميعاً.

قال تعالى ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾(٢٦٣).

وإبراهيم عليه السلام هو ملتقى الديانات الثلاث (اليهودية، النصرانية، الإسلام) فلذلك كان اليهود والنصارى يتنازعون إمامة إبراهيم عليه السلام لهم فقال لهم رب العالمين ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾(٢٦٤).

فهو عليه السلام إمام الحنفاء الموحدين كلهم، وهذا هو في الحقيقة التجسيد الفعلي لمعنى الآية.

ولذا كثيراً ما ترى أنبياء الله يشيرون إلى ابراهيم عليه السلام وإلى ملته، في إشارة منهم إلى تلك الإمامة الدينية.(٢٦٥)

فقد كان إبراهيم عليه السلام إماماً للناس جميعاً في الحج وفي ما بثه في الناس من معاني التوحيد الرائعة التي ذكرتها آيات القرآن الكريم كموقفه مع النمرود وفي الاستدلالات العقلية على قومه وفي موقفه مع أبيه وفي ترسيخه معنى الولاء والبراء في الدين كما قال تعالى ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا

---

(٢٦٣) سورة البقرة آية ١٢٧

(٢٦٤) سورة آل عمران آية ٦٧ - ٦٨

(٢٦٥) انظر مثلاً: سورة يوسف آية ٣٨ وسورة البقرة ١٣٣ وسورة الممتحنة آية ٤ وسورة الحج آية ٧٨

﴿قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝٤﴾(٢٦٦).

وفوق ذلك خصال الفطرة التي هي سنة إبراهيم عليه السلام كما قال عليه الصلاة والسلام: (خمس من الفطرة: الختان والاستحداد وتقليم الأظفار ونتف الإبط وقص الشارب)(٢٦٧).

ففي هذه القضايا العقدية والتعبدية كان إبراهيم عليه السلام إماماً للناس جميعاً أما نبوته والأحكام الشرعية المرتبطة بها فهي لقومه الذين بُعث فيهم فحسب، فإنّ إبراهيم عليه السلام لم يُبعث إلا لقومه كما قال نبينا عليه الصلاة والسلام (أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود، وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض طيبة طهوراً ومسجداً، فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان، ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر، وأعطيت الشفاعة)(٢٦٨).

وفي هذا يقول ابن قيم الجوزية: (وقال لإمامهم وشيخهم إبراهيم خليله ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٢٤﴾ اي لا ينال عهدي بالإمامة مشرك، ولهذا أوصى نبيه محمداً أن يتبع ملة إبراهيم وكان يعلّم أصحابه إذا أصبحوا أن يقولوا أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص ودين نبينا محمد وملة أبينا إبراهيم حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين، فملة إبراهيم التوحيد ودين محمد ما جاء به من عند الله قولاً

---

(٢٦٦) سورة الممتحنة آية ٤

(٢٦٧) رواه مسلم باب خصال الفطرة حديث رقم ٢٥٧

(٢٦٨) رواه البخاري في كتاب التيمم حديث رقم ٣٢٨ و(باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً) حديث رقم ٤٢٧ ومسلم في كتاب المساجد حديث رقم ٥٢١ واللفظ لمسلم.

وعملاً واعتقاداً، وكلمة الإخلاص هي شهادة أن لا إله إلا الله وفطرة الإسلام هي ما فطر الله عليه عباده من محبته وعبادته وحده لا شريك له والاستسلام له عبودية وذلاً وانقياداً وإنابة)(٢٦٩).

ولنعد إلى تفسير علماء الشيعة الاثني عشرية للآية الكريمة لنعجب حينما نراهم يتغافلون عن أنّ الظلم لا يطلق ويُراد به مطلق الذنب فحسب بل له إطلاقات أخرى هي أظهر وأبرز من الإطلاق الذي تمسك به علماء الشيعة الاثني عشرية.

فقد يُطلق ويُراد به الكفر أو الشرك كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾(٢٧٠)، وقوله تعالى ﴿وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾(٢٧١)، والآيات في هذا كثيرة في القرآن لمن أراد التتبع.

وقد يُطلق لفظ (الظلم) ويراد به التعدّي على حدود الله أو حقوق العباد والجور في الحكم وفي التعامل كنحو قوله تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾(٢٧٢) وقوله تعالى ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾(٢٧٣) ومثلها آيات أخر، وهذا النوع هو الأكثر استخداماً في القرآن والسنة وعند عامة الناس.

فما الذي صرف معنى قول الله تعالى ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ من الظلم المتعارف عليه وهو الجور والتعدي على الحقوق (حقوق الله أو حقوق عباده)، وصرفه كذلك من أن يُراد به الشرك والكفر إلى معنى بعيد لا يتبادر للذهن ولا توجد قرائن أو أدلة صحيحة تصرفه إليه؟!

فهذا في الحقيقة تحكّم في النص لا تفسيراً له.

---

(٢٦٩) كتاب مدارج السالكين، الجزء ٣، صفحة ٤٨١.

(٢٧٠) سورة لقمان آية ١٣

(٢٧١) سورة البقرة آية ٢٥٤

(٢٧٢) سورة الشورى آية ٤٢

(٢٧٣) سورة الطلاق آية ١

وطالب الحق لا يرتضي استخدام كتاب الله كوسيلة لإثبات مذهبه لمجرد التعصب للمذهب بل يميل إلى الحق حيثما مال به.

ولعله يكفي حجة على من يستدل بآية ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ على الإمامة، أن تذكّره بقول الله تعالى عن نبيه إبراهيم عليه السلام ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (١١٢) وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ (١١٣)﴾(٢٧٤)

ففي هذه الآيات الكريمات إجابة واضحة على من يدّعي أنّ المراد من آية ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ مطلق الذنب!

فإنّ الله عز وجل كما ذكر في الآيات الكريمات أنه قد بارك على ابراهيم وإسحاق عليهما السلام فإنه قد ذكر بأنّ من ذريتهما من هو محسن ومن هو ظالم لنفسه مبين، فأي عاقل يستطيع الادعاء بأنّ المراد هو أنّ من ذريتهما من هو معصوم ومن هو كباقي الصالحين يعصي ويتوب؟!

بل المراد هو أنّ منهم من هو صالح عادل، ومنهم من هو طالح ظالم قد بان ظلمه وشركه.

ودلائل ذلك كثيرة في بني إسرائيل الذين وُجد فيهم الصالحون المتقون، ووجد فيهم قتلة الأنبياء ومحرفو الكتب السماوية والمعاندون المكذبون لله ورسله.

والنظرية الإمامية التي أخذت على عاتقها نفي استحقاق الصحابة للإمامة من بعد رسول الله سوى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه بحجة أنّ منهم من كان مشركاً ثم أسلم أو لأنهم كسائر البشر يذنبون ويتوبون فإنها في هذا قد تناقضت وجانبت الصواب أيضاً.

فهذا هو القرآن المجيد يقيم الحجة عليها بقوله ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا (١١٠)﴾، هذه آية

---

(٢٧٤) سورة الصافات آية ١١٢-١١٣

كريمة تتحدث عن الذنب وعن ظلم الإنسان نفسه باقترافه الذنب لكنها تشير بوضوح إلى أنّ هذا المذنب إذا تاب واستغفر فإنه سيجد الله تواباً رحيماً، تُرى هل يستسيغ أصحاب النظرية الإمامية قبول نيل هذا المذنب التائب الذي غفر الله ذنبه عهد الله (الإمامة) ما دامت الآية تتكلم بكل وضوح عن مطلق الذنب وهم يدّعون أنّ آية ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ تتكلم عن المذنب الذي ظلم نفسه باقترافه للذنب؟ بالطبع لا يقبلون!

أقول: فما أجمل أن يضع المرء الأمور في نصابها، فلا يغلو، ولا يتعصب لمذهبه بالباطل، بل يرتضي الحق ولو كان مرّاً.

ولعله مما يُضاف إلى ما سبق ذكره أنّ الإمامة المذكورة في الآية إن أريد بها (العلم) فقد بطل حينئذ استدلال الشيعة بالآية لأنّ الخلاف بين الشيعة الاثني عشرية وسائر الطوائف ليس على إمامة العلم.

وإن قالوا: هي إمامة مرتبطة بالمعصومين، قيل لهم: إمامة الهدى ليست خاصة بالمعصومين دون غيرهم، فقد جعلها الله عز وجل في بني إسرائيل إذ يقول ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ بل جعلها لكل مستضعف كما قال عز من قائل ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾﴾[٢٧٥].

وإن قيل المراد بالآية إمامة القدوة فقد قال الله تعالى ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا

(٢٧٥) سورة القصص آية ٥

عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾[٢٧٦] وأمر جميع عباده المؤمنين بأن يطلبوا ويتطلعوا إلى هذه المرتبة فقال ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾[٢٧٧].

نصوص شيعية تشترط العدل
في الحاكم لا العصمة

إنّ من يستقرأ التراث الشيعي الاثني عشري وتطوره التاريخي عبر العصور يدرك لا محالة أنّ القول بنظرية عصمة الإمام كان نتيجة متأخرة لتطورات طرأت على الحركات الشيعية القائمة آنذاك، أوجدها تيار مغالي وجد طريقه لبث سمومه بين أتباع أهل البيت.

من يتناسى الكتب التي ألفها علماء الشيعة الاثني عشرية دعماً لفكرة العصمة ويبحث بتجرد في التراث الشيعي الذي نقله هؤلاء العلماء بأنفسهم سيجد روايات كثيرة لا يروق لعلماء الشيعة اليوم النظر فيها وتأملها بحيادية.

وإليك الأمثلة:

عن جعفر عن أبيه عليه السلام قال: ذُكرت الحرورية عند علي عليه السلام، قال: إن خرجوا على إمام عادل أو جماعة فقاتلوهم وإن خرجوا على إمام جائر فلا تُقاتلوهم فإنّ لهم في ذلك مقالا[٢٧٨].

وأنت ترى أنّ الرواية لا تشير لا من قريب ولا من بعيد إلى العصمة وإنما تتكلم بكل وضوح عن العدل والجور.

فلماذا لم يقل الإمام علي: إن خرجوا على إمام معصوم فقاتلوهم وإن

(٢٧٦) سورة الممتحنة آية ٤

(٢٧٧) سورة الفرقان آية ٧٤

(٢٧٨) تهذيب الأحكام ٦/ ١٤٥ علل الشرائع ٢/ ٦٠٣

خرجوا على غيره فلا تقاتلوهم، أو قال: إن خرجوا على الأئمة الاثني عشر فقاتلوهم وإن خرجوا على غيرهم فلا تقاتلوهم؟

حُق للمنصف أن يتفكر وأن يعي أنّ تراث أئمة أهل البيت يقول شيئاً وعلماء الشيعة الاثني عشرية يقولون شيئاً آخر.

فمسلسل الإضافات على الدين لا ينتهي، وقد أدركت هذا في قراءتي في مباحث كثيرة (في الإمامة والصحابة والنظرة إلى أهل البيت) بل حتى في الفقهيات لم يسلم تراث أهل البيت من عبث وغلو علماء الشيعة للأسف الشديد.

وفي هذا يذكر الشريف الرضي في نهج البلاغة أنّ الإمام علياً لما اجتمع الناس وشكوا له ما نقموه على عثمان وسألوه مخاطبته واستعتابه دخل عليه فقال: إِنَّ النَّاسَ وَرَائِي وَقَدِ اسْتَسْفَرُونِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ وَو اللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ مَا أَعْرِفُ شَيْئاً تَجْهَلُهُ ولا أَدُلُّكَ عَلَى أَمْرٍ لا تَعْرِفُهُ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ مَا سَبَقْنَاكَ إِلَى شَيْ ءٍ فنخبرك عنه ولا خَلَوْنَا بِشَيْ ءٍ فَنُبَلِّغَكَهُ وَقَدْ رَأَيْتَ كَمَا رَأَيْنَا وَسَمِعْتَ كَمَا سَمِعْنَا وَصَحِبْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَمَا صَحِبْنَا ومَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ ولا ابْنُ الْخَطَّابِ بِأَوْلَى بِعَمَلِ الْحَقِّ مِنك وَأَنْتَ أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَشِيجَةَ رَحِمٍ مِنْهُمَا وَقَدْ نِلْتَ مِنْ صِهْرِهِ مَا لَمْ يَنَالا[٢٧٩] فَاللَّهَ اللَّهَ فِي نَفْسِكَ فَإِنَّكَ وَاللَّهِ ما تُبَصَّرُ مِنْ عَمىً وَ لا تُعَلَّمُ مِنْ جَهْلٍ وَ إِنَّ الطُّرُقَ لَوَاضِحَةٌ وَإِنَّ أَعْلامَ الدِّينِ لَقَائِمَةٌ فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ عَادِلٌ هُدِيَ وهَدَى فَأَقَامَ سُنَّةً مَعْلُومَةً وَ أَمَاتَ بِدْعَةً مَجْهُولَةً وإِنَّ السُّنَنَ لَنَيِّرَةٌ لَهَا أَعْلامٌ وإِنَّ الْبِدَعَ لَظَاهِرَةٌ لَهَا أَعْلامٌ وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَضُلَّ بِهِ فَأَمَاتَ سُنَّةً مَأْخُوذَةً وَ أَحْيَا بِدْعَةً مَتْرُوكَةً)[٢٨٠].

---

(٢٧٩) لا أدري أين الشيعة من هذا التصريح الهام الذي يبين فيه علي بن أبي طالب فضل عثمان بن عفان ومصاهرته لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه؟!

(٢٨٠) نهج البلاغة ص٢٣٤

وكلام الإمام علي ها هنا واضح وضوح الشمس ولا يحتاج إلى بيان.

وعن أبي الحسن عليه السلام قال: (إنّ لله عزّ وجلّ جنّة ادّخرها لثلاث إمام عادل ورجل يحكّم أخاه المسلم في ماله ورجل يمشي لأخيه المسلم في حاجة قضيت له أو لم تقض)[٢٨١]

وعن علي عليه السلام أنّه قال: (عليكم بالجهاد في سبيل اللّه مع كل إمام عادل فإنّ الجهاد في سبيل اللّه باب من أبواب الجنة)[٢٨٢].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: (ثلاثة يدخلهم الله الجنة بغير حساب إمام عادل و تاجر صدوق وشيخ أفنى عمره في طاعة الله)[٢٨٣].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (إنّ في الجنة درجة لا ينالها إلا إمام عادل أو ذو رحم وصول أو ذو عيال صبور)[٢٨٤].

وعن جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال في وصيته له (يا علي، أربعة لا ترد لهم دعوة إمام عادل ووالد لولده والرجل يدعو لأخيه بظهر الغيب والمظلوم يقول الله جل جلاله وعزتي وجلالي لأنتصرن لك ولو بعد حين)[٢٨٥].

وعن سلمة بن كهيل رفعه عن ابن عباس قال: قال رسول الله: سبعة في ظل عرش الله عز وجل يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل، ورجل تصدق بيمينه فأخفاها عن شماله .. إلى آخر الحديث[٢٨٦].

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: (أحب الناس يوم القيامة وأقربهم

---

(٢٨١) مستدرك الوسائل ١٢/ ٤٠٨ و المؤمن ص٥٣

(٢٨٢) مستدرك الوسائل ١١/ ١٦ وبحار الأنوار ٩٧/ ٥٠ ودعائم الإسلام ١/ ٣٤٣

(٢٨٣) ثواب الأعمال ص ١٣٣ (ثواب الإمام العادل و التاجر الصدوق والشيخ الذي يفني عمره في طاعة الله تعالى)

(٢٨٤) الخصال ج١ ص٩٣ (في الجنة درجة لا ينالها إلا ثلاثة) وأعلام الدين ص ١٥٢

(٢٨٥) الخصال ج١ ص١٩٧ (أربعة لا ترد لهم دعوة) روضة الواعظين ٢/ ٣٢٥

(٢٨٦) الخصال ٢/ ٣٤٣ و معدن الجواهر ص ٥٨ (باب ذكر ما جاء في سبعة)

من الله مجلساً إمام عادل، إنّ أبغض الناس إلى الله وأشدهم عذاباً إمام جائر)(٢٨٧).

وفي رواية (إنّ أقرب الناس إلى الله تعالى وأحبهم إليه وأدناهم منه مجلساً يوم القيامة إمام عادل)(٢٨٨).

إنّ كل هذه الروايات وغيرها من الروايات التي ربما لم أقف عليها لكنها تصب في المعنى ذاته، لدليل واضح كل الوضوح على أنّ أئمة أهل البيت كانوا يشترطون في الإمام العدل لا العصمة.

الأحلام لا تصلح لأن تكون دستوراً

الحديث عن خليفة معصوم ليس نبياً ولا رسولاً، يعود بذاكرتي إلى ما قرأته عن المدينة الفاضلة التي لم ولن توجد إلا في مخيلة أفلاطون.

فمن السهل على المرء أن يعيش في برج عاجي، يجول بفكره هنا وهناك ويعيش جنة أرضية في مخيلته تؤنسه في وحشته وتسلي نفسه ويريح بها ضميره، خصوصاً إذا ما كان يتقلب في مجتمعات عاشت على المظالم منذ زمن بعيد(٢٨٩)، من حقه أن يريح فكره ويعيش حُلمه، ولسنا نلومه على ذلك، لكن أن يفرض هذه الأحلام على الناس جميعاً ويكفّر من لا يعيش معه

---

(٢٨٧) روضة الواعظين ٢/٤٦٦

(٢٨٨) عوالي اللآلي ١/٣٧٢.

(٢٨٩) ولذا أرجح أنّ سبب نشوء نظرية العصمة كان ردة فعل لمظالم وقعت على معتدلي الشيعة آنذاك من جهة السلطة الحاكمة ومن جهة غلو النواصب في الطعن في الإمام علي وأهل البيت بالإضافة إلى مقتل الأئمة والعلماء من أهل البيت فوجد المتطرفون والغلاة طريقاً لبث غلوهم، ولعل حرص بعض الحكام الأمويين والعباسيين على إبراز أنفسهم كظل الله في الأرض، وادعاءهم أنهم الأحق بالخلافة من غيرهم سبب رئيسي لتطرف شيعي مقابل جعل الخلافة حقاً لاثني عشر فاضلاً من أهل البيت دون سائر الناس بل دون سائر أهل البيت وجعل العصمة شرطاً في الخلافة وادعى العصمة في الإثني عشر باستخدام نصوص لا تمت بصلة إلى موضوع العصمة كآية التطهير وحديث الكساء كما سيأتي.

هذا الخيال وذاك الوهم، جاعلاً آماله وظنونه جزء لا يتجزأ من الدين يوالي ويعادي الناس عليه، فهذا ما يحتاج منا إلى وقفة تأمل.

تُرى لو جاز للأئمة الاثني عشر أن يتولوا الخلافة، أترى هؤلاء الناس الذين يعتقدون فيهم العصمة ولا يجوّزون على الأئمة الخطأ ويدندنون حول هذا الكلام ليل نهار، أتراهم سيصمدون على رأيهم هذا إذا ما رأوا من هؤلاء الأئمة ما لا ينبغي أن يحصل أم أنه سرعان ما تنشئ المعارضة لبعض القرارات والأحكام؟

هذا الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب لما تولى الخلافة زمناً يسيراً، وصالح معاوية بن أبي سفيان على الخلافة ماذا فعل فيه شيعته الذين يزعمون عصمته؟

منهم من أساء له القول، ومنهم من طعنه في فخذه، ومنهم من اكتفى بالاعتراض، ومنهم من سخط عليه دون الاعتراض بالقول أو الفعل، ومنهم من تابعه ورضي بقراره.

هذا هو الواقع الذي يرفضه أرباب النظرية الإمامية، مع أنه واقع ملموس، سطرته كتب الفريقين السنة والشيعة.

فالنظرية في واد وواقع الأئمة الاثني عشر في واد آخر، ومن يستقرأ التاريخ الشيعي الخالص أو يستعين بكتاب جيد في هذا الباب ككتاب (تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه) للأستاذ أحمد الكاتب، سيدرك بالفعل تهاوي النظرية الإمامية أمام حقائق النصوص الشيعية ذاتها.

والمتكلمون الذين اخترعوا مثل هذه النظريات قد أنهكوا الأمة بقضايا كانت في غنى عنها، فأورثوها فرقة واختلافاً تجرعت مرارته فترات من الزمن ولا زالت تتجرعه.

فمتى دخل على الأمة الجدل في القرآن هل هو مخلوق أم غير مخلوق؟ ومتى دخل على الأمة الجدل في صفات الله بين تعطيل وتكييف قابله تمثيل وتشبيه لله بخلقه؟ إن لم يكن علم الكلام وراء هذا كله.

ونظرية عصمة الأئمة هي إحدى تلك الإفرازات، قامت على أسس

عقلية نطق بها بعض المتكلمين ثم انصرفوا بعد رسمها إلى الاستدلال عليها من كتاب الله وسنة رسوله، وبذلوا في ذلك الجهد والطاقة.

آمنوا بالنظرية ثم راحوا يبحثون عن الدليل، في حين أنّ ديننا يدعونا إلى البحث عن الدليل ثم الإيمان بما يأتي به الدليل لا الإيمان بما يمليه علينا الهوى ثم البحث عن ما يسعف ذاك الهوى.

ولعل من أبرز التحديات الفعلية التي واجهت هؤلاء المتكلمين هو موقف أهل البيت من نظرية العصمة التي يزعمها متكلمو الشيعة فيهم.

فهذا هو الإمام علي بن أبي طالب يقف في مسجد الكوفة مخاطباً جموع الناس بقوله: (فلا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل، فإني لست في نفسي بفوق أن أخطىء ولا آمن ذلك من فعلي إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني)[٢٩٠]

وفي خطبة أخرى يتحدث الإمام علي عن الخارجي الخريت بن ناجية ومحاولاته السابقة لدفع الإمام لقتل واعتقال عدد من زعماء المعارضة، وقول الإمام له ولعموم الناس إنّ من واجبهم الوقوف أمامه ومنعه إذا أراد هو أن يفعل ذلك، والقول له: (اتق الله)!!

ولم يكن الإمام علي بن أبي طالب ليقول هذا للناس لو كان هناك اعتقاد سائد لدى شيعته بعصمته، وذلك لأنّ هالة العصمة تحتم أن يضع الإمام نفسه فوق النقد وأن يحرّم على المعارضة نقده أو التجرؤ عليه بتوجيه النصح والمشورة له، وهذا ما لم يكن يفعله الإمام علي الذي ضرب أروع الأمثلة في حسن القيادة وطلب مشورة المحكومين وإعطائهم دورهم السياسي في تقويم حاكمهم.

ويستعرض الإمام في مكان آخر صفات الحاكم وشروطه فلا يذكر من بينها (العصمة) إذ يقول: (إنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم وإمامة المسلمين: البخيل، فتكون في أموالهم نهمته، ولا الجاهل،

---

(٢٩٠) الكافي ٨/ ٢٩٢-٢٩٣ وبحار الأنوار للمجلسي ٧٤/ ٣٠٩ ونهج البلاغة

فيضلهم بجهله، ولا الجافي، فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدول، فيتخذ قوماً دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة).(٢٩١)

ويقول في خطبة أخرى: (أيها الناس: إنّ أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه وأعلمهم بأمر الله فيه).(٢٩٢)

وينقل الصدوق في (أماليه) قصة عن فاطمة الزهراء تنافي نظرية العصمة التي كان يقول بها المتكلمون، فروى أنّ الإمام علي بن أبي طالب أنفق ذات مرة أموال مزرعة باعها حتى لم يبق لديه درهم واحد، فاحتجت فاطمة الزهراء على ذلك وأمسكت بثوبه، فنزل جبريل وأخبر النبي بذلك، فذهب إليها وقال: ليس لك أن تمسكي بثيابه ولا تضربي على يديه فقالت: إني أستغفر الله ولا أعود أبداً.(٢٩٣)

كما يذكر الشريف الرضي في (خصائص الأئمة): أنّ الإمام الحسن استعار قطيفة من بيت المال فغضب عليه الإمام أمير المؤمنين وقال له: يا أبا محمد النار يا أبا محمد النار حتى خرج بها.(٢٩٤)

وكذلك لم يشر الإمام الحسين إلى موضوع العصمة في رسالته التي أرسلها إلى أهل الكوفة مع سفيره مسلم بن عقيل، وإنما طرح ضرورة اتصاف الحاكم بشروط التقوى والالتزام بالعمل بالكتاب والدين، فقال: (فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب الحابس نفسه على الله القائم بالقسط والدائن بدين الله).(٢٩٥)

وينقل الإمام الباقر حديثاً عن رسول الله حول شروط الحاكم فلا يذكر منها العصمة، يقول: قال رسول الله ﷺ: (لا تصلح أمتي إلا لرجل فيه

---

(٢٩١) نهج البلاغة ص١٨٩ خطبة رقم ١٣١
(٢٩٢) نهج البلاغة خطبة رقم ١٧٣ ص٢٤٧
(٢٩٣) أمالي الصدوق ص٤٧٠
(٢٩٤) خصائص الأئمة للشريف الرضي ص٢٨
(٢٩٥) الإرشاد للمفيد ص٢٠٤

ثلاث خصال: ورع يحجزه عن معاصي الله وحلم يملك به غضبه وحسن الولاية على من يلي حتى يكون لهم كالوالد الرحيم - وفي رواية أخرى -: حتى يكون للرعية كالأب الرحيم).(٢٩٦) مما يشير إلى أنّ الإمامة تصلح لعامة الناس بهذه الشروط.

وعن معاوية بن عمّار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: كان في وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام أن قال: يا علي أوصيك في نفسك بخصال فاحفظها عنّي ثم قال: اللهم أعنه، أما الأولى: فالصدق ولا تخرجنّ من فيك كذبة أبداً، والثانية: الورع ولا تجترئ على خيانة أبداً، والثالثة: الخوف من الله عز ذكره كأنك تراه، والرابعة: كثرة البكاء من خشية الله يبني لك بكل دمعة ألف بيت في الجنة، والخامسة: بذلك مالك ودمك دون دينك، والسادسة: الأخذ بسنتي في صلاتي وصدقتي أما الصلاة فالخمسون ركعة وأما الصيام فثلاثة أيام في الشهر: الخميس في أوله والأربعاء في وسطه والخميس في آخره..)(٢٩٧)، قال المجلسي في مرآة العقول: حديث صحيح.(٢٩٨)

فمن الملاحظ أنّ هذه الوصية النبوية موجهة لعلي بن أبي طالب بذاته لقول النبي (يا علي أوصيك في نفسك بخصال)، وما كانت تلك الوصايا أن توجه لمعصوم وبالذات الأولى منها.

لماذا لم يُذكر الأئمة في القرآن؟

ليكن صدر القارئ رحباً ليتقبل مني قولي: إنه من السهل أن يجمع أحدنا كل آية في القرآن تضمنت كلمة (إمام) أو (أئمة) ويجعلها دليلاً على الإمامة بعد رسول الله وإن كانت الآية تتحدث عن أنبياء سابقين أو رجالاً لا علاقة لهم بالأئمة الاثني عشر لا من قريب ولا من بعيد.

---

(٢٩٦) الكافي ج١ ص٤٠٧

(٢٩٧) الكافي (الروضة) حديث رقم ٣٣ (وصية النبي صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين)

(٢٩٨) مرآة العقول ٢٥/ ١٨٠

وإلزام المرء نفسه بسلوكه منهجاً في الاستدلال والاحتجاج ينبغي أن يسري على كل ما يجري عليه منهجه، لا أن يختار ما يريد ويلفظ من فمه ما لا يريد!!

فالله عز وجل الذي ذكر لفظ (إمام) و (أئمة) في القرآن الكريم استخدم اللفظ ذاته في المؤمن والكافر، ويبدو هذا جلياً في قوله تعالى عن صنف من المؤمنين ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾[299] وقوله تعالى عن صنف آخر من الكفار الملعونين ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾.[300]

فلو كان لفظ (أئمة) لا يُراد به إلا الأوصياء، لما جاز استخدام اللفظ في صنف ممن يدعون إلى النار، فإن قال قائل بأنّ ذلك قد يكون من المشاكلة اللفظية، فيُقال له: نحن بصدد البحث عن دليل يرفع الخلاف لا أن يُثبت خلافاً آخر، بل بالله عليك لو أراد الله من هذا اللفظ معنى الإمامة أو ليس من اللازم عليه أن يُجلّي المفهوم الذي تدّعيه، ثم أمن الصعب أن يصرّح القرآن بأنّ علياً هو وصي محمد عليه الصلاة والسلام كي لا يُترك المجال لأحد لئن يفتح فمه وينكر الإمامة النصية بعد رسول الله؟!! بل لماذا يجعل القرآن - على فرض كونه كذلك - من آية كـ ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾[301] التي تتحدث عن بني إسرائيل دليلاً على الإمامة بعد محمد عليه الصلاة والسلام ؟!! أيعجز رب العزة على أن ينزل آية واضحة وصريحة في الإمامة بعد رسول الله، تكون حجة على منكر الإمامة؟!!

ولنقف هنا على النصوص التي يستدل بها القائلون بالإمامة النصية ونستعرضها واحدة تلو الأخرى مع شيء من الدراسة والمناقشة والترجيح.

---

(٢٩٩) سورة السجدة آية ٢٤

(٣٠٠) سورة القصص آية ٤١

(٣٠١) سورة السجدة آية ٢٤

فضائل لا تنصيص على إمامة

فضائل أهل البيت كثيرة ونصيب علي بن أبي طالب منها كبير ولا يجحد فضائل علي بن أبي طالب إلا النواصب، لكن كون هذه الفضائل دلائل على الإمامة الإلهية بعد رسول الله أو إثبات عصمة غير رسول الله فهذا ما نقف عنده لنقول كما قال رب العالمين لأهل الكتاب ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾[٣٠٢]، فلمحبة أهل البيت ولفضائلهم ضوابط تحكمها وإلا لقال كل قائل ما يحلو له باسم حب الإمام واتباع أهل البيت !

والحديث عن الإمامة وعصمة الأئمة ومعجزاتهم ومناقشة هذه المواضيع بات اليوم كالحديث عن المسيح عليه السلام وطبيعته البشرية.

قد لفت نظري منذ زمن من خلال تتبعي لكتيبات الداعية الإسلامي المتميز أحمد ديدات ومناظراته أنه كان يستنكر من بعض القساوسة فكرة نعيشها اليوم مع كثير من الكُتّاب والمتشددين.

فقد كان طرح هؤلاء القساوسة لقضية المسيح وبنوته لله بأسلوب (إما أن يكون المسيح ابناً لله كما نؤمن نحن وإما أنك تنسب إليه الجنون لادعائه ما لا يحق له أو تنسب إليه السحر) هكذا يقولون!

فيضعك هؤلاء في الزاوية، ويمارسون عليك الإرهاب الفكري (إما أن تقول بقولهم وإما اعتبرك هؤلاء ممن تطعن في المسيح عليه السلام وتنسب إليه إما الجنون وإما السحر !).

فيعبّر ديدات عن استنكاره لهذا الطرح قائلاً (ولماذا هذه الافتراضات الثلاث؟! لماذا لا يكون عبداً رسولاً، لماذا لا يكون نبياً عظيماً من أنبياء بني

---

(٣٠٢) سورة النساء آية ١٠٧

اسرائيل فحسب؟!)، لماذا تريد أن تجعلني في الزاوية (إما أن أكون مغالياً في الشخصية التي أتكلم عنها أو أكون عدواً لها ؟! لا وسط بينهما).

وبالأسلوب ذاته يمكن لك أنْ تتصور محاوراً يريد نقاش موضوع عصمة الأئمة والإمامة النصية بعد رسول الله ستجد بلا شك عند استعراضك للأدلة ونقاشك العميق معه في هذه القضية أنّ الحوار سيقف عند قضية عاطفية بحتة في النهاية ! هل أنت ناصبي تعادي الأئمة؟ هل تشكك في مصداقية أهل البيت؟ وما يشابه هذه الاتهامات . . . وربما تساقطت عليك الحجارة من كل حدب وصوب وأنت لا تدري، مع أنّ النقاش لا يحتمل كل هذا.

وقد مرت بي هذه التجربة بالفعل، أناقش من خلال القرآن والسنة والعقل وأفاجأ بأنّ الرد الفوري عليّ هو قولهم لي (أنت ناصبي) أو (أنت عدو أهل البيت) !

وهل كلمة ناصبي هينة حتى تُطلق على كل أحد؟ وهل نقاشي لإطروحة عصمة الأئمة أو الرجعة وما شابهها يعني أني لا أحب أهل البيت؟!

لو كان حب أهل البيت يعني الغلو فيهم لرضي أهل البيت بأن يُقال عنهم آلهة من دون الله ولأثنى أهل البيت على من غلوا فيهم بدلاً من التحذير منهم . .

لطالما قال أهل البيت للناس (أحبونا حب الإسلام لله عز وجل فإنه ما برح بنا حبكم حتى صار علينا عاراً)[٣٠٣] وحب الإسلام لا يتأتى إلا من خلال فهم القرآن والسنة ومعرفة منزلة أهل البيت من خلالهما.

من يتدبر القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ويتجرد من الخوف من هذه الاتهامات ويعيش بقلبه ووجدانه مع القرآن والسنة سيدرك ما أدركته بعد قراءة متأنية في العقائد التي قسّمت أهل الإسلام وفرّقت جماعتهم.

---

(٣٠٣) حلية الأولياء ٣/ ١٣٦

القرآن وعقيدة الإمامة الشيعية

من يتأمل كتاب الله الكريم الذي جعله الله نوراً تهتدي به العقول والقلوب، سيجد أنّ الإيمان بكون رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين يحصل به مقصود الإمامة في حياته وبعد مماته.

(فالذي يؤمن بأنّ محمداً ﷺ هو رسول الله حقاً وأنّ طاعته واجبة، إن قيل بأنه يدخل الجنة استغنى عن مسألة الإمامة ولم يلزمه طاعة سوى الرسول عليه الصلاة والسلام، وإن قيل لا يدخل الجنة إلا باتباعه الإمام كان هذا خلاف نصوص القرآن الكريم، فإنه سبحانه وتعالى أوجب الجنة لمن أطاع الله ورسوله في غير موضع من القرآن ولم يعلق دخول الجنة بطاعة إمام أو إيمان به أصلاً كمثل قوله تعالى ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾(٣٠٤)

وقوله تعالى ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾﴾(٣٠٥))(٣٠٦)

ولو كانت الإمامة أصلاً للإيمان أو الكفر أو هي أعظم أركان الدين التي لا يقبل الله عمل العبد إلا بها كما تقول الروايات الشيعية، لذكر الله عز وجل الإمامة في تلك الآيات وأكّد عليها لعلمه بحصول الخلاف فيها بعد ذلك، ولا أظن أحداً سيأتي ليقول لنا بأنّ الإمامة في الآيات مذكورة ضمناً تحت طاعة الله وطاعة الرسول لأنّ في هذا تعسفاً في التفسير بل يكفي بياناً لبطلان ذلك أن نقول بأنّ طاعة الرسول في حد ذاتها هي طاعة للرب الذي أرسله، غير أنّ

---

(٣٠٤) سورة النساء آية ٦٩

(٣٠٥) سورة النساء آية ١٣

(٣٠٦) منهاج السنة النبوية ١/ ٨٧ بتصرف

الله عز وجل لم يذكر طاعته وحده سبحانه ويجعل طاعة الرسول مندرجة تحت طاعته بل أفردها لكي يؤكد على ركنين مهمين في عقيدة الإسلام (طاعة الله، وطاعة الرسول)، وإنما وجب ذكر طاعة الرسول بعد طاعة الله كشرط لدخول الجنة لأنّ الرسول مبلّغ عن الله وأنّ طاعته طاعة لمن أرسله أيضاً، ولمّا لم يثبت لأحد بعد رسول الله ﷺ جانب التبليغ عن الله فإنّ الله عز وجل علّق الفلاح والفوز بالجنان بطاعة رسوله والتزام أمره دون أمر الآخرين.

وثمة دليل قاطع يقطع على الشاك دربه ويزيل عنه الشك وهو قول الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾(٣٠٧).

فإنّ الله عز وجل أمر المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله وطاعة أولي الأمر منهم، لكن عند التنازع فالرد لا يكون إلا إلى الله والرسول دون أولي الأمر، لأنّ الله عز وجل هو الرب، والرسول هو المبلغ عن الله وهو معصوم لا يخطأ في بيان الحق عند التنازع، أما أولي الأمر فليسوا بمعصومين وإلا لجعل الله الرد إليهم، لكن الله عز وجل أظهر بهذه الآية أنهم كسائر الناس يرجعون في التنازع إلى كتاب الله وسنة نبيه، وقد يكونون خصوماً لأحد ويكون الحق معه حين الرد إلى كتاب الله وسنة نبيه.

فأين يذهب القائلون بنظرية الإمامة وهم يزعمون أنّ كل حديث أو قول يخالف كتاب الله يُضرب به عرض الحائط؟!

---

(٣٠٧) سورة النساء آية ٥٩

القول بالإمامة الإلهية بعد النبي طعن في ختم نبوته

تأملت كثيراً الروايات الشيعية التي تتحدث عن الأئمة وفضائلهم وتفكرت في الحكمة التي من أجلها جعل الله محمداً صلوات الله وسلامه عليه خاتم الأنبياء والمرسلين ثم تساءلت ما (إذا كان الأئمة الاثنا عشر هم أبواب الله والسبل إليه)[٣٠٨] و(حُجب الرب والوسائط بينه وبين الخلق)[٣٠٩] و(لا يدخل الجنة إلا من عرفهم)[٣١٠] وأنهم (حفظة الشرع والقوامون عليه، حالهم في ذلك حال النبي)[٣١١] وأنه (لا يجوز الرد عليهم، والراد عليهم راد على الرسول، والراد على الرسول كالراد على الله تعالى)[٣١٢] وأنّ (الأحكام الشرعية الإلهية لا تُستقى إلا من نمير مائهم ولا يصح أخذها إلا منهم)[٣١٣] وأنهم (يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل)[٣١٤] وأنّ (الأئمة لم يفعلوا شيئاً إلا بعهد من الله عز وجل وأمر منه لا يتجاوزونه)[٣١٥] وأنّ (الملائكة تدخل بيوتهم وتطأ بسطهم وتأتيهم بالأخبار)[٣١٦] وأنهم (يقدرون على إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وجميع معجزات الأنبياء)[٣١٧] و(أنّ الجن خدامهم ويظهرون لهم ويسألونهم

---

(٣٠٨) عقائد الإمامية للمظفر ص٩٨-٩٩
(٣٠٩) بحار الأنوار ٢٣/ ٩٧
(٣١٠) بحار الأنوار ٢٣/ ٩٧
(٣١١) عقائد الإمامية للمظفر ص٥٠
(٣١٢) عقائد الإمامية للمظفر ص٥٣
(٣١٣) نفس المصدر
(٣١٤) الكافي ١/ ٢٥٥ فيه ٤ أحاديث
(٣١٥) الكافي ١/ ٢٧٩ فيه ٤ أحاديث
(٣١٦) الكافي ١/ ٣٩٣ فيه ٤ أحاديث
(٣١٧) بحار الأنوار ٢٦/ ٣١٩-٣٣٤

عن معالم دينهم)(٣١٨) وأنّ (عندهم جميع الكتب التي نزلت من عند الله وأنهم يعرفونها على اختلاف ألسنتها)(٣١٩) وَ (أنه ليس شيء من الحق في يد الناس إلا ما خرج من عند الأئمة)(٣٢٠) فما معنى أن يكون محمد عليه الصلاة خاتم الأنبياء والمرسلين إذا كانت صلاحيات النبي كلها مستمرة بعده؟!! ما معنى أن يكون رسول الله خاتم الأنبياء وهناك رجال بعده لهم من التقديس والمزايا ما يتمتع به الأنبياء من عصمة ومعجزات وغيرها؟!! ولماذا نصّ القرآن على عقيدة ختم النبوة ما دام الأمر كذلك؟!! هل القضية مجرد توقف مصطلح (نبي) واستبداله بمصطلح (إمام) وإعطاء الإمام صلاحيات النبي كلها للإمام والفرق بينهما الاسم فقط؟!!

إنّ علماء الشيعة أنفسهم يدركون بأنّ إضفاء قدسية كهذه على الأئمة وإعطاءهم هذه المزايا التي لم تُعرف إلا في الأنبياء يجعل التفريق بينهم صعباً للغاية!!

يقول محمد رضا المظفر في كتابه عقائد الإمامية (نعتقد أنها (أي الإمامة) كالنبوة لطف من الله تعالى، فلا بد أن يكون في كل عصر إمام هاد يخلف النبي في وظائفه من هداية البشر وإرشادهم إلى ما فيه من الصلاح والسعادة في النشأتين، وله ما للنبي من الولاية العامة على الناس لتدبير شؤونهم ومصالحهم وإقامة العدل بينهم ورفع الظلم عنهم والعدوان من بينهم)(٣٢١)

ويقول محمد كاشف الغطاء في كتابه (أصل الشيعة وأصولها): (إنّ الإمامة منصب إلهي كالنبوة فكما أنّ الله يختار للنبوة من يشاء فكذلك يختار للإمامة من يشاء ويأمر نبيه بالنص عليه).(٣٢٢)

---

(٣١٨) بحار الأنوار ٢٦/ ١٣-٢٤ ومثله في الكافي ١/ ٣٩٤ فيه ٧ أحاديث

(٣١٩) الكافي ١/ ٢٢٧

(٣٢٠) الكافي ١/ ٣٩٩

(٣٢١) عقائد الإمامية ص٤٩-٥٠

(٣٢٢) أصل الشيعة وأصولها ص٩٨-٩٩

وقد وردت رواية في الكافي تحصر الفرق بين النبوة والإمامة في طريقة الوحي فقط!!، فعن الإمام الرضا قال: (الفرق بين الرسول والنبي والإمام: أنّ الرسول الذي ينزل عليه جبرائيل فيراه ويسمع كلامه وينزل عليه الوحي، وربما رأى في منامه نحو رؤيا ابراهيم عليه السلام والنبي ربما سمع الكلام وربما رأى الشخص ولم يسمع، والإمام هو الذي يسمع الكلام ولا يرى الشخص)[٣٢٣] وقال صاحب الشافي شرح أصول الكافي (الحديث صحيح إسناده).[٣٢٤]

وروى الكليني عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (الأئمة بمنزلة رسول الله إلا أنهم ليسوا بأنبياء ولا يحل لهم من النساء ما يحل للنبي فأما ما خلا ذلك فهم بمنزلة رسول الله صلى الله عليه وآله)[٣٢٥].

إزاء هذه الأحاديث الصريحة التي تعد الفرق بين النبي والإمام شيئاً لا يُذكر ولا يؤثر سلباً أو إيجاباً على الناس الذين أُرسل إليهم النبي أو الإمام، لا يسع عالماً من كبار علماء الشيعة وهو المجلسي إلا أن يصرّح بقوله (ولا نعرف جهة لعدم اتصافهم بالنبوة إلا رعاية خاتم الأنبياء ولا يصل إلى عقولنا فرق بين النبوة والإمامة)[٣٢٦]

فاتصاف الأئمة بالإمامة بدلاً من النبوة كما يراه عالم من كبار علماء الشيعة بلغت مرتبته عندهم حد إطلاقهم عليه (شيخ الإسلام) ليس إلا رعاية لمقام محمد عليه الصلاة والسلام النبي الخاتم فحسب!!

إذاً ما أهمية عقيدة ختم النبوة طالما أنّ الوظائف والخصائص التي اختص بها الأنبياء دون الناس من عصمة وتبليغ عن الله ومعجزات وغيرها لم تتوقف بوفاة خاتم الأنبياء محمد عليه الصلاة والسلام بل امتدت من بعده متمثلة باثني عشر رجلاً ؟!!

ناقشت في هذه القضية كثيراً من الشيعة ولم أجد إجابة مقنعة أُرضي بها فضولي على الأقل، إلا أنّ أحد طلبة الحوزة أجابني بقوله بأنّ الفرق هو أنّ الأئمة لا يُوحى إليهم.

---

(٣٢٣) الكافي ١/ ١٧٦

(٣٢٤) الشافي شرح أصول الكافي ٣/ ٢٩

(٣٢٥) الكافي ١/ ١٥٤

(٣٢٦) بحار الأنوار ٢٦/ ٢٨

فقلت: إذا كان الأمر كذلك فماذا يعني في رأيك ما ترويه كتب الحديث الشيعية من أنّ الأئمة لا يفعلون شيئاً إلا بعهد من الله وأمر لا يتجاوزونه، أليس هذا وحياً؟!

وماذا عن الروايات الكثيرة التي تحكي مناجاة الله تعالى للإمام علي والروايات التي تحكي نزول جبريل عليه السلام بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام على السيدة فاطمة لتبليغها ما يحدث من أمور إلى قيام الساعة (وهو ما يعرف بمصحف فاطمة) والذي تذكر الروايات أنه كان بإملاء علي؟!! أليست كل هذه الروايات تتحدث عن وحي صريح بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام؟!!

بل روى الكليني في الكافي ١/٣٠٣ عن الإمام جعفر الصادق في تفسيره لقوله تعالى ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ قوله: (... إنه لينزل في ليلة القدر إلى ولي الأمر تفسير الأمور سنة سنة يؤمر فيها في أمر نفسه بكذا وكذا وفي أمر الناس بكذا وكذا ...)، أليس هذا وحياً؟!

ولماذا نختلف في توجيه النصوص وبين يدينا روايات واضحة من الأئمة أنفسهم تبين الفرق بين الإمام والنبي.

روى الكليني عن الأحول قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الرسول والنبي والمحدّث، قال: الرسول الذي يأتيه جبرئيل قبلاً[٣٢٧] فيراه ويكلّمه فهذا الرسول، وأما النبي فهو الذي يرى في منامه نحو رؤيا إبراهيم ونحو ما كان رأى رسول الله صلى الله عليه وآله من أسباب النبوة قبل الوحي حتى أتاه جبرئيل عليه السلام من عند الله تعالى بالرسالة، وكان محمد صلى الله عليه وآله حين جمع له النبوة وجاءته الرسالة من عند الله يجيئه بها جبرئيل ويكلّمه بها قُبلاً، ومن الأنبياء من جمع له النبوة ويرى في منامه ويأتيه الروح ويكلّمه ويُحدّثه من غير أن يكون يرى في اليقظة، وأما المحدّث فهو الذي يُحدّث فيسمع، ولا يعاين ولا يرى في منامه[٣٢٨]، صححه المجلسي في مرآة العقول.[٣٢٩]

(٣٢٧) أي عياناً ومقابلة
(٣٢٨) الكافي ١/١٧٦ (باب الفرق بين الرسول والنبي والمحدث).
(٣٢٩) مرآة العقول ٢/ ٢٨٩

وروى الكليني كذلك حديثاً مشابهاً له عن إسماعيل بن مرّار قال: كتب الحسن بن العبّاس المعروفي إلى الرضا عليه السلام: جعلت فداك أخبرني ما الفرق بين الرسول والنبي والإمام؟ قال: فكتب أو قال: الفرق بين الرسول والنبي والإمام، أنّ الرسول الذي ينزل عليه جبرئيل فيراه ويسمع كلامه وينزل عليه الوحي وربما رأى في منامه نحو رؤيا إبراهيم عليه السلام، والنبي ربما سمع الكلام وربما رأى الشخص ولم يسمع، والإمام هو الذي يسمع الكلام ولا يرى الشخص[٣٣٠]، والروايات في هذا كثيرة.[٣٣١]

وقد روى الكليني عن محمد بن مسلم أنه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (الأئمة بمنزلة رسول الله ﷺ إلا أنهم ليسوا بأنبياء ولا يحل لهم من النساء ما يحل للنبي ﷺ، فأما ما خلا ذلك فهم بمنزلة رسول الله ﷺ)[٣٣٢].

وقال المجلسي تعليقاً على هذه الرواية: (يدل ظاهراً على اشتراكهم مع النبي صلى الله عليه وآله في سائر الخصائص سوى ما ذكر)[٣٣٣].

من هذا كله يتبين الفرق بين الأنبياء والرسل والأئمة في الوحي، فكلهم يُوحى إليهم ولكن الاختلاف إنما يكون في نمط وطريقة الإيحاء، وسواء كان الوحي عن طريق جبريل عليه السلام أو بسماع صوت فكل هذا وحي، والناس حينما تتبع نبياً أو رسولاً أو حتى إماماً لا تهتم بالطريقة التي جاء بها الوحي بل بكونه وحياً من الله والناس ملزمة باتباعه وإلا كانوا بذلك عاصين للموحى إليه وبالتالي عاصين لله عز وجل، فأي فائدة جنيناها من عقيدة ختم النبوة إذا كانت المسألة كذلك؟!!

وليت المسألة تقتصر على ذلك، بل إنّك تجد أنّ مقام الأئمة عند الشيعة أعلى وأسمى من مقام الأنبياء باستثناء محمد عليه الصلاة والسلام كما دلّت

---

(٣٣٠) الكافي ١/ ١٧٦ (باب الفرق بين الرسول والنبي والمحدث).
(٣٣١) انظر: الكافي ١/ ١٧٦ وبحار الأنوار وغيرها
(٣٣٢) الكافي ١/ ١٥٤
(٣٣٣) بحار الأنوار ٢٧/ ٥٠

على ذلك الروايات المستفيضة عن الأئمة المعصومين وأقوال كبار علماء الإمامية السابقين واللاحقين.

يقول المجلسي أيضاً (اعلم أنّ ما ذكره رحمه الله[٣٣٤] من فضل نبينا وأئمتنا صلوات الله عليهم على جميع المخلوقات وكون أئمتنا أفضل من سائر الأنبياء هو الذي لا يرتاب فيه من تتبع أخبارهم عليهم السلام على وجه الإذعان واليقين، والأخبار في ذلك أكثر من أن تُحصى وعليه عمدة الإمامية ولا يأبى ذلك إلا جاهل بالأخبار).[٣٣٥] وقد صنف علماء الإمامية في هذا مصنفات كثيرة.[٣٣٦]

وهي المقالة التي يُجاهر بها الخميني وسائر علماء الشيعة كما قرر ذلك في كتابه الحكومة الإسلامية بقوله (إنّ من ضروريات مذهبنا أنّ لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرّب ولا نبي مرسل)[٣٣٧]

وإذا كانت المساواة بين الإمام والنبي بحد ذاتها كفيلة بنسف عقيدة النبوة، فكيف إذا كانت أعظم من مقام النبوة؟!!

إنّ تعارضاً صارخاً كهذا بين عقيدة الإمامة وعقيدة ختم النبوة يجلي بكل وضوح بطلان عقيدة الإمامة ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[٣٣٨].

---

(٣٣٤) يعني (ابن بابويه القمي)

(٣٣٥) بحار الأنوار ٢٦/ ٢٩٧-٢٩٨

(٣٣٦) مثل كتاب تفضيل الأئمة على الأنبياء، وكتاب تفضيل علي عليه السلام على أولي العزم من الرسل (كلاهما لهاشم البحراني، المتوفي سنة ١١٠٧)، وتفضيل الأئمة على غير جدهم من الأنبياء لمحمد كاظم الهزار، وتفضيل أمير المؤمنين علي على من عدا خاتم النبيين لمحمد باقر المجلسي، وللمزيد: انظر الذريعة ٤/ ٣٥٨-٣٦٠

(٣٣٧) كتاب الحكومة الإسلامية للخميني ص٥٢

(٣٣٨) سورة النساء آية ٨٢

نهج البلاغة ينقض عقيدة الإمامة التي يعتقدها الشيعة الاثنا عشرية

حتى كتاب نهج البلاغة الذي يستشهد به الشيعة الاثنا عشرية على الإمامة في بعض مقتطفاته هو نفسه أول من يقدح في عقيدة الإمامة التي يتبناها ذاك الفكر بل ويقول بضدها.

عن علي بن أبي طالب قال: (دعوني والتمسوا غيري، فإنا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول. وإنّ الآفاق قد أغامت، والمحجة قد تنكرت. واعلموا أني إن أجبتكم ركبت لكم ما أعلم، ولم أُصغ إلى قول القائل وعتب العاتب، وإن تركتموني فأنا كأحدكم، ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيراً، خير لكم مني أميراً!)(٣٣٩)

فلو كانت إمامة علي منصوصاً عليها من الله عز وجل لما جاز لعلي بن أبي طالب تحت أي ظرف من الظروف أن يقول للناس (دعوني والتمسوا غيري) ويقول (أنا لكم وزيراً خير لكم مني أميراً)، كيف والناس تريده وجاءت لتبايعه ؟!

حاول أيها القارئ أن تسترجع معي قول كاشف الغطاء: (إنّ الإمامة منصب إلهي كالنبوة) لتتخيل نبياً من أنبياء الله يقول للناس (دعوني والتمسوا لكم نبياً غيري، أنا لكم مرشداً أو وزيراً خير لكم من أن أكون نبياً) !

أيُعقل هذا؟ أيجوز هذا؟ ألا يُعتبر هذا رداً لأمر الله - إن جاز لنا أن نقول إنّ الإمامة من الله لا بالشورى والبيعة - ؟!

ولذلك لا تعجب أيها القارئ من ظهور فرقة متطرفة اسمها (الكاملية) كانت في البداية تتولى علياً وتحبه ثم ما لبث أن انقلبت على عقبيها وكفّرته مدّعية أنه بدّل وأحدث في الدين!

---

(٣٣٩) نهج البلاغة ص١٣٦ خطبة ٩٢

يقول المؤرخ الشيعي (النوبختي) في كتابه (فرق الشيعة): (وشذت فرقة من بينهم يُقال لها الكاملية، فأكفرت علياً عليه السلام، وجميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، أكفروا علياً بتركه الوصية، وتخليته الولاية، وتركه القتال على ما عهد إليه رسول الله صلى الله عليه وآله)[٣٤٠] !

فالكاملية رغم أنها أكثر تطرفاً وضلالاً من الفرق الشيعية التي كفّرت الصحابة على العموم واستثنت علياً ونفراً يسيراً لا يتجاوزون السبعة إلا أنها أكثر واقعية، لأنها طبقت المذهب بحذافيره، فالمذهب يرفع من شأن الإمامة إلى حد الإيمان والكفر، ومقولة الإمام علي في نهج البلاغة فيها تساهل كبير في قضية الخلافة وتخلي عنها، والمنصف سيجد نفسه أمام أمرين: إما أن يرى بعينيه الغلو الفاحش في الإمامة عند الاثني عشرية ويدرك أنّ الإمام علياً كان بعيداً كل البعد عن هذه المغالاة، وإما أن يكون مع الكاملية فيكفّر الكل، يكفّر من غصب الخلافة ومن تساهل فيها ورفضها وهي من أعظم أركان الدين!

وقد ناقشت أحد علماء الشيعة في هذه القضية بالذات في مجلس خاص جمعني وإياه مع زميلين أحدهما سني والآخر شيعي، وكان هذا العالم يحاول قدر المستطاع أن يجد العذر للإمام علي في تلفظه بهذه الكلمات - وهو في الحقيقة لا يعتذر للإمام وإنما يعتذر لنظرية الإمامة التي وُضعت بهذا النص على المحك الفعلي - فيقول بأنّ الإمام علياً لم يرفضها وإنما أراد أن يذكرهم بغصب الخلفاء ومظلوميته (على حد قوله)، فقلنا له: كان بإمكانه أن يُعبّر عن فكرته هذه بطريقة أخرى، لكن كلامه كان واضحاً في بيان أنه لا ينظر للإمامة على أنها من الله وإنما يتكلم عنها على أساس بشري، ثم قلنا له: لا يجوز للنبي أن يرفض اعتراف الناس بنبوته مطالباً إياهم باختيار آخر بحجة أنه يريد تذكيرهم بحادثة معينة أو بظُلم وقع عليه!!

---

(٣٤٠) فرق الشيعة ص٢٨

والشيعة يقولون بأنّ الإمامة منصب إلهي من الله كالنبوة، فكيف يجوز للإمام علي أن يعلن التنازل عنه أو رفضه، أليس هذا هو الكفر بعد الإيمان؟!

فلم يجبنا بشيء وانتقل بنا إلى موضوع آخر!

يُضاف إلى ذلك قول الإمام علي في النهج كذلك (أيها الناس ؛ إنّ أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه، وأعلمهم بأمر الله فيه، فإن شغب شاغب استعتب، فإنْ أبى قوتل، ولعمري لئن كانت الإمامة لا تنعقد حتى تحضرها عامة الناس؛ ما إلى ذلك من سبيل، ولكن أهلها يحكمون على من غاب عنها؛ ثم ليس للشاهد أن يرجع، ولا للغائب أن يختار)[٣٤١].

فليست الإمامة حكراً على اثني عشر من دون سائر الخلق بل في كلام الإمام علي رد واضح وصريح على الذين طعنوا في خلافة أبي بكر بحجة أنّ البعض تخلف عنها في البداية (ولكن أهلها يحكمون على من غاب عنها، ثم ليس للشاهد أن يرجع ولا للغائب أن يختار).

ويقول في النهج أيضاً كلاماً أكثر صراحة وأشد وضوحاً حين يقول (إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يردّ، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسمّوه إماما كان ذلك لله رضا، فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردّوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى)[٣٤٢].

وقد أثار الإمام علي بهذه العبارة حقائق جديرة بالاهتمام حيث يجعل:

---

(٣٤١) نهج البلاغة ص٢٤٧ (الجدير بالخلافة).

(٣٤٢) نهج البلاغة ص٣٦٦ (ومن كتابه له (عليه السلام) إلى معاوية).

- أولاً: الشورى للمهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ وبيدهم الحل والعقد.
- ثانياً: اتفاقهم على شخص سبب لمرضات الله وعلامة لموافقته سبحانه وتعالى إياهم.
- ثالثاً: لا تنعقد الإمامة في زمانهم دونهم، وبغير اختيارهم.
- رابعاً: لا يرد قولهم ولا يخرج عن حكمهم إلا المبتدع الباغي المتبع غير سبيل المؤمنين.

فأين هم الشيعة الاثني عشرية عن هذه التصريحات الهامة؟!

نهج البلاغة ينفي أن تكون الإمامة في أهل البيت !!

هذا نص آثرت أن أُفرده بعنوان خاص حتى يتأمله المنصف بكل تمعن.

فقد قال الإمام علي في نهج البلاغة لما بلغه ادعاء الأنصار أنّ الإمامة فيهم (فهلاّ احتججتم عليهم بأنّ رسول الله ﷺ وصّى بأن يُحسن إلى مُحسنهم، ويُتجاوز عن مسيئهم؟ قالوا: وما في هذا من الحجة عليهم؟ **فقال عليه السلام: لو كانت الإمامة فيهم لم تكن الوصية بهم)**[٣٤٣].

فإذا كان الأمر كما قال الإمام علي فإنّ رسول الله ﷺ قد وصىّ بأهل بيته في حديث الثقلين قائلاً (أذكركم الله في أهل بيتي . . أذكركم الله في أهل بيتي) ولو كانت الإمامة حقاً خاصاً لهم دون غيرهم لم تكن الوصية بهم، لكن رسول الله صلى الله عليه وآله وصّى بهم ووصّى بالأنصار تحقيقاً لهذا المعنى الجليل الذي أشار إليه الإمام علي بنفسه.

---

(٣٤٣) نهج البلاغة ص٩٧

عندما يمتزج وهم الإمامة النصية بالخرافة الحسية!

من يتصفح الكتب المصنفّة في الولاية والإمامة بكل تجرد وعقلانية يجد العجب العجاب.

حكايات وبراهين تمجها العقول ولا ترتضيها الفطر، حكايات أشبه ما تكون بقصص (ألف ليلة وليلة) فكيف تكون عقائد يوالي ويعادي الإنسان عليها الناس، ويظن أنها من الإسلام!

خذ عندك هذه الروايات واحكم بنفسك:

عن علي عليه السلام أنه قال: (إنّ الله عرض أمانتي وولايتي على الطيور، فأول من آمن بها البزاة البيض والقنابر، وأول من جحدها البوم والعنقاء، فلعنهما الله تعالى من بين الطيور، فأما البوم فلا تقدر أن تظهر بالنهار لبغض الطيور لها وأما العنقاء فغابت في البحار لا ترى، وإنّ الله عرض أمانتي على الأرضين فكل بقعة آمنت بولايتي جعلها طيبة زكية، وجعل نباتها وثمرتها حلواً عذباً، وجعل ماءها زلالاً، وكل بقعة جحدت إمامتي وأنكرت ولايتي جعلها سبخاً، وجعل نباتها مراً علقماً، وجعل ثمرها العوسج والحنظل، وجعل ماءها ملحاً أجاجاً)[٣٤٤].

فأمثال هؤلاء الرواة كذبوا على علي عليه السلام وكذبوا على الطيور ونسبوا إليها مثل هذا الهراء، فكيف لا يسهل عليهم الكذب على أبي بكر وعمر وغيرهم من الصحابة وتكبير قضية الخلاف يوم السقيفة إلى قضية إيمان وكفر!

ومما روته هذه الكتب أنّ حمار كعب بن الأشرف شهد أنّ علياً ولي الله ووصي رسوله[٣٤٥].

وأنّ كلب ذمي عض اثنين من الصحابة فشكيا أمره إلى رسول الله ﷺ، فأمر بقتله.

---

(٣٤٤) المناقب ١/١٤١ وبحار الأنوار ٢٣/٢٨١، ٤١/٢٤٥، ٦١/٤٧

(٣٤٥) تفسير العسكري ٣٦، البحار ١٧/٣٠٦، إثبات الهداة ٢/ ١٥٠

يقول الراوي: (ثم قام ﷺ وقمنا معه حتى أتى منزل الرجل، فبادر أنس فدق الباب فقال: من بالباب؟ فقال أنس: النبي ﷺ ببابكم، قال: فأقبل الرجل مبادراً ففتح بابه وخرج إلى النبي ﷺ، وقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله[٣٤٦]، ما الذي جاء بك إلي ولست على دينك؟ ألا كنت وجهت إليّ كنت أجيبك، قال النبي ﷺ: لحاجة إلينا أخرج كلبك فإنه عقور وقد وجب قتله، فقد خرق ثياب فلان وخدش ساقه وكذا فعل اليوم بفلان، فبادر الرجل إلى كلبه وطرح في عنقه حبلاً وجره إليه وأوقفه بين يدي رسول الله ﷺ، فلما نظر الكلب إلى رسول الله ﷺ، قال بلسان فصيح بإذن الله تعالى: السلام عليك يا رسول الله، ما الذي جاء بك ولم تريد قتلي؟ قال: خرقت ثياب فلان وفلان وخدشت ساقيهما، قال: يا رسول الله، إنّ القوم الذين ذكرتهم منافقون نواصب يبغضون ابن عمك علي بن أبي طالب[٣٤٧] ولولا أنهم كذلك ما تعرضت لهم ولكنهم جازوا يرفضون علياً ويسبونه فأخذتني الحمية الأبية والنخوة العربية[٣٤٨] ففعلت بهم)[٣٤٩].

ومن ذلك ما روي عن قنبر مولى أمير المؤمنين عليه السلام قال: كنت عند أمير المؤمنين (عليه السلام) إذ دخل رجل فقال: يا أمير المؤمنين، إني أشتهي بطيخاً، قال: فأمرني أمير المؤمنين (عليه السلام) بشراء بطيخة فوجّهت بدرهم فجاءونا بثلاث بطيخات فقطعت واحداً فإذا هو مُرّ، فقلت: مُرّ يا أمير المؤمنين، فقال: ارم به، من النار وإلى النار، قال: فقطعت الثاني فإذا هو حامض، فقلت: حامض يا أمير المؤمنين، فقال: ارم به، من النار وإلى النار، قال: فقطعت الثالث فإذا هو مَدُودَةٌ، فقلت: مَدُودَةٌ يا أمير المؤمنين، فقال: ارم به، من النار وإلى النار.

قال: ثم وُجهت بدرهم آخر فجاءونا بثلاث بطيخات فوثبت على قدمي فقلت: اعفني يا أمير المؤمنين عن قطعه، كأنه تأثم بقطعه.

---

(٣٤٦) يهودي ويقول (بأبي أنت وأمي يا رسول الله)!!

(٣٤٧) سبحان الله، جعلوا الكلاب أيضاً تؤمن بالولاية!

(٣٤٨) تعجبني هذه النخوة العربية، كلب وعنده نخوة عربية!

(٣٤٩) بحار الأنوار ٤١/٢٤٧

فقال له أمير المؤمنين: اجلس يا قنبر فإنها مأمورة، فجلست فقطعت فإذا هو حلو.

فقلت: حلو يا أمير المؤمنين فقال: كل وأطعمنا.

فأكلت ضلعاً وأطعمته ضلعاً وأطعمت الجليس ضلعاً.

فالتفت إلي أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا قنبر، إنّ الله تبارك وتعالى عرض ولايتنا على أهل السماوات وأهل الأرض من الجن والإنس والثمر وغير ذلك فما قبل منه ولايتنا طاب وطهر وعذب، ومالم يقبل منه خبث وردي ونتن)[٣٥٠].

وروى الإمام الرضا فيما يزعمون عن أبيه عن جده أنّ أمير المؤمنين عليه السلام أخذ بطيخة ليأكلها فوجدها مرة فرمى بها، وقال: بعداً وسحقاً، فقيل يا أمير المؤمنين: وما هذه البطيخة؟

فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **إنّ الله تبارك وتعالى أخذ عقد مودتنا على كل حيوان ونبات، فما قبل الميثاق كان عذباً طيباً وما لم يقبل الميثاق كان مالحاً زعاقاً**[٣٥١]

ومن ذلك ما رواه المجلسي في بحار الأنوار أنّ علي بن عاصم الأعمى الكوفي قال: دخلت على أبي محمد العسكري (عليه السلام)، فقال لي: يا علي بن عاصم، انظر إلى ما تحت قدميك، فإنك على بساط قد جلس فيه كثير من النبيين والمرسلين والأئمة الراشدين، قال: فقلت: يا سيدي، لا أنتعل ما دمت في الدنيا إكراماً لهذا البساط، فقال: **يا علي، إنّ هذا النعل الذي في رجلك نعل نجس ملعون لا يقر بولايتنا**[٣٥٢]

فحتى الحيوانات والجمادات لم تسلم من الكذب عليها ومن اتهامها ببغض أهل البيت أو برفض ولايتهم!

فلا تعجب حينئذ إن جاء هؤلاء بآلاف الروايات المكذوبة في أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة بشكل عام، ما دام غير البشر ليسوا بمأمن من الكذب عليهم ومن اتهامهم بما هو باطل!

---

(٣٥٠) مستدرك الوسائل ج١٦ ص٤١٣ والاختصاص ص٢٤٩ وبحار الأنوار ٢٧/ ٢٨٢

(٣٥١) وسائل الشيعة ج٢٥ ص١٠٣ وعلل الشرائع ٢/ ٤٦٤

(٣٥٢) بحار الأنوار ٥٠/ ٣٠٤

مناقشة ما يُستدل به على الإمامة من القرآن الكريم

آية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾

لعل من أبرز ما يستدل به علماء الشيعة على إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والنص عليه من الله هو قوله تعالى﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾[٣٥٣] حتى اشتهر تسميتها عند الشيعة الاثني عشرية باسم (آية الولاية).

ووجه استدلال الشيعة الاثني عشرية بالآية كما يقول الحلي (يتوقف على مقدمات:

أحدها أنّ لفظ (إنما) للحصر، وذلك معلوم عند أهل اللغة.

الثانية: أنّ المراد بالولي هنا المتصرف، والمستحق لوصف الأولى، وهو معلوم من أهل اللغة حيث يُقال: فلان ولي المرأة لمن هو أولى بالعقد، ويصفون العصبة بأنهم أولياء الدم، لأنهم أولى بالمطالبة.

الثالث: أنّ المراد بذلك هو علي عليه السلام ويدل عليه وجوه:

أحدها: اتفاق المفسرين على أنها نزلت فيه عليه السلام.

الثاني: إنها تدل على ثبوت الإمامة لمن اجتمعت فيه صفة إتيان الزكاة حين الركوع ولم يتصف بذلك غير علي عليه السلام لما تصدق بخاتمه في صلاته حال الركوع بالإجماع.

الثالث: قد بيّنا أنها ليست عامة في حق المؤمنين كافة، وإلا لكان كل

(٣٥٣) سورة المائدة آية ٥٥

واحد ولي نفسه وهو محال وكل من خصّها ببعض المؤمنين قال: المراد بها علي عليه السلام)[٣٥٤].

فما مدى صحة ما ذهبت إليه النظرية الإمامية الاثني عشرية؟

المناقشة:

قول الحلي بأنّ المفسرين متفقون على أنّ الآية نزلت في علي بن أبي طالب[٣٥٥] يفتقد إلى الدقة على أقل أحواله، إن لم يكن إلى الافتراء أقرب، حيث لا اتفاق بين المفسرين على أنّ الآية نزلت في علي بن أبي طالب، و لو أنّ الحلي قال: (قال بعضهم أنها نزلت فيه) لكان ذلك أدق وأصوب.

فقد ذكر القرطبي في تفسيره للآية أكثر من سبب نزول ولم يجزم بأنّ الآية نزلت في علي دون الآخرين ممن ذكرهم، بل ذكر القرطبي ما يوجب نفي أن تكون الآية قد نزلت في علي دون غيره بنقله رواية عن الإمام الباقر (أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب) وقد سُئل عن معنى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ هل هو علي بن أبي طالب؟ فقال: علي من المؤمنين، يذهب إلى أنّ هذا لجميع المؤمنين.[٣٥٦]

وأما الرازي فقد ذكر عدة أقوال في سبب نزول الآية ثم تعرض إلى رواية التصدق بالخاتم فنفى صحتها لقرائن ودلائل كثيرة[٣٥٧]، والحال كذلك في تفسير ابن كثير[٣٥٨]، وقد ذكر البيضاوي في تفسيره ما قيل بأنها نزلت في علي بصيغة التمريض.[٣٥٩]

---

(٣٥٤) أنوار الملكوت في شرح الياقوت ٢٢٥-٢٢٦ وكشف المراد ص٢٨٩ له، وإعلام الورى للطبرسي ص١٦٨

(٣٥٥) وقال عبد الحسين شرف الدين الموسوي في المراجعات (على أنّ نزولها في علي مما أجمع عليه المفسرون) المراجعات ص٢٥٨

(٣٥٦) تفسير القرطبي ٦/ ٢٠٧-٢٠٩

(٣٥٧) تفسير الرازي ١٢/ ٢٦-٢٧

(٣٥٨) تفسير القرآن العظيم ٢/ ٩٨-١٠٠

(٣٥٩) تفسير البيضاوي ٢/ ٣٤٠

أما الطبري فذكر في تفسيره روايات تؤكد نزولها في عبادة بن الصامت كما سيأتي، وذكر كذلك ما روي أنها نزلت في الإمام علي، وقد عبر عن اختلاف العلماء في سبب نزول الآية بقوله (وأما قوله ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ فإنّ أهل التأويل اختلفوا في المعني به)[٣٦٠]، وكذلك هو الحال في تفسير البغوي.[٣٦١]

وأما الواحدي فعلى ما عُرف عنه من عدم العناية بالحديث كحال الثعالبي وأبي السعود إلا أنه نقل سبباً وحيداً لنزول الآية[٣٦٢] فقال: (﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ نزلت لما هجر اليهود من أسلم منهم فقال عبد الله بن سلام يا رسول الله إن قومنا قد هجرونا وأقسموا ألا يجالسونا فنزلت هذه الآية فقال رضينا بالله وبرسوله وبالمؤمنين أولياء وقوله ﴿وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ يعني صلاة التطوع)[٣٦٣].

وأما ابن الجوزي فقال في تفسيره زاد المسير: (اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال . .) ثم ذكر الأقوال الأربعة[٣٦٤].

وذكر الشوكاني في تفسير الآية قولين: الأول: أنها نزلت في عبادة بن الصامت، والثاني: أنها نزلت في علي بن أبي طالب دون ترجيح[٣٦٥].

وفي هذا دلالة قاطعة على أنّ ادعاء إجماع أو اتفاق المفسرين على أنها نزلت في علي بن أبي طالب كذب على هؤلاء المفسرين.

وغاية ما ينقله علماء الشيعة الاثني عشرية عن المفسرين الذين تبنوا

---

(٣٦٠) تفسير الطبري ٦/ ٢٨٨

(٣٦١) تفسير البغوي ٢/ ٤٧

(٣٦٢) وذكر في موضع آخر رواية ابن عباس عن علي أنه تصدّق بخاتم من ذهب وهي رواية مردودة كما سيأتي.

(٣٦٣) تفسير الواحدي ١/ ٣٢٥

(٣٦٤) زاد المسير ٢/ ٣٨٢

(٣٦٥) فتح القدير ٢/ ٥٣

الرأي في نزولها في علي بن أبي طالب دون غيره، فهو مذكور في تفسير الثعالبي[٣٦٦] وأبي السعود وغيرهما[٣٦٧].

والثعالبي وأبو السعود على فضلهما إلا أنهما لا خبرة لديهما بالصحيح والسقيم من الأحاديث، ولذا كثر في تفسيرتهما الروايات الضعيفة والموضوعة، ولذلك قال العلماء عن الثعالبي على وجه الخصوص بأنه حاطب ليل، لا يميز بين الرطب واليابس.

والمتكلم والمفسّر والمؤرخ ونحوهم، لو ادّعى أحدهم نقلاً مجرداً بلا إسناد ثابت لم يُعتمد عليه حتى يأتي بإسناد الحديث فيُحكم عليه صحة وضعفاً.

ورواية تصدق الإمام علي بن أبي طالب بالخاتم المذكورة قد ناقشها كثير من العلماء، وحسبي أن أشير إلى ما ذكره في ذلك محقق تفسير القرطبي.

قال الشيخ عبد الرزاق المهدي عن الرواية (باطلة. أخرجها الطبراني كما في المجمع ٧/ ١٧ من حديث عمار بن ياسر، وقال الهيثمي: وفيه من لم أعرفهم. وأخرجها الواحدي ٣٩٧ بسنده عن ابن عباس، وفيها الكلبي متهم بالكذب، وكذا محمد بن مروان السدي الصغير، وأخرجها الطبراني ١٢٢١٥ عن السدي من قوله، وهذا معضل)[٣٦٨].

وقال أيضاً: (وكذلك أنّ الواحدي في روايته عن ابن عباس أنّ علياً تصدق بخاتمه الذي هو من ذهب. نعم هكذا ذكره في الأسباب ص١٤٩ وهذا لا يكون. لأنّ الذهب حرام، والآية غير منسوخة حتى نقول كان في أول الإسلام، بل هي محكمة تتكلم عن توجيهات قرآنية لا عن أحكام فقهية.. وأيضاً في الآثار هذه أنّ الرجل صار يسأل الناس في المسجد والناس ما بين

---

(٣٦٦) ويُقال له الثعلبي على اختلاف العلماء في إطلاق التسميتين عليه.

(٣٦٧) تفسير أبي السعود ٣/ ٥٢

(٣٦٨) قاله في هامش ص٢٠٨ من تفسير القرطبي ٦/ ٢٠٨

راكع وساجد، وهذا أيضاً يؤدي إلى رفع الصوت في المسجد، أو هو من باب إنشاد الضالة وغيره في المسجد، وهو منهي عنه)[٣٦٩].

ويقول ابن كثير: (وليس يصح شيء منها بالكلية لضعف أسانيدها وجهالة رجالها)[٣٧٠].

على أنّ في رواية تصدق الإمام علي بخاتمه ما يدعو للعجب والاستغراب.

وذلك أنّ (اللائق بعلي عليه السلام أن يكون مستغرق القلب بذكر الله حال ما يكون في الصلاة، والظاهر أنّ من كان كذلك فإنه لا يتفرغ لاستماع كلام الغير ولفهمه، ومن كان قلبه مستغرقاً في الفكر كيف يتفرغ لاستماع كلام الغير)[٣٧١]، وقد أثنى الله عز وجل على الخاشعين في صلاتهم فقال ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝﴾[٣٧٢] ولا ريب أنّ علي بن أبي طالب من أحق الناس بهذه الآية فكيف يُزعم أنه كان يستمع للرجل وأنه انشغل بإخراج المال من جيبه، كل هذا وهو يصلي!

فإن قيل: خاف أن يذهب الرجل، نقول: إنّ المدينة لا تخلو من فقراء محتاجين إلى الزكاة فلن يُحرم علي ولا غيره من الصحابة من الأجر هذا من جانب، ثم أو ليست كتب الشيعة تروي أنّ الإمام إذا أراد أن يعلم شيئاً أعلمه الله؟ فحينئذ يمكن للإمام علي الانتظار إلى حين الانتهاء من الصلاة ثم يستطيع إعطاء الرجل ما يريد إعطاءه متى شاء بعد ذلك.

على أنّ هناك حقيقة يجهلها أو يتجاهلها بالأحرى الكثيرون .. فالإمام علي كان فقيراً في عهد النبي صلوات الله وسلامه عليه، بالكاد يملك قوت يومه وكسوة أهله حتى اشتكت من ذلك السيدة فاطمة كما هو معروف في كتب

---

(٣٦٩) هامش ص٤٨٤ من الجزء الثاني لتفسير نظم الدرر للبقاعي بتحقيق عبد الرزاق المهدي.
(٣٧٠) تفسير القرآن العظيم ٢/ ٩٩
(٣٧١) تفسير الرازي ١٢/ ٢٧ بتصرف.
(٣٧٢) سورة المؤمنون آية ١-٢

الشيعة الاثني عشرية قبل كتب أهل السنة، فمن أين إذاً بلغ ماله الحول حتى يخرج منه الزكاة؟!

ثم إنّ الأصل في الزكاة أن يبدأ بها المُزكّي لا أن ينتظر الفقراء حتى يأتونه ويسألونه حقهم في ماله، وليس الإمام علي بالذي يحتفظ بالزكاة عنده ويحجزها عن فقراء المدينة أو عن أهل الصفة الذين سكنوا المسجد النبوي والذين يراهم ليلاً ونهاراً حين دخوله بيته وحين خروجه منه.

وقد سأل الإمام جعفر الصادق إسحاق بن عمار يوماً: يا إسحاق، كيف تصنع بزكاة مالك إذا حضرت؟ قال: يأتوني إلى المنزل فأعطيهم. فقال له: ما أراك يا إسحاق إلا قد أذللت المؤمنين، فإياك إياك، إنّ الله تعالى يقول (من أذل لي ولياً فقد أرصد لي بالمحاربة)[٣٧٣].

أما أنا فأبرئ علياً أن يكون ممن يذل المؤمنين بحبسه الزكاة عنهم حتى يطلبوها هم .. وأبرئه من الانشغال عن الصلاة وهو الخاشع الطائع ... وأبرئه من رواية كهذه لا تصح لا سنداً ولا تُعقل معنىً، وعليك أن تكون منصفاً وتنتصف للإمام علي من هذه الروايات التي تسيء له أكثر ما تمتدحه.

وفضائل علي بن أبي طالب كثيرة ومثله غني عن هذه الروايات السقيمة التي تضع صاحبها ولا ترفعه.

وبالمقابل وجدنا أنّ رواية عبادة بن الصامت التي أخرجها الطبري في تفسيره وغيره من المفسرين صحيحة السند، فهي سبب نزول الآية الكريمة.

وذلك أنه لما خانت بنو قينقاع الرسول ﷺ ذهبوا إلى عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وأرادوه أن يكون معهم فتركهم وعاداهم وتولى الله ورسوله، فأنزل الله تبارك وتعالى قوله ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾[٣٧٤] أي والحال أنهم خاضعون في كل شؤونهم لله تبارك وتعالى، ولذلك قال الله تبارك وتعالى في أول الآيات ﴿يَا أَيُّهَا

(٣٧٣) الأمالي لشيخ الطائفة الطوسي ص١٩٨ الجزء السابع
(٣٧٤) تفسير الطبري ٦/ ١٧٨

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾[٣٧٥] يعني عبد الله بن أبي بن سلول لأنه كان موالياً لبني قينقاع، ولما حصلت الخصومة بينهم وبين النبي ﷺ والاهم ونصرهم ووقف معهم وذهب إلى النبي ﷺ يشفع لهم، أما عبادة بن الصامت رضي الله عنه وأرضاه فإنه تبرأ منهم وتركهم فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ ثم عقب تبارك وتعالى بذكر صفة المؤمنين وهو عبادة بن الصامت ومن سار على دربه ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾.

ومما يؤكد كونها نازلة في عبادة بن الصامت رضي الله عنه وفي المنافق عبد الله بن أبي بن سلول وبني قينقاع سياق الآيات لمن تدبرها، فإنه تعالى قد قال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾[٣٧٦] فهذا نهي عن موالاة اليهود والنصارى.

ثم قال ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ إلى قوله تعالى ﴿فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾[٣٧٧] فهذا وصف الذين في قلوبهم مرض، الذين يوالون الكفار كالمنافقين، ثم قال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾[٣٧٨] فذكر فعل المرتدين وأنهم لن يضروا الله شيئاً، وذكر

---

(٣٧٥) سورة المائدة آية ٥١

(٣٧٦) سورة المائدة آية ٥١

(٣٧٧) سورة المائدة آية ٥٢-٥٣

(٣٧٨) سورة المائدة آية ٥٤

من يأتي به بدلهم، ثم قال ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾[٣٧٩] فتضمن هذا الكلام ذكر أحوال من دخل في الإسلام من المنافقين، وممن يرتد عنه، وحال المؤمنين الثابتين عليه ظاهراً وباطناً[٣٨٠].

وتجدر الإشارة إلى أنّ الآية على فرض كونها قد نزلت في الإمام علي فإنه لا دلالة فيها على معنى الإمامة أو الإمارة.

فالولاية (بالفتح) المذكورة في الآية هي ضد العداوة، والاسم منها (مولى، وولِيّ) بينما الولاية (بالكسر) تعني الإمارة، والاسم منها (والي، ومتولي)، والآية إنما ذكرت لفظ (ولي)، وفي هذا إثبات النصرة والمحبة لا الإمارة، فكيف تُتجاهل هذه الحقيقة اللغوية هكذا بكل بساطة؟!

فلفظ (الولي) تشترك فيه معان كثيرة . . . ولا يمكن أن يُراد من اللفظ المشترك معنى معين إلا بقرينة خارجة والقرينة ها هنا من السياق يعني ما سبق هذه الآية فهو مؤيد لمعنى الناصر لأنّ الكلام في تقوية قلوب المؤمنين وتسليتها، وإزالة الخوف عنها من المرتدين[٣٨١].

ولو كان المراد من الآية الإمارة لقال الله (إنما يتولى عليكم الله ورسوله والذين آمنوا) ولم يقل ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ فإنه لا يُقال لمن ولي عليهم وال أنهم (تولوه) بل يُقال: (تولى عليهم)، وهذا ظاهر لمن يعرف العربية.

وتفسير قوله تعالى ﴿إنما وليكم﴾ بالإمارة لا يتفق مع وصف الله تعالى نفسه بأنه ولي المؤمنين، فإنّ الله عز وجل لا يُوصف بأنه أمير المؤمنين على عباده أو خليفتهم أو أنه إمامهم !!

لأنه سبحانه وتعالى خالقهم ورازقهم وربهم ومليكهم، له الخلق

(٣٧٩) سورة المائدة آية ٥٥-٥٦

(٣٨٠) مختصر المنهاج ٢/ ٦١٦

(٣٨١) مختصر التحفة ص١٤٢

والأمر، فالولاية هنا تعني النصرة والمحبة، فإنّ الله عز وجل يتولى عباده المؤمنين فيحبهم ويحبونه، ويرضى عنهم ويرضون عنه، وكذلك الحال في رسول الله ﷺ وفي المؤمنين الذين عبّر الله عز وجل عنهم بـ (الذين آمنوا) سواء كان علي بن أبي طالب أو غيره.

فهذه هي الولاية المقصودة في الآية، ومن يأبى إلا الإصرار على أنها في الإمامة فنحن نطالبه بأن يستبدل لفظ (وليكم) بـ (إمامكم) أو (خليفتكم) ويرينا هل يستقيم له المعنى.

ولفظ الركوع المذكور في الآية يُراد به الخضوع كنحو قوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾﴾ والمراد أي اخضعوا واستسلموا لأمر الله تبارك وتعالى.

يقول الطبري (وأما تأويل - أي تفسير - الركوع فهو الخضوع لله بالطاعة، يُقال منه ركع فلان لكذا وكذا إذا خضع له، ومنه قول الشاعر:

بيعت بكسر لتيم واستغاث بها   من الهزال أبوها بعدما ركعا

يعني: بعد ما خضع من شدة الجهد والحاجة).[٣٨٢]

وقال الراغب الأصفهاني (الركوع: الانحناء فتارة يُستعمل في الهيئة المخصوصة في الصلاة كما هي وتارة في التواضع والتذلل إما في العبادة وإما في غيرها).[٣٨٣]

(وكانت العرب تُسمي من آمن بالله تعالى ولم يعبد الأوثان راكعاً، ويقولون: ركع إلى الله أي اطمأن إليه خالصاً . . .)[٣٨٤]

ولذلك ذكر الله عز وجل في الآية الركوع في حال الزكاة بعد ذكره

(٣٨٢) جامع البيان للطبري ١/ ٢٥٧
(٣٨٣) المفردات في غريب القرآن ص٢٠٢
(٣٨٤) أساس البلاغة للزمخشري المعتزلي ١/ ٣٦٨

لإقامة الصلاة مع أنّ الركوع إنما يكون في الصلاة لا الزكاة، ومن هنا ظهر أنّ المراد بأنهم يؤتون الزكاة وهم خاضعون مستسلمون لله، إذ المرء قد يشح عن أداء الزكاة ويستكثر أن يخرج من ماله للفقراء، والذي يخضع لله ويستسلم لأحكامه ويقبل بقلبه وبجوارحه على أدائها يكون حينئذ خاضعاً مستسلماً لله وهو المراد من الآية.

ويُضاف إلى هذا كله أنّ قول الحلي بأنّ (إنما) في الآية تفيد الحصر لن يخدم النظرية الإمامية أبداً.

فالحصر كما يلزم أهل السنة من جهة إخراجه أبي بكر وعمر وعثمان من استحقاق الخلافة ويحصر الاستحقاق في علي وحده، فهو كذلك يلزم الشيعة أيضاً.

فالأداة (إنما) إن أفادت الحصر فذلك يعني أحد أمرين: إما حصر الخلافة في علي فقط ونفي إمامة غيره حتى الأحد عشر الذين تنص عقيدة الشيعة على إمامتهم لأنّ الحصر لن يخرج أبا بكر وعمر وعثمان فقط ويُدخل غيرهم وإنما يُخرج الجميع، وفي هذا بطلان إمامة كل من هم سوى الإمام علي بن أبي طالب، وهذا ما لا يطيقه أرباب النظرية الإمامية.

أو أنها تحصر الخلافة فيمن يؤدي الزكاة وهو راكع وهذا أعظم من الأول لأمرين اثنين وهما:

أ - يستطيع كل أحد أن يؤدي الزكاة وهو راكع فهل أهلية إمامة المسلمين مقيدة بهذا؟!! هل كل من يؤدي الزكاة وهو راكع يستحق بمقتضى فعله هذا أن يكون خليفة للمسلمين؟!!

ب - لم يثبت عن الأئمة الأحد العشر الباقين أنهم تصدقوا أو أدوا الزكاة وهم راكعون، وفي ذلك نفي لإمامتهم، بل على فرض صحة الرواية في تصدق علي وهو راكع، فإنا نعلم أن التوافق بين كون علياً يؤدي الصلاة

وبين دخول الفقير إلى المسجد وطلبه الزكاة أمر لا يتكرر إلا بمحض الصدفة لا أن يتكرر لاثني عشر رجلاً إلا إذا قُصد تعمد تكرار هذا المشهد !!

فالنص قد حُمّل بالفعل أكثر مما يحتمل، معناه واضح جلي والسياق الذي أتى به أوضح، وسبب النزول المعروف في عبادة بن الصامت يزيده وضوحاً فلماذا لا نستسلم للحقيقة؟

آية التطهير وحديث الكساء

آية التطهير هي قول عز وجل ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويُطهّركم تطهيراً﴾ وهي كما هو معلوم جزء من قوله تعالى ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾﴾[٣٨٥]

وقد تعمّد علماء الشيعة الاثني عشرية اقتطاع آية التطهير من السياق القرآني الذي جاءت فيه والذي خاطب الله به نساء النبي عليه الصلاة والسلام إغفالاً لنساء النبي من الخطاب، ثم ضموا إلى ذلك حديث الكساء الذي رواه مسلم في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة قالت: خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط[٣٨٦] مرحّل[٣٨٧] من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء

---

(٣٨٥) سورة الأحزاب آية ٣٢ - ٣٣

(٣٨٦) يعني كساء

(٣٨٧) وهو الموشى المنقوش عليه صور رجال الإبل

الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.(٣٨٨)

وحديث أم المؤمنين أم سلمة (لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا في بيت أم سلمة فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره فجلله بكساء ثم قال (اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً) قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: أنت على مكانك، وأنت على خير)(٣٨٩) لتثبيت المعنى الذي يريدونه من الاستدلال بهذه الآية الكريمة.

ويرى علماء الشيعة الاثني عشرية أنّ في آية التطهير دلالة على عصمة أصحاب الكساء (علي وفاطمة والحسن والحسين) من الخطايا والذنوب صغيرها وكبيرها بل ومن الخطأ والسهو البشري.

المناقشة:

أولاً: حديث أم سلمة المذكور آنفاً قد ورد بعدة صيغ:

فرُوي عن أم سلمة أنها قالت: كان النبي ﷺ عندي، وعلي وفاطمة والحسن والحسين، فجعلت لهم خزيرة، فأكلوا وناموا، وغطى عليهم عباءة أو قطيفة، ثم قال: (اللهم هؤلاء أهل بيتي، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً).

وفي رواية أخرى أنه ﷺ أجلسهم على كساء، ثم أخذ بأطرافه الأربعة

(٣٨٨) صحيح مسلم - كتاب فضائل الصحابة
(٣٨٩) رواه الترمذي

بشماله، فضمه فوق رؤوسهم، وأومأ بيده اليمنى إلى ربه، فقال: هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

وهاتان الروايتان تتفقان مع رواية مسلم عن السيدة عائشة في دخول الخمسة الآية، ولكن هذا لا يحتّم عدم دخول غيرهم.

وقد وردت روايات عن أم سلمة فيها زيادات تشير إلى عدم دخولها مع أهل الكساء، لا يخلو أكثرها من الضعف لكن صح منها من جملتها هذه الرواية (لما نزلت هذه الآيةَ على النبي ﷺ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا في بيت أم سلمة فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره فجلله بكساء ثم قال (اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً) قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: أنت على مكانك، وأنت على خير)(٣٩٠)

وهناك رواية هامة جداً رويت بإسناد حسن تشير إلى أنّ أم سلمة قد دخلت في الكساء بعد خروج أهل الكساء منه، ولعل التعليل في ذلك أنه لا يصح أن تدخل أم سلمة مع علي بن أبي طالب تحت كساء واحد، فلذلك أدخلها رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بعد خروج أهل الكساء منه.

فعن شهر قال: سمعت أم سلمة زوج النبي ﷺ حين جاء نعي الحسين بن علي، لعنت أهل العراق، فقالت: قتلوه قتلهم الله، غرّوه وذلّوه لعنهم الله، فإني رأيت رسول الله ﷺ جاءته فاطمة غُدّية ببرمة قد صُنعت له فيها عصيدة تحملها في طبق لها، حتى وضعتها بين يديه فقال لها: أين ابن عمك؟ قالت: هو في البيت، قال: اذهبي فادعيه وائتيني بابنيه، قال: فجاءت تقود ابنيها كل واحد منهما بيد، وعلي يمشي في إثرهما، حتى دخلوا على رسول

---

(٣٩٠) رواه الترمذي وصححه الألباني

الله ﷺ فأجلسهما في حجره وجلس علي على يمينه وجلست فاطمة على يساره، قالت أم سلمة: فاجتبذ كساء خيبرياً كان بساطاً لنا على المنامة في المدينة فلفّه رسول الله ﷺ جميعاً فأخذ بشماله طرفي الكساء وألوى بيده اليمنى إلى ربه عز وجل، قال: اللهم أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، اللهم أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، **قلت: يا رسول الله، ألست من أهلك؟ قال: بلى فادخلي في الكساء، فدخلت في الكساء بعدما قضى دعاءه لابن عمه علي وابنيه وابنته فاطمة)**(٣٩١).

فشهد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه لأم سلمة أنها من أهل بيته بل وأدخلها في الكساء بعد دعائه لهم.

ثانياً: آية التطهير تتناول نساء النبي صلوات الله وسلامه عليه بكل وضوح، والأحاديث النبوية تشير إلى دخول أصحاب الكساء معهنّ لدعاء النبي عليه الصلاة والسلام لأصحاب الكساء بذلك.

(فإن قيل: إنّ الضمير في قوله ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾، وفي قوله ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، ضمير مذكر، فلو كان المراد نساء النبيّ ﷺ لقيل: (ليذهب عنكن ويطهركن).

فالجواب من وجهين:

الأول: هو ما ذكرنا من أن الآية الكريمة شاملة لهن ولعلي والحسن والحسين وفاطمة، وقد أجمع أهل اللسان العربي على تغليب الذكور على الإناث في الجموع ونحوها، كما هو معلوم في محله.

الوجه الثاني: هو أنّ من أساليب اللغة العربية التي نزل بها القرآن أنّ زوجة الرجل يطلق عليها اسم الأهل، وباعتبار لفظ الأهل تخاطب مخاطبة الجمع المذكر، ومنه قوله تعالى في موسى: ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟﴾،

---

(٣٩١) مسند أحمد والطبراني في المعجم الكبير وفضائل الصحابة لأحمد ٢/٨٥٢ حديث رقم ١١٧٠

وقوله﴿سآتِيكُمْ﴾، وقوله﴿لَعَلّي آتِيكُمْ﴾، والمخاطب امرأته؛ كما قاله غير واحد، ونظيره من كلام العرب قول الشاعر:

فإن شئت حرمت النساء سواكم وإن شئت لم أطعم نقاخًا ولا برداً

وبما ذكرنا تعلم أن قول من قال: إنّ نساء النبيّ ﷺ لسن داخلات في الآية، يردّ عليه صريح سياق القرآن، وأنّ من قال: إنّ فاطمة وعلياً والحسن والحسين ليسوا داخلين فيها، تردّ عليه الأحاديث المشار إليها).(٣٩٢)

ولهذا لمّا كانت الآية نازلة في نساء النبي (أمهات المؤمنين) وفي إرادة تطهيرهن، جمع النبي عليه الصلاة والسلام أصحاب الكساء وهم من خواص أهل البيت، ليدعو لهم بأن ينالهم التطهير الذي نال أمهات المؤمنين قائلاً (اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً) طالباً من الله عز وجل أن ينالهم هذا الفضل وهم بلا شك أهل له، فحرصت أم سلمة بعد أن رأت رسول الله قد جمع علياً وفاطمة والحسن والحسين أن تكون معهم وتنال بركة دعاء النبي عليه الصلاة والسلام وكان ذلك قبل أن يدعو النبي عليه الصلاة والسلام وقبل أن يقرأ الآية موضحاً سبب طلبه لهم، فقالت أم سلمة: (وأنا معهم يا رسول الله)، قال: (إنك على خير) إذ لا حاجة لأم سلمة في أن يدعو لها رسول الله ﷺ بأن يُذهب الله عنها الرجس طالما أنّ الآية نزلت فيها وفي باقي نساء النبي عليه الصلاة والسلام، وهذا من أبرز الدلائل على كون الآية نازلة فيهن لا في أصحاب الكساء الذين حرص النبي عليه الصلاة والسلام على الدعاء لهم ولو كانت الآية نازلة فيهم لما جمعهم الرسول عليه الصلاة والسلام وقال ما قال.

يقول القرطبي: (فالآيات كلها من قوله ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك﴾ إلى قوله ﴿إنّ الله كان لطيفاً خبيراً﴾ منسوق بعضها على بعض فكيف صار في الوسط كلام منفصل لغيرهن؟! وإنما هذا شيء جرى في الأخبار أنّ النبي عليه السلام لما نزلت عليه هذه الآية دعا علياً وفاطمة والحسن والحسين، فعمد

---

(٣٩٢) أضواء البيان ٦/ ٢٧٨

النبي ﷺ إلى كساء فلفه عليهم ثم ألوى بيده إلى السماء فقال (اللهم هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً) فهذه دعوة من النبي ﷺ لهم بعد نزول الآية أحب أن يدخلهم في الآية التي خوطب بها الأزواج ومن وافقه فصيرها لهم خاصة وهي دعوة لهم خارجة من التنزيل)[٣٩٣].

ثالثاً: آية التطهير لا يمكن الاستدلال بها على العصمة لأمور هي:

١ - إذهاب (الرجس) لا يعني في اللغة العربية ولا في لغة القرآن معنى (العصمة).

يقول الراغب الأصفهاني في (مفردات ألفاظ القرآن) مادة (رجس):

(الرجس: الشيء القذر، قال: رجل رجس، ورجال أرجاس، قال تعالى ﴿رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ .. والرجس من جهة الشرع والخمر والميسر .. وجعل الكافرين رجساً من حيث أنّ الشرك بالعقل أقبح الأشياء، قال تعالى ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ وقوله تعالى ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾، قيل: الرجس: النتن، وقيل: العذاب، وذلك كقوله ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ وقال ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾.

وبالجملة لفظ (الرجس) أصله (القذر)، يُطلق ويُراد به الشرك كما في قوله تعالى ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾[٣٩٤]، ويُطلق ويُراد به الخبائث المحرّمة كالمطعومات والمشروبات نحو قوله ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا﴾[٣٩٥] وقوله ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾[٣٩٦] ولم يثبت أن استخدم القرآن

---

(٣٩٣) تفسير القرطبي ١٤/ ١٨٣

(٣٩٤) سورة الحج آية ٣٠

(٣٩٥) سورة الأنعام آية ١٤٥

(٣٩٦) سورة المائدة آية ٩٠

لفظ (الرجس) بمعنى مطلق الذنب بحيث يكون في إذهاب الرجس عن أحد إثبات لعصمته.

٢ - التطهير من الرجس لا يعني إثبات العصمة لأحد!

فكما أنّ كلمة (الرجس) لا يراد بها ذنوب الإنسان وأخطاءه في الاجتهاد وإنما يُراد بها القذر والنتن والنجاسات المعنوية والحسية فإنّ كلمة (التطهير) لا تعني العصمة.

فإنّ الله عز وجل يريد تطهير كل المؤمنين وليس أهل البيت فقط، وإن كان أهل البيت هم أولى الناس وأحقهم بالتطهير.

فقد قال الله تعالى في كتابه الكريم عن صحابة رسوله ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾[٣٩٧] وقال عز من قائل ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[٣٩٨] وقال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾[٣٩٩]، فكما أخبر الله عز وجل بأنه يريد تطهير أهل البيت أخبر كذلك بأنه يريد تطهير المؤمنين، فإن كان في إرادة التطهير وقوع للعصمة لحصل هذا للصحابة ولعموم المؤمنين الذين نصت الآيات على إرادة الله عز وجل تطهيرهم.

وقد قال الله تعالى أيضاً عن لوط عليه السلام ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ ولم تكن ابنتا لوط عليه السلام معصومتين مع أنهما من الآل الذين وُصفوا بالتطهير.

وقد قال تعالى عن رواد مسجد قباء من الصحابة ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾، ولم يكن هؤلاء معصومين من الذنوب بالاتفاق.

---

(٣٩٧) سورة المائدة آية ٦

(٣٩٨) سورة التوبة آية ١٠٣

(٣٩٩) سورة البقرة آية ٢٢٢

وقال تعالى عن أهل بدر وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ ولم يكن في هذا إثبات لعصمته مع أنه لا فرق يُذكر في الألفاظ بين قول الله تعالى عن أهل البيت ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وبين قوله عن أهل بدر ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾، فالرجز والرجس متقاربان، و(يطهركم) في الآيتين واحد، لكن الهوى هو الذي جعل من الآية الأولى دليلاً على العصمة دون الأخرى!

والعجيب في علماء الشيعة أنهم يتمسكون بالآية ويصرفونها إلى أصحاب الكساء ثم يصرفون معناها من إرادة التطهير إلى إثبات عصمة أصحاب الكساء ثم يتناسون في الوقت نفسه آيات أخرى نزلت في إرادة الله عز وجل لتطهير الصحابة بل هم بالمقابل يقدحون فيهم ويقولون بانقلابهم على أعقابهم مع أنّ الله عز وجل نص على إرادة تطهيرهم بنص الآية، مفارقات عجيبة يُحار فيها العقل ولا تجد لها إلا إجابة واحدة، إنه التعصب وما يفعله في أصحابه.

٣ - دعاء النبي عليه الصلاة والسلام يحسم القضية.

هل يصح لطالب خاض اختبارات الجامعة أن يدعو الله عز وجل أن ينجحه في اختباراته بعد ظهور النتيجة وحصوله على الشهادة؟! بلا شك لا.

فآية التطهير لو كان فيها ما يدل على وقوع التطهير لأهل الكساء لما قام رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بتغطيتهم بالكساء والدعاء لهم بقوله (اللهم إنّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس)!

بل في هذا دلالة واضحة على أنّ الآية نزلت في نساء النبي عليه الصلاة والسلام وأنّ رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أراد أن ينال أصحاب الكساء هذا الإخبار الرباني عن التطهير فجمعهم وجللهم بالكساء ودعا لهم فتقبل الله دعاءه لهم لأنهم أهل لذلك بلا ريب.

٤ - إرادة التطهير لا تعني بالضرورة وقوع التطهير.

ما ذكرته آنفاً يستند إلى أنّ المعنى من إرادة الله للتطهير وقوع التطهير، وقد يكون المراد من الآية الأمر بلزوم طاعة الله حتى يقع التطهير.

وسياق الكلام الموجه لنساء النبي صلوات الله وسلامه عليه كان يتضمن توجيهاً إلهياً لهن بفعل أمور واجتناب أخرى[٤٠٠]، ويبيّن الله عز وجل أنه يريد منهن التزام هذه التوجيهات ليذهب عنهم الرجس بمقتضى أمره لهم، وبامتثالهم لأمر الله وحفظهم لوصاياه يحصل التطهير، وهذا النمط من الخطاب استخدمه الله عز وجل في آخرين كما في قوله تعالى للمؤمنين ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾[٤٠١] وقوله تعالى﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ﴾[٤٠٢] وقوله تعالى ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾[٤٠٣] فالإرادة هنا متضمنة للأمر والمحبة والرضا لا أنها حصلت فعلاً، ولو كان الأمر كذلك لتطهر كل من أراد الله طهارته، وأبسط مثال يوضح ذلك هو أنّ الله عز وجل يريد على سبيل المثال للبشر كلهم أن يدخلوا الجنة وهذه الإرادة هي إرادة محبة، وهناك إرادة له سبحانه كونية قدرية في هذا الشأن وهي أنه سيكون من البشر مؤمن وكافر وأنه ليس كل البشر سيدخلون الجنة، لأنّ الله سبحانه وتعالى أعطى البشر الحرية في عمل الخير أو الشر لكي يحصل العدل بمجازاته، ولو كان الإنسان مجبوراً على الخير فقط لما كان من العدل مجازاته أصلاً لأنه لو أراد الشر ما وجد إلى ذلك سبيلاً، فإرادة الله إدخال البشر كلهم الجنة إرادة محبة ولكن لا يلزم تحققها لأنّ الله نفسه لم يوجب حدوثها.

---

(٤٠٠) ومما يؤكد أنّ الآية لا تنص على وقوع التطهير بل على إرادة التطهير أنّ رسول الله ﷺ حرص على أن يلحق أصحاب الكساء ما لحق زوجاته أمهات المؤمنين اللاتي نزلت فيهن الآية وفي إرادة تطهيرهن ما ثبت عن رسول الله ﷺ من أنه كان إذا خرج إلى الصلاة يمر بباب علي وفاطمة ويقول: الصلاة يا أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ مذكراً إياهم بالآية وحاضاً علياً على الخروج لصلاة الجماعة، إذ بالمحافظة على الفرائض وبطاعة الله يحصل التطهير.

(٤٠١) سورة المائدة آية ٦

(٤٠٢) سورة النساء آية ٢٦

(٤٠٣) سورة النساء آية ٢٨

رابعاً: الاستدلال بالآية على عصمة أصحاب الكساء لا يخلو من العجب لأمر بديهي يعرفه كل أحد وهو أنّ حديث الكساء يذكر السيدة فاطمة رضوان الله عليها كطرف من الأطراف الذين نزلت فيهم الآية، والشيعة الاثنا عشرية يقولون بأنّ الله عز وجل أضفى على الأئمة صفة العصمة لاحتياج المهمة المناطة بهم لذلك وهي إمامة الناس وتحكيم شرع الله، والسؤال: إذا كان الأمر كذلك فهل السيدة فاطمة نبية أو من الأئمة لكي تُضفى عليها صفة العصمة؟!! وما الغاية التي لأجلها أُضفيت لها العصمة ؟!! هل كل من يحبه الله وله مقام عند الله يكون معصوماً؟

إنّ الله عز وجل لمّا أضفى صفة العصمة على الأنبياء أضفاها عليهم لأنهم مبلغو الوحي وأمناء الرسالة السماوية، ولو أننا قبلنا عصمة الأئمة دون أن نناقشها، فإنّ ما لا يمكن تقبله لا عقلاً ولا شرعاً أن يتصف بالعصمة من ليس بنبي ولا حتى إمام!!

وإذهاب (الرجس) حتى لو دل على العصمة فإنه لا يدل على استحقاق الإمامة بحال من الأحوال، ونحن بصدد البحث عن دليل على الإمامة، فإن قيل بأنّ من مستلزمات الإمامة العصمة وأنّ من كان معصوماً وجبت إمامته، قيل: وماذا تقول في السيدة فاطمة الزهراء التي هي أحد أصحاب الكساء؟ أتستطيع تطبيق نفس المبدأ عليها والقول بأنها من الأئمة؟!! فإن قال: (لا) وهي الإجابة الوحيدة التي سيستطيع أن يجيب بها، قيل له: قال الله تعالى ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ فإما أن تطبق ما تدّعيه مائة بالمائة أو تقر ببطلانه، لكن التشبث بالدليل بما يوافق الهوى وطرح ما يخالفه ما هو في الحقيقة إلا تلاعب بالقرآن الكريم وبسنة رسوله الكريم، وما أرى من يسلك هذا الطريق يطلب الحق وهو يدّعي ما يدّعيه، ويجره التعصب إلى الإصرار على الخطأ في فهم دين الله.

آية المباهلة

وآية المباهلة التي نزلت في وفد نجران دليل آخر عند الشيعة الاثني عشرية على الإمامة، وهي قول الله عز وجل ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾[٤٠٤]

ووجه دلالة الآية على إمامة علي بن أبي طالب عند الطوسي وغيره من علماء الشيعة أنها دلت على أفضليته من وجهين:

أحدهما: أنّ موضوع المباهلة ليتميز المحق من المبطل وذلك لا يصح أن يفعل إلا بمن هو مأمون الباطن مقطوعٍ على صحة عقيدته أفضل الناس عند الله.

الثاني: أنه ﷺ جعله مثل نفسه بقوله (﴿أنفسنا وأنفسكم﴾) لأنه أراد بقوله ﴿أبناءنا﴾ الحسن والحسين عليهما السلام وبقوله ﴿نساءنا﴾ فاطمة وبقوله ﴿أنفسنا﴾ نفسه ونفس علي عليهما السلام . . . وإذا جعله مثل نفسه وجب أن لا يدانيه ولا يقاربه في الفضل أحد)[٤٠٥].

وقبل المناقشة:

لي مع هذه الآية الكريمة حادثة لا تُنسى..

فقد اتصل بي أحد الأصدقاء يدعوني لحضور حوار سيتم بين شابين أحدهما سني والآخر شيعي في إحدى الديوانيات حول الخلاف بين السنة والشيعة الاثني عشرية، فرحّبت بذلك وذهبت على أمل أن يكون النقاش علمياً وأن لا تعكره أجواء التعصب.

وقد كان المحاور السني قريباً من الديوانية فحضر قبل المحاور الشيعي، فعرّفني على أحد الجالسين وأخبرني بأنه مؤذن في أحد المساجد وذكر لي اسم

---

(٤٠٤) سورة آل عمران آية ٦١

(٤٠٥) تفسير التبيان للطوسي ٣/ ٤٨٥

عائلة شيعية عريقة في التشيع هي عائلة هذا الشاب، وأخبرني بأنه كان في السابق قبل أن يتحول إلى أهل السنة ممن يقوم بتمثيل دور الشبيه في الحسينية.

فانتقلت مباشرة إلى الأخ ورحبت به وسألته عن سبب انتقاله إلى أهل السنة ودار بيننا حديث عن الصعوبات التي واجهها بسبب تسننه.

لكن الشاهد من هذا كله، حوار دار بينه وبين أحد علماء الشيعة حول هذه الآية بالذات.

قال الأخ: ذكرت لابن عمي يوماً أنّ من عقائد الشيعة الاثني عشرية تفضيل الإمام علي على الأنبياء، فاستنكر هذا وقال لي: أنا شيعي ولا أعرف هذا الكلام، فقلت له: لأنك عامي ولا تعرف كل العقائد أما أنا فمطّلع على هذه الأمور.

يقول: فاتفقنا على أن يحسم الأمر بيننا أحد علماء الشيعة الاثني عشرية على أن أخاطبه بصفتي شيعي اثني عشري كما كنت في السابق حتى لا يتوجس من قصدي من السؤال.

يقول: فسألت الشيخ (من أفضل الإمام علي عليه السلام أم الأنبياء عليهم السلام ؟).

فأجاب الشيخ: الإمام علي عليه السلام أفضل من الأنبياء جميعاً سوى محمد صلوات الله وسلامه عليه.

فنظرت إلى ابن عمي وهو بجانبي وقلت: أرأيت؟ كلامي كان صحيحاً.

ثم قلت للشيخ: ما الذي جعل الإمام علياً أفضل من الأنبياء سوى محمد عليه الصلاة والسلام؟

فقال: آية المباهلة، لأنّ الله عز وجل قد جعله نفس محمد صلوات الله وسلامه عليه بقوله ﴿وأنفسنا وأنفسكم﴾.

يقول: فوقع في قلبي أن أقول للشيخ: لكنّ الله عز وجل قد قال في

كتابه المجيد مخاطباً الكفار ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾(٤٠٦) فهل يُقال بأنّ كفار مكة هم نفس رسول الله، لأنّ الله قد قال ﴿رسول من أنفسكم﴾.

يقول: فصمت الشيخ ولم يستطع الإجابة.

ثم ذكر لي بعد ذلك ما دار بينه وبين الشيخ حول النظرة إلى أبي بكر وعمر وحوادث أخر.

ثم قدم المحاور الذي كنا ننتظره فأنهينا حديثنا الجانبي ورحّبنا بالضيف وابتدأ النقاش.

المناقشة:

سُميت هذه الآية الكريمة بهذا الاسم كما يقول ابن كثير في تفسيره ١/ ١٨٠ (لأنّ كل محق يود لو أهلك الله المبطل المناظر له، ولا سيما إذا كان في ذلك حجة له في بيان حقه وظهوره، وكانت المباهلة بالموت، لأنّ الحياة عندهم عزيزة عظيمة لما يعلمون من سوء مآلهم بعد الموت).

وآية المباهلة لا مستند فيها على ما يدّعيه الشيعة الاثني عشرية في موضوع الإمامة لعدة أسباب:

أولاً: إنه على كثرة المعاني والمرادفات لكلمة (نفس) التي تستدل بها الإمامية على دلالة النص في خلافة علي بن أبي طالب لا يوجد معنى حقيقي أو مجازي يدل على الخلافة، ولكن ما استدل به على أهل السنة على أنها تدل على دعوة النبي ﷺ بحضوره بنفسه أو المقاربة في الدين أو النسب فهو مذكور في اللغة موافقاً للدين.

(٤٠٦) سورة التوبة آية ١٢٨

قال الزبيدي: (قال ابن خالويه: النفس الأخ، قال ابن برّي: وشاهده قوله تعالى ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾[٤٠٧] وفسر ابن عرفة قوله تعالى ﴿ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾[٤٠٨] أي بأهل الإيمان وأهل شريعتهم)[٤٠٩]

قال الدهلوي: (معنى (ندع أنفسنا) نحضر أنفسنا، وأيضاً لو قررنا الأمير - أي الإمام علي- من قبل النبي ﷺ لمصداق (أنفسنا)، فمن نقرره من قبل الكفار لمصداق (أنفسكم) في أنفس الكفار مع أنهم مشتركون في صيغة (ندع) ولا معنى لدعوة النبي إياهم وأبنائهم بعد قوله (تعالوا)).[٤١٠]

وقوله تعالى ﴿وأنفسنا وأنفسكم﴾ مثل قوله تعالى ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾[٤١١] نزلت في أم المؤمنين عائشة في حادثة الإفك، فإنّ الواحد من المؤمنين من أنفس المؤمنين والمؤمنات.

وكذلك قوله تعالى ﴿فَتُوبُوٓا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا أَنفُسَكُمْ﴾[٤١٢] أي يقتل بعضكم بعضاً.

ومنه قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾[٤١٣] أي لا يُخرج بعضكم بعضاً، فالمراد بالأنفس الإخوان: إما في النسب وإما في الدين.[٤١٤]

قلت: وقد قال الله عز وجل عن رسوله الكريم ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم

---

(٤٠٧) سورة النور آية ٦١
(٤٠٨) سورة النور آية ١٢
(٤٠٩) تاج العروس ١٦/ ٥٧٠
(٤١٠) مختصر التحفة الاثني عشرية ص١٥٦
(٤١١) سورة النور آية ١٢
(٤١٢) سورة البقرة آية ٥٤
(٤١٣) سورة البقرة آية ٨٤
(٤١٤) مختصر منهاج السنة ١/ ١٦٧-١٦٨

بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾﴾[٤١٥] وفي هذه الآية حجة بالغة على من يستدل بقوله تعالى ﴿أنفسنا﴾ على معنى المماثلة والتطابق، فهذه الآية تتكلم عن رسول الله وعن كفار مكة، وتقول ﴿من أنفسكم﴾ فمن ذا الذي يقول بأنّ نفس رسول الله ونفس كفار مكة - عياذاً بالله -؟!!

وهنا تظهر المزاجية في تفسير آية المباهلة حين يتجاهل علماء الشيعة كل هذه النصوص ثم يأتون إلى هذه الآية الكريمة فيبالغون في معناها إلى حد قولهم بأنّ علياً هو نفس محمد عليه الصلاة والسلام سوى النبوة !

ولعلي أشير هنا إلى رواية شيعية تبين أنّ إطلاق لفظ أنفسنا على الأخ أو القريب أو أرباب الفئة الواحدة شيء متعارف عليه بين العرب.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: بعث أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله بن العباس إلى ابن الكواء وأصحابه وعليه قميص رقيق وحُلّة، فلما نظروا إليه قالوا: يا ابن عباس، أنت خيرنا في أنفسنا وأنت تلبس هذا اللباس، فقال: وهذا أول ما أخاصمكم فيه ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ﴾ وقال ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾.[٤١٦]

فهل بعد هذه الدلائل القرآنية وبعد هذه الرواية الشيعية من كلمة يقولها المغالي؟

ثانياً: اعترف أحد أقطاب الشيعة وهو الشريف الرضي أنّ قوله تعالى ﴿أنفسنا﴾ لا يعني أنّ علياً رضي الله عنه هو نفس رسول الله كما يقول الشيعة.

يقول الشريف الرضيّ في كتابه (حقائق التأويل في متشابه التنزيل) ص١١٣ في تفسير الآية الكريمة: (قال بعض العلماء: إنّ للعرب في لسانها أن تخبر عن ابن العم اللاصق والقريب المقارب بأنه نفس ابن عمه، وأنّ الحميم نفس حميمه، ومن الشاهد على ذلك قول الله تعالى ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا

---

(٤١٥) سورة التوبة آية ١٢٨

(٤١٦) الكافي ٦/ ٤٤١

تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ﴾ أراد تعالى: ولا تعيبوا إخوانكم المؤمنين، فأجرى الأخوة بالديانة مجرى الأخوة في القرابة، وإذا وقعت النفس عندهم على البعيد النسب كانت أخلق أن تقع على القريب السبب، وقال الشاعر: كأنا يوم قُرّى إنما نقتل إيانا.

أراد: كأنما نقتل أنفسنا بقتلنا إخواننا، فأجرى نفوس أقاربه مجرى نفسه، لشوابك العصم ونوائط اللحم وأطيط الرحم، ولما يخلج من القربى القريبة، ويتحرك من الأعراق الوشيجة، فأما قول الله تعالى في النور ﴿فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ فيمكن أن يجرى هذا المجرى، لأنه جاء في التفسير: أنّ معنى ذلك فليسلّم بعضكم على بعض لاستحالة أن يسلم الإنسان على نفسه، وإنما ساغ هذا القول، لأنّ نفوس المؤمنين تجري مجرى النفس الواحدة، للاجتماع في عقد الديانة، والخطاب بلسان الشريعة، فإذا سلّم الواحد منهم على أخيه كان كالمسلم على نفسه، لارتفاع الفروق واختلاط النفوس) انتهى كلامه.

وبهذا يتضح أنه لا حجة لدى الشيعة في دعواهم أنّ في هذه الآية ما ينص على مساواة بين رسول الله وعلي رضي الله عنه وأرضاه، فلفظ (النفس) يُطلق في لغة العرب على البعيد النسب فإطلاقه على القريب من باب أولى، وليس في ذلك دلالة على الإمامة من قريب ولا بعيد!

ثالثاً: إنّ دعوة النبي ﷺ علياً وفاطمة والحسنين ليس في ظاهر دعوة النبي ﷺ لإظهار الإمامة لعلي وإنما هي القرابة، إذ أنّ المباهلة إنما تحصل الرغبة والرهبة والشعور بصدق الداعي بجمعه نفسه وأهله الذين تحن إليهم النفوس بطبيعة الحال ما لا تحن إلى غيرهم من الأبعدين في الهلاك.(٤١٧)

ففيها من مجال التضحية أكثر وضوحاً من مجال إضفاء الفضائل أو

(٤١٧) انظر منهاج السنة ٧/ ١٢٥-١٢٦

الإمامة، ففي التضحية تُقدّم الأنفس والأبناء والنساء ولكن لا يُقدّمون للخلافة![٤١٨]

رابعاً: قول الشيعة الإمامية إنّ الآية تدل على المساواة بينه وبين النبي ﷺ إلا النبوة، كلام لا يُسلم له أبداً، إذ أنّ النبي ﷺ لا يساويه أحد في أمور الدين لا علي ولا غيره، فأين مقام رسول الله وكماله البشري من سائر الناس؟

إنّ الإمام علياً نفسه لا يرتضي ما يقول الشيعة الإمامية عنه، والمنصف العاقل يدرك هذه القضية بكل وضوح.

روى الكليني في الكافي أنّ أمير المؤمنين علياً عليه السلام سئل (يا أمير المؤمنين، أفنبي أنت؟، فقال: ويلك، إنما عبد من عبيد محمد ﷺ).[٤١٩] يريد بذلك عبد الطاعة والخدمة لا عبد العبادة.

فإذا كان هذا هو مقام الإمام علي من صريح كلامه، وهو ما ينص العقل عليه وعلى كل أحد أنه تابع لرسول الله إن أطاع سنته وهديه دخل الجنة وإن عصاه دخل النار، فكيف يجرؤ أهل الغلو على مقولتهم الآثمة أنّ علياً هو نفس محمدٍ عليه الصلاة والسلام سوى النبوة فقط !

وهل كمال علي بن أبي طالب البشري ككمال رسول الله البشري في نبوته صلوات الله وسلامه عليه أو حتى قبل نبوته؟!

هل يدّعي هؤلاء أنه لا فرق بين رسول الله قبل النبوة وبين علي بن أبي طالب، وأنّ النبوة حينما جاءت لم تجد فرقاً بين محمد عليه الصلاة والسلام وبين علي بن أبي طالب، لكن الاختيار وقع على محمد عليه الصلاة والسلام

(٤١٨) أثر الإمامة في الفقه الجعفري وأصوله ص٤٩
(٤١٩) الكافي ١/ ٨٩

هكذا لحكمة ربانية لا نعلمها لا لكونه أكمل وأفضل وأشرف مقاماً وأعظم خُلقاً واستحقاقاً من علي بن أبي طالب؟!

إنّ الشيعة الاثني عشرية اليوم يغضبون من متعصبة أهل السنة الذين ينسبون إليهم القول بأنّ جبريل أخطأ في إنزال النبوة على محمد وأنها كانت ستنزل على عليّ !، وهذا باطل والشيعة الاثنا عشرية بريئون من هذا القول[٤٢٠]، لكنهم في الوقت ذاته يساوون بين نفس رسول الله ونفس علي بن أبي طالب، ويستثنون النبوة، وكأنهم يقولون من حيث لا يشعرون أنّ الله عز وجل لم يصطفِ محمداً عليه الصلاة والسلام لتميزه عن سائر الخلق إذ أنّ علياً نفسه بالضبط لكن جاءت المشيئة الإلهية بأن يكون هو النبي وأن يكون عليٌ وصياً له !

رحماك ربي . . . إلى أي ضلالة يقودنا الغلو من حيث لا نشعر . . .

(٤٢٠) يجدر بي الإشارة إلى الفرقة التي ادّعت ذلك في علي بن أبي طالب وهي فرقة (الغرابية) الشيعية التي غلت في الإمام علي إلى حد الادعاء بأنّ جبريل عليه السلام أخطأ في تبليغ الرسالة.

مناقشة ما يُستدل به على الإمامة من السنة النبوية

أ- حديث غدير خم

روى ابن ماجة في السنن بسنده عن البراء بن عازب قال: (أقبلنا مع رسول الله ﷺ في حجته التي حج، فنزل في بعض الطريق، فأمر الصلاة جامعة، فأخذ بيد علي رضي الله عنه، فقال: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: ألست أولى بكل مؤمن من نفسه، قالوا: بلى، قال: فهذا وليّ من أنا مولاه، اللهم والِ من والاه، اللهم عاد من عاداه)[٤٢١]

المناقشة:

١ - سُمّي هذا الحديث باسم حديث الغدير لوقوع مكانه عند غدير خم، و (خم على ثلاثة أميال من الجحفة يسرة عن الطريق وهذا الغدير فيه عين وحوله شجر كثير ملتف وهي الغيضة التي تسمى خم)[٤٢٢].

ويبعد غدير خم عن الجحفة[٤٢٣] ميلان[٤٢٤] أو (ثلاثة أميال من الجحفة يسرة عن الطريق)[٤٢٥].

والمسافة بين مكة وبين الجحفة كما يقول آية الله الكلبايكاني في رسالته العملية (مناسك الحج): «مائتين وعشرين كيلو متراً تقريباً».

ويعتبر حديث الغدير أهم أدلة الشيعة على خلافة الإمام علي على

(٤٢١) سنن ابن ماجة (باب فضائل أصحاب رسول الله ﷺ).
(٤٢٢) معجم ما استعجم ١/ ٣٦٨
(٤٢٣) قرية كبيرة تبعد عن المدينة ١٥٠ كم وعن مكة ٢٥٠ كم تقريباً
(٤٢٤) معجم البلدان ٢/ ١١١
(٤٢٥) معجم ما استعجم ١/ ٣٦٨

الإطلاق، ولا يرتاب أحد في أنّ هذا الحديث من أبرز مناقب الإمام علي، فيكفيه فضلاً وشرفاً رضوان الله عليه أن تُقال في مثله هذه الكلمات العظيمة، ولسنا نناقش هل الحديث من مناقب وفضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أم لا، لأنّ هذا أمر مفروغ منه، ومحسوم من الطرفين (السنة والشيعة)، لكن نقاشنا يدور حول دلالة الحديث على الإمامة بالمعنى الذي تذهب إليه عقيدة الشيعة الاثني عشرية.

والمتأمل لحديث الغدير ولملابساته يعلم علم اليقين أنه ليس في الحديث دلالة على معنى الخلافة بل المعنى المراد هو النصرة والمحبة وإليك بيان ذلك:

أولاً: غدير خم يبعد عن مكة ما يقارب المائتين وعشرين كيلو متراً أو أكثر أو أقل بقليل، فإن كان مراد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه تنصيب علي بن أبي طالب إماماً من بعده، فلِمَ لم يعلن ذلك في حجة الوداع أو يوم عرفة إذ فيهما من اجتماع المسلمين والفضيلة ما لا يتأتى في غيرهما؟

والقول بأنّ الجحفة أو غدير خم مفترق طرق الحجيج جهل أو بالأحرى محض كذب على الشرع، لأنّ مجتمع الحجيج هو مكة ومفترقهم مكة أيضاً، وكيف يجوز لعاقل أن يقبل أن يكون مفترق الحجيج بعيداً عن مكة أكثر من مائتين وعشرين كيلو متراً؟

ولذلك لم يكن مع النبي ﷺ في طريق عودته إلى المدينة إلا أهل المدينة ومن كان على طريق المدينة فقط، ولو أراد رسول الله ﷺ أن يوصي بالإمامة من بعده فإنه لا يعقل أن ينتظر تفرق الناس من بعد الحج بين ماكث في مكة وعائد إلى اليمن أو الطائف، ثم يعلن بعد ذلك عن هذه القضية الهامة في منطقة تبعد عن مكة المكرمة كل هذا البعد، فلا ينصت إلى خطبته إلا أهل المدينة ومن كان على دربهم فقط؟!!

ثانياً: حديث الغدير لم يأت من فراغ بل لسبب وعلة لا ينبغي إغفالها.

فقد أرسل النبي ﷺ علي بن أبي طالب خلف خالد بن الوليد إلى اليمن ليخمّس الغنائم و يقبض الخُمس.

لكن قسمة الخمس كانت سبباً في إثارة الجيش على علي بن أبي طالب.

روى الإمام أحمد في مسنده عن بريدة الأسلمي قال: أبغضت علياً بغضاً لم يبغضه أحد قط، قال: وأحببت رجلاً من قريش لم أحبه إلا على بغضه علياً، قال: فبعث ذلك الرجل على خيل فصحبته ما أصحبه إلا على بغضه علياً، قال: فأصبنا سبياً، قال: فكتب إلى رسول الله ﷺ ابعث إلينا من يخمّسه، قال: فبعث إلينا علياً، وفي السبي وصيفة هي أفضل من السبي فخمّس، وقسّم فخرج رأسه مغطى، فقلنا: يا أبا الحسن ما هذا؟ قال: ألم تروا إلى الوصيفة التي كانت في السبي، فإني قسّمت وخمّست، فصارت في الخمس ثم صارت في أهل بيت النبي ﷺ ثم صارت في آل علي ووقعت بها، قال: فكتب الرجل إلى نبي الله ﷺ، فقلت: ابعثني فبعثني مصدقاً، قال: فجعلت أقرأ الكتاب وأقول صدق، قال: فأمسك يدي والكتاب، وقال: أتبغض علياً؟ قال: قلت: نعم، قال: فلا تبغضه وإن كنت تحبه فازدد له حباً، فوالذي نفس محمد بيده لنصيب آل علي في الخمس أفضل من وصيفة، قال: فما كان من الناس أحد بعد قول رسول الله ﷺ أحب إليّ من علي). (٤٢٦)

وعن بريدة أيضاً أنه قال: غزوت مع علي اليمن فرأيت منه جفوة فلما قدمت على رسول الله ﷺ ذكرت علياً فتنقصته فرأيت وجه رسول الله ﷺ

---

(٤٢٦) مسند الإمام أحمد - باقي مسند الأنصار - حديث بريدة الأسلمي - حديث رقم ٢١٨٨٩

يتغير فقال: يا بريدة، ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: من كنت مولاه فعلي مولاه)[٤٢٧].

ولم يكن هذا الأمر هو الأمر الوحيد الذي أثار الناس على علي بن أبي طالب آنذاك.

فلما كانت حجة الوداع، رجع علي من اليمن ليدرك الحج مع النبي ﷺ، وساق معه الهدي[٤٢٨]، واستخلف على الجند رجلاً من أصحابه، فكسا ذلك الرجل كل رجل حلة البزّ دون أذن علي بن أبي طالب، فلما قدم عليهم علي انتزعها منهم فسخط الناس عليه.

قال ابن إسحاق في السيرة: (لما أقبل علي رضي الله عنه من اليمن ليلقى رسول الله ﷺ بمكة تعجل إلى رسول الله ﷺ واستخلف علي جنده الذين معه رجلاً من أصحابه فعمد ذلك الرجل فكسا كل رجل من القوم حلة من البز الذي كان مع علي رضي الله عنه، فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم فإذا عليهم الحلل، قال: ويلك ما هذا؟ قال: كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا في الناس، قال: ويلك، انزع قبل أن تنتهي به إلى رسول الله ﷺ، قال: فانتزع الحلل من الناس فردها في البز، قال: وأظهر الجيش شكواه لما صنع بهم)[٤٢٩].

قال الواقدي: قال أبو سعيد الخدري - وكان معه في تلك الغزوة -: وكان علي عليه السلام ينهانا أن نركب إبل الصدقة، فسأل أصحاب علي عليه السلام أبا رافع أن يكسوهم ثياباً فكساهم ثوبين ثوبين، فلما كانوا بالسدرة داخلين مكة، خرج علي عليه السلام يتلقاهم ليقدم بهم فينزلهم، فرأى علي أصحابنا ثوبين ثوبين على كل رجل، فعرف الثياب فقال لأبي رافع: ما هذا؟ قال: كلموني ففرقت

---

(٤٢٧) المصدر نفسه حديث رقم ٢١٨٦٧

(٤٢٨) ذكر ذلك مسلم في صحيحه برقم (١٢٨١)

(٤٢٩) السيرة لابن هشام ٤/٦٠٣

من شكايتهم، وظننت أنّ هذا يسهل عليك، وقد كان من كان قبلك يفعل هذا بهم، فقال: رأيت إبائي عليهم ذلك ! وقد أعطيتهم، وقد أمرتك أن تحتفظ بما خلّفت، فتعطيهم!، قال: فأبى علي عليه السلام أن يفعل ذلك حتى جرّد بعضهم من ثوبيه، فلما قدموا على رسول الله ﷺ شكوا، فدعا علياً فقال: ما لأصحابك يشكونك؟ فقال: ما اشتكيتهم، قسمت عليهم ما غنموا وحبست الخمس حتى يقدم عليك وترى رأيك فيه، وقد كانت الأمراء يفعلون أموراً، فيُنفّلون من أرادوا من الخمس، فرأيت أن أحمله إليك لترى فيه رأيك، فسكت النبي ﷺ.(٤٣٠)

ومما أثار الجيش أيضاً ما ذكره الواقدي في المغازي عن عمر بن علي أنه قال: (وجمع علي عليه السلام ما أصاب من تلك الغنائم فجزأها خمسة أجزاء فأقرع عليها، فكتب في سهم منها (لله)، فخرج أول السهام سهم الخمس ولم ينفل أحداً من الناس شيئاً، فكان من قبله يعطون أصحابهم - الحاضر دون غيرهم - من الخمس، ثم يخبر بذلك رسول الله ﷺ فلا يرده عليهم، فطلبوا ذلك من علي عليه السلام فأبى، وقال: الخمس أحمله إلى رسول الله ﷺ فيرى فيه رأيه، وهذا رسول الله ﷺ يوافي الموسم ونلقاه ويصنع فيها ما أراه الله، فانصرف راجعاً، وحمل الخمس وساق معه ما كان ساق فلما كان بالفتق تعجل).(٤٣١)

وقد تجلى سخط الجيش على علي بن أبي طالب فيما رواه الترمذي في جامعه عن عمران بن حصين قال: بعث رسول الله ﷺ جيشاً واستعمل عليهم علي بن أبي طالب فمضى في السرية فأصاب جارية فأنكروا عليه وتعاقد أربعة من أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا إذا لقينا رسول الله ﷺ أخبرناه بما صنع علي وكان المسلمون إذا رجعوا من السفر بدءوا برسول الله ﷺ فسلموا عليه ثم انصرفوا إلى رحالهم، فلما قدمت السرية سلموا على النبي ﷺ فقام أحد الأربعة فقال: يا رسول الله، ألم تر إلى علي بن أبي طالب صنع كذا وكذا،

---

(٤٣٠) مغازي الواقدي ٣/ ١٠٨٠ مؤسسة الأعلمي - الطبعة الثالثة ١٩٨٩م.
(٤٣١) المصدر السابق

فأعرض عنه رسول الله ﷺ ثم قام الثاني فقال مثل مقالته فأعرض عنه ثم قام الثالث فقال مثل مقالته فأعرض عنه ثم قام الرابع فقال مثل ما قالوا فأقبل رسول الله ﷺ والغضب يعرف في وجهه، فقال: ما تريدون من علي، ما تريدون من علي، ما تريدون من علي) إلى آخر الحديث[٤٣٢].

قال المؤرخ ابن كثير (إنّ علياً رضي الله عنه لمّا كثر فيه القيل والقال من ذلك الجيش بسبب منعه إياهم استعمال إبل الصدقة واسترجاعه منهم الحلل التي أطلقها لهم نائبه لذلك، لما رجع الرسول ﷺ من حجته وتفرغ من مناسكه، وفي طريقه إلى المدينة مرّ بغدير خم فقام في الناس خطيباً فبرأ ساحة علي، ورفع قدره ونبّه على فضله ليزيل ما وقر في قلوب كثير من الناس)[٤٣٣].

ولذلك أخّر رسول الله صلى الله عليه وآله الكلام إلى أنْ رجع إلى المدينة ولم يتكلم وهو في مكة أو في يوم عرفة حيث اجتمع المسلمون وإنما أرجأ الأمر إلى طريق العودة لأنّ الأمر متعلق بأهل المدينة الذين تكلموا في علي والذين كانوا مع علي في الغزو.

ثالثاً (وهو الأهم): لفظ (مولى) لا يخدم النظرية الإمامية، والاستشهاد بلفظ (مولى) على معنى الوصاية والوزارة جهل باللغة العربية، فإنّ الولاية بالفتح هي ضد العداوة، والاسم منها (مولى، ووليّ)، والولاية بكسر الواو هي الإمارة، والاسم منها (والي ومتولي)، والموالاة ضد المعاداة، كقوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿١١﴾﴾[٤٣٤] وقال ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾[٤٣٥] والآيات في هذا المعنى كثيرة.[٤٣٦]

(٤٣٢) جامع الترمذي ٥/ ٦٣٢
(٤٣٣) البداية والنهاية ٥/ ٩٥
(٤٣٤) سورة محمد آية ١١
(٤٣٥) سورة التوبة آية ٧١
(٤٣٦) الفيروز أبادي في القاموس - مادة (ولي)

ورسول الله ﷺ فصيح بليغ، لو أراد من الحديث معنى الإمامة كما يفهمها الشيعة الاثني عشرية لصرّح بذلك بأنسب عبارة وأوضح تعبير دون استخدام لفظ بعيد عن معنى الإمامة والولاية ويحتمل أكثر من معنى، كل معنى من تلك المعاني أبعد ما يكون عن مدلول الإمامة.

ولمّا كان مقصود رسول الله ﷺ هو الشهادة لعلي بن أبي طالب بأنه يستحق الموالاة والنصرة ظاهراً وباطناً استخدم رسول الله ﷺ لفظ (مولى) في مكانه للدلالة على ذلك.

فلو كان ما ذكره ﷺ في غدير خم بلاغاً للناس كافة لذكره في حجة الوداع التي اجتمع فيها المسلمون كافة تقريباً، ولو أنه ذكره في حجة الوداع لكان من اللازم أن يصرّح بأنّ علياً هو الإمام من بعده بكل وضوح، فليست تلك الكلمات صعبة على رسول الله ﷺ كي يتفوه بها بدلاً من عبارة (من كنت مولاه فعلي مولاه).

رابعاً: فهم صحابة رسول الله للنص:

فالصحابة لم يفهموا من حديث الغدير المعنى الذي يذهب إليه الشيعة الاثنا عشرية بل إنّ أقرب الناس إلى الإمام علي كأبي أيوب الأنصاري ومن معه من الأنصار قد فهموا أنّ المراد بالمولى أو الولي هو (الحب والولاء والطاعة) ولذلك عبّروا عن طاعتهم وإجلالهم لسيد أهل البيت علي بن أبي طالب بمناداته (يا مولانا).

فعن رياح الحارث قال: جاء رهط إلى علي بالرحبة فقالوا: السلام عليك يا مولانا، فقال: كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب؟ قالوا: سمعنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يقول يوم غدير خم (من كنت مولاه فهذا مولاه)، قال رياح: فلما مضوا اتبعتهم فسألت من هؤلاء؟ قالوا: نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصاري[٤٣٧].

---

(٤٣٧) إسناده صحيح، رواه أحمد في المسند ٥/ ٤١٩ وفي فضائل الصحابة ٢/ ٧٠٧ حديث رقم ٩٦٧

إنّ أهم ما يُستفاد من هذا الحديث هو أنّ علي بن أبي طالب نفسه لم يكن يفهم من لفظ (مولى) معنى الإمامة والإمارة!

فمن الملاحظ أنّ الإمام علياً قد استنكر منهم مناداته بـ (يا مولانا)، ولوكان الإمام علي (العربي الفصيح) يراها مرادفة لـ (يا أميرنا) أو (يا إمامنا) لما استنكر على القائلين تلك المناداة.

وقد استرعت انتباهي قضية هامة في الحديث تتلخص في هذا التساؤل: (لماذا وقف الرسول صلوات الله وسلامه عليه بالقرب من الجحفة بالذات ليقول هذه الكلمات في الإمام علي)؟

الناظر في مناسك الحج عند السنة والشيعة يعلم علم اليقين أنّ (الجحفة) هي ميقات أهل الشام، وأهل الشام في زمن خلافة علي بن أبي طالب هم الذين شتموه ونصبوا له العداء ! هل هذه مصادفة فقط أم معنى مقصود؟

كأنّ رسول الله صلوات الله وسلامه عليه لا يكتفي بالحض على موالاة علي الدينية وعلى حبه فقط بل وقف عند ميقات أهل الشام وكأنه يشير إليهم بأن لا يبغضوا هذا الرجل ولا يجرهم الشيطان إلى شتمه ومعاداته بغير حق.

ولقد رأينا الأنصار الذين عملوا بحديث الغدير ونادوا الإمام بـ(يا مولانا) تطبيقاً لمعنى الحديث الشريف، هم الذين وقفوا جنباً إلى جنب مع الإمام علي في حربه ضد أهل الشام، إذ على هذا يدور معنى الحديث.

في حين أنهم لم يجدوا أدنى حرج في تنصيب أبي بكر خليفة على المسلمين.

ولو كانوا قد فهموا من الحديث معنى الإمامة لكانوا هم أول من سلّم الإمامة لعلي، فالإمامة ستخرج من يدهم لا محالة إما لأبي بكر وإما لعلي، ولا مصلحة لهم تقتضي أن ينكروا حق علي وهم يعلمونه من رسول الله.

خامساً: روت كتب الشيعة الاثني عشرية أقوالاً لبعض أهل البيت ينفون فيها أن يكون المراد بحديث الغدير النص على إمامة علي من بعد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه.

فقد قيل للإمام الحسن بن الحسن بن علي الذي كان كبير الطالبيين في عهده وكان وصي أبيه وولي صدقة جده: ألم يقل رسول الله: (من كنت مولاه فعلي مولاه)؟ فقال: بلى ولكن - والله - لم يعن رسول الله بذلك الإمامة والسلطان، ولو أراد ذلك لأفصح لهم به.(٤٣٨)

وكان ابنه الإمام عبد الله يقول: (ليس لنا في هذا الأمر ما ليس لغيرنا، وليس في أحد من أهل البيت إمام مفترض الطاعة من الله) وكان ينفي أن تكون إمامة أمير المؤمنين من الله.(٤٣٩)

فإذا كان هذا كلام أهل البيت وهم أبناء علي والناصرون له، فما ترى غيرهم يقولون؟

سادساً: قرأت كلاماً نفيساً للباقلاني رحمه الله في شأن هذا الحديث يقول فيه: (فإن قال من الشيعة المنكرين: صريح النص على علي عليه السلام: ما أنكرتم أن يكون النبي ﷺ قد نصّ علي علي رضي الله عنه بقوله (من كنت مولاه فعلي مولاه)؟ لأنّ النبي ﷺ قرّرهم على وجوب طاعته وأنه أولى بهم من أنفسهم ثم قال بعد قوله لهم: (ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟)، (فمن كنت مولاه فعلي مولاه)، فأوجب لعلي من وجوب الطاعة والانقياد له وأنه أولى بهم ما أوجبه لنفسه: لا يجب ما قلتم، لأنّ ما أثبته لنفسه من كونه أولى بهم ليس هو من معنى ما أوجبه لعلي بسبيل، لأنه قال: (من كنت مولاه فعلي مولاه)، فأوجب الموالاة لنفسه ولعلي وأوجب لنفسه كونه أولى بهم من أنفسهم وليس معنى أولى من معنى (مولى) في شيء، لأنّ قوله (مولى) يحتمل في اللغة وجوهاً ليس فيها معنى (أولى) فلا يجب إذا عُقّب كلام بكلام ليس من معناه أن يكون معناهما واحداً.

ألا ترون أنه لو قال: ألست نبيكم والمخبر لكم بالوحي عن ربكم وناسخ شرائع من كان قبلكم؟ ثم قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه، لم

---

(٤٣٨) التهذيب لابن عساكر ج٤ ص١٦٢

(٤٣٩) بصائر الدرجات للصفار ص١٥٣ وص١٥٦

يوجب ذلك أن يكون قد أثبت لعلي من النبوة وتلقي الوحي ونسخ الشرائع على لسانه ما أوجبه في أول الكلام لنفسه ولا أمر باعتقاد ذلك فيه من حيث ثبت أنه ليس معنى نبي معنى مولى فكذلك إذا ثبت أنه ليس معنى أولى معنى مولى لم يجب أن يكون قد أثبت لعلي ما أثبته لنفسه وإنما دخلت عليهم الشبهة من حيث ظنوا أنّ معنى مولى معنى أولى وأحق، وليس الأمر كذلك.

وعلى أنه لو ثبت أنّ معنى (مولاه) معنى (أولى) وإن كان محتملاً لوجوه أُخر، لم يجب أن يكون المراد بقوله (فمن كنت مولاه فعلي مولاه): من كنت أولى به، وإن نُسق بعض الكلام على بعض وكان ظاهره يقتضي ذلك لدليل صرفه عما يقتضيه وهو أنّ الأمة مجمعة على أنّ النبي صلوات الله وسلامه عليه أوجب ما أوجبه بقوله (ما كنت مولاه فعليّ مولاه) في وقت وقوع هذا القول في طول أيام حياة النبي ﷺ فلو كان إنما أثبت له الولاية عليهم وجعله أولى بهم وألزمهم طاعته والانقياد لأوامره لوجب أن يكون قد أثبته إماماً وأوجب الطاعة له آمراً وناهياً فيهم مع وجوده سائر مدته ﷺ، فلما أجمعت الأمة على فساد ذلك وإخراج قائله من الدين، ثبت أنه لم يرد به (فمن كنت مولاه): من كنت أولى به، ولم يرد بقوله (فعلي مولاه) أنه أولى به.

ويدل على ذلك أيضاً ويؤكده ما يروونه من قول عمر: (أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن) فأخبر أنه قد ثبت كونه مولى له ولكل مؤمن فلم ينكر ذلك النبي ﷺ فدلّ على أنه قد أثبت له في ذلك الوقت ما أثبته لنفسه وليس هو الولاية عليهم ولزوم طاعتهم له فهذه دلالة تصرف الكلام عن مقتضاه لو كان معنى مولى معنى أولى، وكان نسق الكلام يقتضي ذلك، فسقط ما تعلقوا به.

فإن قالوا: فما معنى مولى عندكم؟ وما الذي أثبته النبي ﷺ بهذا الكلام لعليّ وقصد به؟ قيل لهم: أما معنى (مولى) فإنه يتصرف على وجوه: فمنها المولى بمعنى الناصر، ومنها المولى بمعنى ابن العم، ومنها المولى بمعنى الموالي المحب، ومنها المولى بمعنى المكان والقرار، ومنها المولى بمعنى المعتق المالك للولاء، ومنها المولى بمعنى المعتق، ومنها المولى بمعنى

الجار، ومنها المولى بمعنى الصهر، ومنها المولى بمعنى الحليف، فهذا جميع ما يحتمله قوله (مولى)، وليس من معنى هذه اللفظة أنّ المولى إمام واجب الطاعة، قال تعالى في المولى بمعنى الناصر ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾(٤٤٠) يعني ناصره.

وقال الأخطل:

فأصبحت مولاها من الناس كلهم وأحرى قريش أن تُهاب وتُحمدا

أي فأصبحت ناصرها وحامي ذمارها.

وأما المولى بمعنى ابن العم فمشهور، قال الله تعالى ﴿وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي﴾(٤٤١) يعني بني العم، قال الفضيل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب يخاطب بني أمية:

مهلاً بني عمنا مهلاً موالينا لا تُنبتوا بيننا ما كان مدفونا

لا تحسبوا أن تُهينونا ونُكرمكم وأن نكف الأذى عنكم وتُؤذونا

الله يعلم أنا لا نُحبكم ولا نلومكم ألا تحبونا

وأما المولى بمعنى المُعتق والمُعتق، فأظهر من أن يُكشف، يُقال: فلان مولى فلان يعني مُعتقه ومالك ولائه، وفلان مولى فلان يراد به مُعتق له، وأما المولى بمعنى الموالى المُحب فظاهر في اللغة، يُقال فلان مولى فلان أي محب له وولي له، وقد روي في قول النبي صلوات الله وسلامه عليه (مُزينة وجُهينة وأسلم وغفار موالي الله ورسوله)(٤٤٢) أي مُحبون موالون لهما.

وأما المولى بمعنى الجار فمعروف في اللغة، قال مربع بن دعدعة، وكان جاور كُليب بن يربوع فأحسنوا جواره:

جزى الله خيراً والجزاء بكفه كُليب بن يربوع وزادهم حمدا

---

(٤٤٠) سورة التحريم آية ٤
(٤٤١) سورة مريم آية ٥
(٤٤٢) أخرجه البخاري

هم خلطونا بالنفوس وألجموا   إلى نصر مولاهم مسومة جُردا

أي إلى نصر جارهم.

وأما المولى بمعنى الصهر فمعروف أيضاً، قال أبو المختار يزيد بن قيس الكلابي في ظلامته إلى عمر في أمرائه:

فلا تنسين النافعين كليهما   وهذا الذي في السوق مولى بني بدر

وكان الرجل صهراً لبني بدر.

وأما المولى بمعنى الحليف فمذكور أيضاً، قال بعض الشعراء:

موالي حلف لا موالي قرابة   ولكن قطيناً يعصرون الصنوبرا

فأما ما قصد به النبي ﷺ بقوله: (من كنت مولاه، فعلي مولاه)، فإنه يحتمل أمرين: أحدهما: من كنت ناصره على دينه وحامياً عنه بظاهري وباطني وسري وعلانيتي فعلي ناصره في نصره الدين والمؤمنين سواء والقطع على سريرته وعلو رتبته، وليس يُعتقد ذلك في كل ناصر للمؤمنين بظاهره، لأنه قد ينصر الناصر بظاهره طلب النفاق والسمعة وابتغاء الرفد ومتاع الدنيا، فإذا أخبر النبي ﷺ أنّ نُصرة بعض المؤمنين في الدين والمسلمين كنصرته هو ﷺ قُطع على طهارة سريرته وسلامة باطنه وهذه فضيلة عظيمة.

ويُحتمل أيضاً أن يكون المراد بقوله: (من كنت مولاه فعلي مولاه) أي من كنت محبوباً عنده ووليّاً له على ظاهري وباطني فعلي مولاه أي إنّ ولاءه ومحبته من ظاهره وباطنه واجب كما أنّ ولائي ومحبتي على هذا السبيل واجب، فيكون قد أوجب مولاته على ظاهره وباطنه ولسنا نوالي كل من ظهر منه الإيمان على هذه السبيل بل إنما نواليهم في الظاهر دون الباطن.

فإن قيل: فما وجه تخصيصه بهذا القول وقد كان عندكم في الصحابة خلق عظيم ظاهرهم كباطنهم؟ قيل له: يُحتمل أن يكون بلغه ﷺ قدح قادح فيه أو ثلب ثالب فيه أو أُخبر أنّ قوماً من أهل النفاق والشراة سيطعنون عليه ويزعمون أنه فارق الدين وحكم في أمر الله تعالى الآدميين ويسقطون بذلك ولايته ويزيلون ولاءه، فقال ذلك فيه لينفي ذلك عنه في وقته وبعده، لأنّ الله تعالى لو علم أنّ علياً سيفارق الدين بالتحكيم أو غيره على ما قُر به لم يأمر نبيه

أن يأمر الناس باعتقاد ولايته ومحبته على ظاهره وباطنه والقطع على طهارته وهو يعلم أنه يُختم عمله بمفارقة الدين، لأنّ من هذه سبيله في معلوم الله تعالى فإنه لم يكنْ قط ولياً لله ولا ممن يستحق الولاية والمحبة، وفي أمر رسول الله ﷺ بموالاة علي على ظاهره وباطنه دليل على سقوط ما قرفه أهل النفاق والضلال به.[٤٤٣] انتهى كلامه.

ويقول الألوسي رحمه الله:(ووجه استدلال الشيعة بخبر (من كنت مولاه فعلي مولاه) أنّ المولى بمعنى الأولى بالتصرف وأولوية التصرف عين الإمامة ولا يخفى أنّ أول اللفظ فى هذا الاستدلال جعلهم المولى بمعنى الأولى، وقد أنكر ذلك أهل العربية قاطبة بل قالوا: لم يجيء مفعل بمعنى أفعل أصلاً ولم يجوّز ذلك إلا أبو زيد اللغوى متمسكاً بقول أبى عبيدة فى تفسير قوله تعالى ﴿هى مولاكم﴾ أي أولى بكم، ورُدّ بأنه يلزم عليه صحة (فلان مولى من فلان) كما يصح (فلان أولى من فلان) واللازم باطل إجماعاً، فالملزوم مثله، وتفسير أبى عبيدة بيان لحاصل المعنى يعنى النار مقركم ومصيركم والموضع اللائق بكم وليس نصاً فى أنّ لفظ المولى ثمة بمعنى الأولى.

والثانى: لو سلمنا أنّ المولى بمعنى الأولى ليلزم أن يكون صلته بالتصرف بل يحتمل أن يكون المراد أولى بالمحبة وأولى بالتعظيم ونحو ذلك، وكم جاء الأولى فى كلام لايصح معه تقدير التصرف كقوله تعالى﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ على أنّ لنا قرينتين على أنّ المراد من الولاية من لفظ المولى أو الأولى بالمحبة إحداهما ما روينا عن محمد بن إسحاق فى شكوى الذين كانوا مع الأمير كرم الله تعالى وجهه فى اليمن كبريد الأسلمى وخالد بن الوليد وغيرهما ولم يمنع ﷺ الشاكين بخصوصهم مبالغة فى طلب موالاته وتلطفاً فى الدعوة إليها كما هو الغالب فى شأنه ﷺ فى مثل ذلك، وللتلطف المذكور افتتح الخطبة ﷺ بقوله (ألست

(٤٤٣) تمهيد الأوائل ص٤٥٠-٤٥٧

أولى بالمؤمنين من أنفسهم)، وثانيهما قوله عليه الصلاة والسلام على ما في بعض الروايات (اللهم وال من والاه وعاد من عاداه) فإنه لو كان المراد من (المولى) المتصرف فى الأمور أو الأولى بالتصرف لقال عليه الصلاة والسلام (اللهم وال من كان فى تصرفه وعاد من لم يكن كذلك)، فحيث ذكر ﷺ المحبة والعداوة فقد نبه على أنّ المقصود إيجاب محبته كرم الله تعالى وجهه والتحذير من عداوته وبغضه لا التصرف وعدمه، ولو كان المراد الخلافة لصرح ﷺ بها، ويدل لذلك ما رواه أبو نعيم عن الحسن المثنى بن الحسن السبط رضى الله تعالى عنهما أنهم سألوه عن هذا الخبر هل هو نص على خلافة الأمير كرم الله تعالى وجهه فقال: لوكان النبى ﷺ أراد خلافته لقال: (أيها الناس، هذا ولي أمرى والقائم عليكم بعدى فاسمعوا وأطيعوا) ثم قال الحسن: (أقسم بالله سبحانه أنّ الله تعالى ورسوله ﷺ لو آثرا علياً لأجل هذا الأمر، ولم يُقدّم علي كرم الله تعالى وجهه عليه، لكان أعظم الناس خطأ.

وأيضاً ربما يستدل على أنّ المراد بالولاية المحبة بأنه لم يقع التقييد بلفظ (بعدي) والظاهر حينئذ اجتماع الولايتين فى زمان واحد ولايتصور الاجتماع على تقدير أن يكون المراد أولوية التصرف بخلاف ما إذا كان المراد المحبة، وتمسك الشيعة فى إثبات أنّ المراد بالمولى الأولى بالتصرف باللفظ الواقع فى صدر الخبر على إحدى الروايات وهو قوله ﷺ (ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم)، ونحن نقول المراد من هذا أيضاً (الأولى بالمحبة) يعنى (ألست أولى بالؤمنين من أنفسهم بالمحبة) بل قد يقال (الأولى) ههنا مشتق من الولاية بمعنى المحبة والمعنى (ألست أحب إلى المؤمنين من أنفسهم) ليحصل تلاؤم أجزاء الكلام ويحسن الانتظام ويكون حاصل المعنى هكذا (يا معشر المؤمنين إنكم تحبونى أكثر من أنفسكم فمن يحبنى يحب علياً، اللهم أحب من أحبه وعاد من عاداه).

ثم يقول: (ولو فرضنا كون الأولى في صدر الخبر بمعنى الأولى بالتصرف، فيحتمل أن يكون ذلك لتنبيه المخاطبين بذلك الخطاب ليتوجهوا إلى سماع كلامه ﷺ كمال التوجه، ويلتفتوا إليه غاية الالتفات فيقرر ما فيه من الإرشاد أتم تقرر، وذلك كما يقول الرجل لأبنائه في مقام الوعظ والنصيحة

(ألست أباكم) وإذا اعترفوا بذلك يأمرهم بما قصده منهم ليقبلوا بحكم الأبوة والبنوة ويعملوا على طبقهما فقوله عليه الصلاة والسلام في هذا المقام (ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم) مثل (ألست رسول الله تعالى إليكم) أو (ألست نبيكم) ولا يمكن إجراء مثل ذلك فيما بعده تحصيلاً للمناسبة، ومن الشيعة من أورد دليلاً على نفي المحبة، وهو أنّ محبة الأمير كرم الله تعالى وجهه أمر ثابت في ضمن آية والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، فلو أفاد هذا الحديث ذلك المعنى كان لغواً، ولا يخفى فساده ومنشؤه أنّ المستدل لم يفهم أنّ إيجاب محبة أحد في ضمن العموم شيء وإيجاب محبته بالخصوص شيء آخر، والفرق بينهما مثل الشمس ظاهر، ومما يزيد ذلك ظهوراً أنه لو آمن شخص بجميع أنبياء الله تعالى ورسله عليهم الصلاة والسلام ولم يتعرض لنبينا محمد ﷺ بخصوصه بالذكر لم يكن إيمانه معتبراً.

وأيضاً لو فرضنا اتحاد مضمون الآية والخبر لا يلزم اللغو بل غاية ما يلزم التقرير والتأكيد وذلك وظيفة النبي ﷺ، فقد كان عليه الصلاة والسلام كثيراً ما يؤكد مضامين القرآن ويقررها بل القرآن نفسه قد تكررت فيه المضامين لذلك ولم يقل أحد إنّ ذلك من اللغو والعياذ بالله تعالى، وأيضا التنصيص على إمامة الأمير كرم الله تعالى وجهه تكرر مراراً عند الشيعة فيلزم على تقدير صحة ذلك القول اللغوي ويجل كلام الشارع عنه)[٤٤٤].

سابعاً: (وهو وليكم من بعدي) وردت في روايتين بزيادة (بعدي) عن سائر الروايات، وفي إسناد الروايتين كلاً من (جعفر بن سليمان) و(أجلح الكندي)، فأما (أجلح الكندي) فقد قال فيه الإمام أحمد: أجلح ومجالد متقاربان في الحديث وقد روى الأجلح غير حديث منكر، وقال أبو حاتم: ليس بالقوي يُكتب حديثه ولا يُحتج به، وقال النسائي: ضعيف ليس بذاك وكان له رأي سوء، وقال أبو داود: ضعيف، وقال ابن سعد: كان ضعيفاً جداً، وقال العقيلي: روى عن الشعبي أحاديث مضطربة لا يُتابع عليها، وقال ابن حبان: كان لا يدري ما يقول جعل أبا سفيان أبا الزبير.

---

(٤٤٤) تفسير روح المعاني ٦/ ١٩٥-١٩٩

فيما يرى يعقوب بن سفيان أنه ثقة لكن حديثه ليّن[٤٤٥]

وأما (جعفر بن سليمان) فقد اختلف فيه علماء الجرح والتعديل إلا أنّ للحافظ الذهبي عبارة أراها والله أعلم أوسط الآراء في جعفر حيث يقول (فإنّ جعفراً قد روى أحاديث من مناقب الشيخين رضي الله عنهما، وهو صدوق في نفسه، وينفرد بأحاديث عُدّت مما يُنكر، واختُلف في الاحتجاج بها، منها:

حديث أنس: إنّ رجلاً أراد سفراً فقال: زوّدوني.

ومنها حديث: لينتهينّ أقوام عن رفع أبصارهم عند الدعاء في الصلاة .. الخ)[٤٤٦].

فجعفر بن سليمان قد أخذ عليه انفراده بأحاديث مُنكرة، فلا عجب أن تكون زيادة (من بعدي) من مناكيره.

ولهذا قرر العلماء المحققون أنّ زيادة (من بعدي) لا تصح نسبتها إلى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بل أمارة الوضع واضحة عليها.

يقول المباركفوري في كتابه تحفة الأحوذي: (والظاهر أنّ زيادة (بعدي) في هذا الحديث من وهم هذين الشيعيين - جعفر بن سليمان والأجلح-، ويؤيده أن الإمام أحمد روى في مسنده هذا الحديث من عدة طرق ليست في واحدة منها هذه الزيادة.

فمنها ما رواه من طريق الفضل بن دكين حدثنا ابن أبي عيينة عن الحسن عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن بريدة قال غزوت مع علي اليمن فرأيت منه جفوة الحديث وفي آخره فقال: "يا بريدة ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم"؟ قلت بلى يا رسول الله قال "من كنت مولاه فعلي مولاه". ومنها ما رواه من طريق أبي معاوية حدثنا الأعمش عن سعيد بن عبيدة عن ابن بريدة عن أبيه قال بعثنا رسول الله ﷺ في سرية الحديث. وفي آخره: "من كنت وليه فعلي وليه". ومنها ما رواه من طريق، وكيع حدثنا الأعمش عن سعد بن

---

(٤٤٥) تهذيب التهذيب ١/ ١٨٣

(٤٤٦) ميزان الاعتدال للذهبي ١/ ٤١٠

عبيدة عن ابن بريدة عن أبيه أنه مر على مجلس وهم يتناولون من علي الحديث وفي آخره: من كنت وليه فعلي وليه. فظهر بهذا كله أنّ زيادة لفظ بعدي في هذا الحديث ليست بمحفوظة بل هي مردودة، فاستدلال الشيعة بها على أنّ علياً رضي الله عنه كان خليفة بعد رسول الله ﷺ من غير فصل باطل جداً. هذا ما عندي والله تعالى أعلم.

وقال الحافظ ابن تيمية في منهاج السنة: (وكذلك قوله: " هو ولي كل مؤمن بعدي " كذب على رسول الله ﷺ بل هو في حياته وبعد مماته ولي كل مؤمن وكل مؤمن وليه في المحيا والممات، فالولاية التي هي ضد العداوة لا تختص بزمان، وأما الولاية التي هي الإمارة فيقال فيها والي كل مؤمن بعدي كما يقال في صلاة الجنازة إذا اجتمع الولي والوالي قدم الوالي في قول الأكثر وقيل يقدم الولي وقول القائل (علي ولي كل مؤمن بعدي) كلام يمتنع نسبته إلى النبي ﷺ فإنه إن أراد الموالاة لم يحتج أن يقول بعدي وإن أراد الإمارة كان ينبغي أن يقول وال على كل مؤمن) انتهى.

فإن قلت: لم يتفرد جعفر بن سليمان بقوله: "هو ولي كل مؤمن بعدي" بل وقع هذا اللفظ في حديث بريدة عند أحمد في مسنده ففي آخره (لا تقع في علي، فإنه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي، وإنه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي). قلت: تفرد بهذا اللفظ في حديث بريدة أجلح الكندي وهو أيضاً شيعي)[٤٤٧].

ولو فرضنا صحتها فهي تخالف التفسير الشيعي لقوله تعالى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ لأنّ الآية أثبتت ولاية الإمام علي .. كما يقول الشيعة - في حياة رسول الله ﷺ فكيف تصح حينئذ زيادة (من بعدي) ؟!

---

(٤٤٧) تحفة الأحوذي ١٠/ ١٤٧

ب- حديث الاستخلاف على المدينة

أخرج النسائي في خصائص عليّ عن سعد بن أبي وقاص قال (لما غزا رسول الله ﷺ غزوة تبوك خلّف علياً كرم الله وجهه في المدينة، قالوا فيه: ملّه وكره صحبته، فتبع عليّ رضي الله عنه النبي ﷺ حتى لحقه في الطريق، قال: يا رسول الله خلفتني بالمدينة مع الذراري والنساء، حتى قالوا: ملّه وكره صحبته؟ فقال النبي ﷺ: يا عليّ إنما خلّفتك على أهلي، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي)[٤٤٨]

المناقشة:

إن جاز أن يُستدل بهذا الحديث على الخلافة فلتعلم أيها القارئ أنّ في هذا الحديث عجباً .. فالحديث إن أُريد أن يُستدل به على الإمامة والخلافة فسيكون من أبرز الأدلة على أحقية أبي بكر بالخلافة !!

ستقول لي: كيف ... وستعجب من قولي، ومن حقك ذلك، فالحديث في الظاهر لا دخل له في أبي بكر من قريب ولا بعيد، لكن التأمل فيه بدقة سيأتيك بما لم يخطر على بالك من قبل.

إن سألتك مجرد سؤال: من كان الخليفة بعد موسى عليه السلام؟ فستجيبني قائلاً: يوشع عليه السلام.

لكن من هو يوشع عليه السلام؟

هو صاحب موسى عليه السلام ورفيق هجرته[٤٤٩] الذي ذهب معه للقاء الخضر عليه السلام كما بينت ذلك سورة الكهف وحكى ذلك المفسرون من أهل السنة ومن الشيعة الاثني عشرية.

---

(٤٤٨) خصائص أمير المؤمنين للنسائي برقم (٤٣) وقال المحقق: إسناده صحيح حديث صحيح، رواه البخاري ومسلم والنسائي واللفظ له

(٤٤٩) الحديث نص على استثناء النبوة ولذلك لن نشير للنبوة في المقارنة بلا شك، فيوشع عليه السلام نبي وأبو بكر ليس بنبي، وهارون عليه السلام نبي وعلي ليس بنبي.

وأبو بكر الصديق كان كذلك (صاحب رسول الله ورفيق هجرته)، والخلافة لم تحصل لهارون عليه السلام الذي تربطه بموسى عليه السلام رابطة النسب وإنما حصلت ليوشع عليه السلام صاحب موسى عليه السلام ورفيق دربه.

فاستخلاف هارون عليه السلام كان مؤقتاً لفترة ذهاب موسى عليه السلام لمناجاة ربه في الطور، بينما كانت الخلافة من بعد موسى عليه السلام تامة ليوشع عليه السلام.

وكذلك الحال في أبي بكر وعلي.

وللمفيد - وهو من كبار علماء الشيعة ومنظريهم - عبارة جميلة رد فيها على فرقة (الفطحية) الشيعية - التي ترى النص في إسماعيل بن جعفر الصادق - يقول فيها: (أما الفطحية فالحجة عليها أوضح من أن تخفى لأنّ اسماعيل مات قبل أبي عبد الله عليه السلام والميت لا يكون خليفة الحي وإنما يكون الحي خليفة الميت، ولكن القوم عملوا على تقليد الرؤساء وأعرضوا عن الحجة وما في بابها، وهذا أمر لا يحتاج فيه إكثار لأنه ظاهر الفساد، بيّن الانتقاد)[٤٥٠].

أقول: والكلام ذاته يُقال للشيعة الاثني عشرية، فهارون عليه السلام قد مات قبل موسى عليه السلام، والميت لا يكون خليفة للحي وإنما يكون الحي خليفة الميت، فكيف جاز للشيعة أن يستدلوا بهذا الحديث على كون علي بن أبي طالب خليفة لرسول الله؟!، لكن القوم عملوا على تقليد الرؤساء وأعرضوا عن الحجة وما في بابها.

ثانياً: الحديث المذكور له سبب هام لا ينبغي أن يُغفل وأن يُفهم الحديث دونه، وقد ورد السبب الذي من أجله قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه هذا الحديث النبوي الشريف عند الفريقين السنة والشيعة.

وحسبي ها هنا أن أكتفي بروايات شيعية ذكرت السبب لئلا يظن ظان أنّ روايات أهل السنة قد جاءت بما لم تأت به روايات الشيعة.

يقول المفيد في كتابه الإرشاد: (فلما بلغ أمير المؤمنين عليه السلام إرجاف

(٤٥٠) كمال الدين وتمام النعمة ص١٠٥

المنافقين به أراد تكذيبهم وإظهار فضيحتهم فلحق بالنبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن المنافقين يزعمون أنك إنما خلفتني استثقالاً ومقتاً، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ارجع يا أخي إلى مكانك، فإنّ المدينة لا تصلح إلا بي أو بك، فأنت خليفتي في أهلي ودار هجرتي وقومي أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)[٤٥١].

وقد روى شيخ الطائفة الطوسي روايات كثيرة في هذا المعنى منها ما رواه أبو سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) في غزوة تبوك اخلفني في أهلي. فقال علي يا رسول الله، إني أكره أن يقول العرب (خذل ابن عمه، وتخلف عنه)، فقال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، قال: بلى، قال: فاخلفني)[٤٥٢].

ورويت كذلك الحادثة بهذا النص (وغزونا تبوك مع رسول الله ﷺ فودع علي النبي ﷺ على ثنية الوداع و بكى، فقال له النبي ﷺ ما يبكيك، فقال: كيف لا أبكي ولم أتخلف عنك في غزاة منذ بعثك الله (تعالى)، فما بالك تخلفني في هذه الغزاة فقال له النبي (صلى الله عليه و آله) أما ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، فقال علي (عليه السلام) بل رضيت)[٤٥٣].

وفي الأمالي كذلك من حديث عامر بن سعد، عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي (عليه السلام) ثلاثاً، فلأن تكون لي واحدة منهن أحب إليّ من حمر النعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي، وخلفه في بعض مغازيه، فقال يا رسول الله، تخلفني مع النساء والصبيان، فقال رسول الله ﷺ أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)[٤٥٤].

---

(٤٥١) الإرشاد ١/ ١٥٦

(٤٥٢) الأمالي للطوسي ص ٢٦١ و بحار الأنوار ٢١/ ٢٣٢

(٤٥٣) الأمالي للطوسي ص ١٧١

(٤٥٤) الأمالي للطوسي ص٣٠٦ و بحار الأنوار ٢١/ ١٠

وروى المجلسي في بحار الأنوار عن سعد أنّ علياً عليه السلام خرج مع النبي صلى الله عليه وآله حتى جاء ثنية الوداع وهو يبكي و يقول: تخلفني مع الخوالف، فقال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة)[٤٥٥].

وعن سعيد بن المسيب قال: قلت لسعد بن مالك (إني أريد أن أسألك عن حديث وأنا أهابك أن أسألك عنه، قال: فقال لا تفعل يا ابن أخي، إذا علمت أنّ عندي علما بشيء فاسألني عنه ولا تهبني، قلت: قول النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام حين خلفه في المدينة، فقال: إنّ رسول الله استخلفه حين خرج في غزاة تبوك فقال علي: يا رسول الله، تخلفني في الخوالف في النساء والصبيان، فقال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، قال بلى فرجع مسرعاً كأني أنظر إلى غبار قدميه يسطع)[٤٥٦].

وقد أشار الطبرسي في كتابه الاحتجاج لذلك في باب عنونه في كتابه باسم (ذكر ما جرى لرسول الله من الاحتجاج على المنافقين في طريق تبوك وغير ذلك من كيدهم لرسول الله على العقبة بالليل) ذكر فيه هذه الرواية: (قال أبو محمد الحسن العسكري عليه السلام: لقد رامت الفجرة ليلة العقبة قتل رسول الله صلى الله عليه وآله على العقبة ورام من بقي من مردة المنافقين بالمدينة قتل علي بن أبي طالب عليه السلام فما قدروا على مغالبة ربهم حملهم على ذلك حسدهم لرسول الله صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام لما فخم من أمره و عظم من شأنه من ذلك أنه لما خرج النبي من المدينة و قد كان خلفه عليها وقال له جبرئيل أتاني وقال لي: يا محمد، إنّ العلي الأعلى يقرأ عليك السلام ويقول لك: يا محمد، إما أن تخرج أنت ويقيم علي أو تقيم أنت ويخرج علي، لا بد من ذلك فإنّ علياً قد ندبته لإحدى اثنتين لا يعلم أحد كنه جلال من أطاعني فيهما وعظيم ثوابه غيري، فلما خلفه أكثر المنافقون الطعن فيه فقالوا مله وسئمه وكره صحبته فتبعه علي حتى لحقه وقد وجد غماً شديداً عما قالوا فيه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أشخصك يا علي عن

(٤٥٥) بحار الأنوار ٣٧/ ٢٦٢

(٤٥٦) بحار الأنوار ٣٧/ ٢٦٢

مركزك، فقال بلغني عن الناس كذا وكذا فقال له ﷺ: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)[٤٥٧].

وأشار لذلك الفضل بن الحسن الطبرسي بقوله: (فلما انتهى إلى الجرف لحقه علي وأخذ بغرز رحله وقال: يا رسول الله، زعمت قريش أنك خلفتني استثقالاً مني فقال: طالما آذت الأمم أنبياءها، أما أن ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، فقال: قد رضيت فرجع إلى المدينة و قدم رسول الله تبوك في شعبان يوم الثلاثاء)[٤٥٨].

فكل هذه الروايات والمصادر الشيعية تؤكد وتقرر حقيقة أنّ قول النبي عليه الصلاة والسلام (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) إنما هو ترضية للإمام علي لما طعن واستخف به المنافقون.

ثالثاً: من الثابت أنّ هارون عليه السلام كانت وفاته قبل موسى عليه السلام والاستدلال بالحديث على إمامة علي بعد رسول الله بالتالي غير منطبق، ولو أراد رسول الله ﷺ النص على علي بن أبي طالب لقال له مثلاً (أنت مني بمنزلة يوشع من موسى) لأنّ نبي الله يوشع أُستخلف على بني إسرائيل بعد وفاة موسى عليه السلام، لكن ذِكر رسول الله ﷺ لهارون عليه السلام الذي كان خليفة موسى عليه السلام في حياة موسى لا بعد وفاته ليس له إلا معنى واحداً وهو الترضية لعلي الذي أحزنه إبقاء الرسول ﷺ له في المدينة مستخلفاً على الضعفاء والنساء والأطفال والمتخلفين عن الغزوة، فبيّن له النبي عليه الصلاة والسلام أنه كما استخلف موسى عليه السلام أخاه هارون عليه السلام على قومه وذهب للطور للقاء ربه تبارك وتعالى فاستخلافي لك من هذا الباب، فموسى لم يستخلف هارون عليهما السلام استخفافاً به وتنقيصاً له وإنما ائتماناً له وثقة به وكذلك الحال معك يا علي بن أبي طالب.

---

(٤٥٧) الاحتجاج ١/ ٥٠

(٤٥٨) إعلام الورى ص١٢٢

رابعاً: هارون عليه السلام لم يكن وصياً لموسى عليه السلام بل نبياً ووزيراً وقياس حال الإمام علي عليه الذي هو عند الشيعة وصي وليس بنبي قياس مع الفارق.

خامساً: الاستدلال بكون هارون عليه السلام وزيراً لموسى عليه السلام على وزارة الإمام علي لرسول الله ﷺ أعجب من الأولى، ذلك لأنّ الله تعالى الذي جعل هارون عليه السلام وزيراً لنبيه موسى عليه السلام قال في محكم كتابه عن طلب موسى عليه السلام ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾﴾ فهل يرى من يدّعي التطابق بين الاثنين كون علي رضي الله عنه مشاركاً لرسول الله ﷺ في نبوته كما هو الحال في مشاركة هارون لموسى عليه السلام في أمره؟!! من يعتقد ذلك فلا شك في كفره وخروجه من ملة الإسلام.

سادساً: لقد استخلف النبي ﷺ على المدينة غير علي بن أبي طالب(٤٥٩)، فليس مجرد الاستخلاف على المدينة يجعل المستخلف خليفة على المسلمين من بعد رسول الله ﷺ، إضافة إلى أنّ استخلاف علي على المدينة لم يكن الأخير فقد استخلف النبي ﷺ على المدينة في حجة الوداع غير علي، بينما نجد في المقابل أنّ النبي عليه الصلاة والسلام أمّر أبا بكر على الحج، واختصه أيضاً بإمامة الصلاة وحده، ولم يكن اختصاصه بسبب قرابة أو لأجل استرضائه كما كان مع عليّ، بل اختصاص مطلق من أجل الفضيلة والاستحقاق.

سابعاً: ورد عند السنة والشيعة تشبيه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أبي بكر وعمر بنوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، فإن كان في تشبيه النبي عليه الصلاة والسلام علي بن أبي طالب بهارون عليه السلام ما يفيد المعنى الذي

(٤٥٩) لا بد من الإشارة إلى أنّ رسول الله ﷺ لم يستخلف علياً في المدينة يوم تبوك وإنما استخلف على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري واستخلف علياً على أمهات المؤمنين وأهل علي، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام له (فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك) انظر السيرة لابن هشام.

يريده الشيعة فماذا يقولون في تشبيه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أبا بكر وعمر بأولي العزم من الرسل وهم بلا شك أفضل من هارون عليه السلام؟

روى شيخ الطائفة الطوسي في كتابه (الأمالي) عن ابن مسعود قوله: لما كان يوم بدر وأسرت الأسرى، قال رسول الله ﷺ: ما ترون في هؤلاء القوم؟ فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله هم الذين كذّبوك وأخرجوك فاقتلهم، ثم قال أبو بكر: يا رسول الله هم قومك وعشيرتك ولعلّ الله يستنقذهم بك من النار، ثم قال عبد الله بن رواحة: أنت بواد كثير الحطب، فاجمع حطباً فالهب فيه ناراً وألقهم فيه، فقال العباس بن عبد المطلب: قطعك رحمك، قال: ثم إنّ رسول الله ﷺ قام فدخل وأكثر الناس في قول أبي بكر وعمر، فقال بعضهم: القول ما قال أبو بكر، وقال بعضهم: القول ما قال عمر، فخرج رسول الله ﷺ فقال: ما اختلافكم يا أيها الناس في قول هذين الرجلين: إنما مثلهما مثل إخوة لهما ممن كان قبلهما: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، قال نوح ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ وقال ابراهيم ﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ وقال موسى ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ وقال عيسى ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾)(٤٦٠).

ج- حديث الطائر

ومن أهم أدلة الشيعة الإمامية كذلك حديث الطائر المشوي.

روى الحاكم في المستدرك عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت أخدم رسول الله ﷺ، فقُدّم لرسول الله ﷺ فرخ مشوي فقال: (اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير)، قال: فقلت: اللهم اجعله رجلاً

(٤٦٠) أمالي الطوسي ص٢٦٧ وبحار الأنوار ١٩/ ٢٧١

من الأنصار، فجاء علي رضي الله عنه فقلت: إنّ رسول الله ﷺ على حاجة ثم جاء فقال رسول الله ﷺ (افتح، فدخل، فقال رسول الله ﷺ: ما حبسك يا علي؟) فقال: إنّ هذه آخر ثلاث كرّات يردني أنس، يزعم أنك على حاجة، فقال: (ما حملك على ما صنعت؟)، فقلت: يا رسول الله، سمعت دعاءك، فأحببت أن يكون رجلاً من قومي، فقال رسول الله ﷺ (إنّ الرجل قد يحب قومه).[٤٦١]

روي هذا الحديث بأسانيد لا تخلو من ضعف، بالإضافة إلى أنّ كثرة الروايات المسندة إلى أنس بن مالك رضي الله عنه وعدم صحة سند واحد منها أمر يدعو للعجب والدهشة!

فأين أصحاب أنس عن هذا الحديث وقد صحبوه السنين الطوال؟ لم نر أي واحد منهم قد روى هذا الحديث، وهم من هم في الثقة والضبط كأمثال الحسن البصري وثابت البناني وحميد الطويل وحبيب بن أبي ثابت وبكر بن عبد الله المزني، وأسعد بن سهل بن حنيف، وإسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة وأبان بن صالح وإبراهيم بن ميسرة وغيرهم كثير ممن يروي عن أنس ولا يُعرف عن أحد هؤلاء الثقات طريق ثابت لهذا الحديث!

وهذا ما دعا كثيراً من الحفاظ إلى الحكم بضعف أو كذب هذا الحديث منهم:

١- القاضي أبو بكر الباقلاني

ذكر ابن كثير في البداية والنهاية ٧/ ٣٥٤ ما نصه (ثم وقفت على مجلد كبير في رده وتضعيفه - أي حديث الطير - سنداً ومتناً للقاضي أبي بكر الباقلاني المتكلم).

٢- أبو يعلى الخليلي صاحب الإرشاد:

نقل عنه ابن حجر في التهذيب (١/ ٣٠٣-٣٠٤) قوله: (ما روى حديث

---

(٤٦١) المستدرك ٣/ ١٣٠-١٣١

الطير ثقة، رواه الضعفاء مثل إسماعيل بن سلمان الأزرق وأشباهه)، زاد محقق الخصائص النسائي (ص٣٥) نقلاً عن الخليلي في الإرشاد قوله: (ويرده جميع أئمة الحديث).

٣- محمد بن طاهر المقدسي

قال عن حديث الطير: (كل طرقه باطلة معلولة)[٤٦٢]

٤- محمد بن ناصر السلامي:

نقل عنه ابن الجوزي في المنتظم (٧/ ٢٧٥) قوله عن حديث الطير: (حديث موضوع إنما جاء من سقّاط أهل الكوفة، عن المشاهير والمجاهيل، عن أنس وغيره).

٥- ابن الجوزي

ذكر الحديث في العلل المتناهية (١/ ٢٢٥-٢٣٤) وقال: (قد ذكره ابن مردويه من نحو عشرين طريقاً كلها مظلم، وفيها مطعن، فلم أر الإطالة بذلك).

٦- أبو العباس ابن تيمية

قال في منهاج السنة ٤/٩٩ (حديث الطائر من المكذوبات والموضوعات عند أهل العلم والمعرفة بحقائق النقل).

٧- جمال الدين الزيلعي

ذكر المباركفوري في تحفة الأحوذي ١٠/ ٢٢٤ أنّ الزيلعي قال في نصب الراية (كم من حديث كثرت رواته وتعددت طرقه، وهو حديث ضعيف كحديث الطير).

---

(٤٦٢) العلل المتناهية لابن الجوزي ١/ ٢٣٣-٢٣٤

٨- الفيروز أبادي صاحب القاموس

نقل الشوكاني في الفوائد المجموعة (ص٣٨٢) عنه قوله عن هذا الحديث: (له طرق كثيرة كلها ضعيفة)[٤٦٣].

ولعل من الأمور المستنكرة في الحديث والتي تؤكد عدم صحة نسبته إلى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه هو ما يطرحه الحديث ذاته من معنى، إذ إنّ أكل الطير ليس فيه أمر عظيم يناسب أن يجيء أحب الخلق إلى الله ليأكل منه، فإنّ إطعام الطعام مشروع للبر والفاجر، وليس في ذلك زيادة وقربة عند الله لهذا الآكل، ولا معونة على مصلحة دين ولا دنيا، فأي أمر عظيم هنا يناسب جعل أحب الخلق إلى الله يفعله؟!

وكذلك يُقال إما أن يكون النبي ﷺ يعرف أنّ علياً أحب الخلق إلى الله أو ما كان يعرف، فإن كان يعرف ذلك، كان يمكنه أن يرسل يطلبه، كما كان يطلب الواحد من الصحابة أو يقول: اللهم ائتني بعليّ فإنه أحب الخلق إليك.

فأي حاجة إلى الدعاء والإبهام في ذلك والشخص معروف؟! ولو سمّى علياً لاستراح أنس من الرجاء الباطل، ولم يغلق الباب في وجه علي[٤٦٤].

يضاف إلى ذلك معارضة حديث الطائر لأحاديث صحيحة ثابتة أجمع المحدّثون والحفّاظ على صحتها .

كنحو ما ورد في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: (لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً)، وهذا الحديث مستفيض بل متواتر عند أهل العلم بالحديث، فإنه قد أُخرج في الصحاح من وجوه متعددة من حديث ابن مسعود وأبي سعيد وابن عباس وابن الزبير، وهو صريح في أنه لم يكن من أهل الأرض أحد أحب إليه من أبي بكر، فإنّ الخلة هي كمال الحب، وهذا لا

---

(٤٦٣) مختصر استدراك الحافظ الذهبي على مستدرك أبي عبد الله الحاكم لابن الملقن ٣/ ١٤٧٢

(٤٦٤) هنا حُق لنا أن نتساءل (ما الحكمة في أن يعرف أنس فقط أنّ علياً هو أحب الخلق إلى الله دون أن يعلن ذلك رسول الله أمام جميع المؤمنين؟!).

يصلح إلا لله، فإذا كانت ممكنة ولم يصلح لها إلا أبو بكر، عُلم أنه أحب الناس إليه.(٤٦٥)

وهناك أحاديث أخرى صحيحة في المعنى ذاته فكيف يُحتج بحديث ضعيف السند، مضطرب المتن على قضية يخالف فيها أحاديث صحيحة بل بعضها يصل حد التواتر ؟!

لكن على فرض صحة الحديث فكيف يُتعامل معه وهل فيه دلالة على معنى الإمامة التي يعتقدها وينادي بها الشيعة؟

الجواب: كون علي محبوباً عند النبي عليه الصلاة والسلام لا يعني أنه الإمام من بعده، ولا يعني كذلك أنّ إمامته من الله، فالمحبة شيء والخلافة شيء آخر، وعند هذه النقطة سنقف وقفة جديرة بالاهتمام.

فهذا الإمام جعفر الصادق عُرف عنه أنه كان أحب أبنائه إليه هو إسماعيل وأكثرهم قرباً إلى نفسه.

يقول عباس القمي في كتابه منتهى الآمال ص٢٠٧ (وكان إسماعيل أكبر إخوته - أي أكبر إخوة موسى -، وكان أبو عبد الله عليه السلام شديد المحبة له والبر به والإشفاق عليه، وكان قوم من الشيعة يظنون أنه القائم من بعد أبيه والخليفة من بعده، إذ كان أكبر إخوته سناً، ولميل أبيه إليه وإكرامه له).

وقد احتار الشيعة آنذاك في هذه المسألة . . . كيف يكون الإمام هو موسى في حين أنّ إسماعيل هو أحب الأبناء إلى أبيه.

فجاء نص صريح وجميل جداً ليضع النقاط على الحروف في هذه المسألة وهو:

عن يزيد بن سليط قال: لقيت أبا إبراهيم - ونحن نريد العمرة - في بعض الطريق فقلت: جعلت فداك، هل تثبت هذا الموضع الذي نحن فيه - إلى أن قال - . . . فقال رسول الله ﷺ (ما رأيت من الأئمة أحداً أجزع على

---

(٤٦٥) مختصر منهاج السنة ٢/ ٧٦٣-٧٦٤

فراق هذا الأمر منك ولو كانت الإمامة بالمحبة لكان إسماعيل أحب إلى أبيك منك ولكن ذلك من الله عز وجل . .).[٤٦٦]

ولذلك من يستدل على الإمامة بالمحبة يغالط نفسه، فهو يرتضي مبدأ المحبة ليجعل علياً إماماً من دون الناس، ثم يقف عند إمامة إسماعيل ومحبة أبيه جعفر الصادق له فيدير لها ظهره، ويقول بإمامة موسى متناسياً أنّ المحبة دليل على الإمامة !

ودين الله عز وجل لا يحكمه المزاج، يكون بالمحبة تارة وبالتنصيب الإلهي تارة أخرى ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾.

د- حديث الدار

ومن الأحاديث التي يستدل بها الشيعة الاثنا عشرية على نصية الإمامة حديث الدار، حيث يرى الشيعة أنّ رسول الله صلوات الله وسلامه عليه نص على إمامة علي منذ بداية البعثة وأثناء عرضه الإسلام على كفار مكة ومنذ مطالبته إياهم بترك الأوثان وإفراد الواحد القهار بالعبادة !

وفيما يلي نص الحديث:

(لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ دعاني رسول الله ﷺ فقال: يا علي إنّ الله أمرني أن أنذر عشيرتك الأقربين فضقت بذلك ذرعاً وعرفت أني متى أبادئهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره فصمت عليه حتى جاء جبرائيل، فقال: يا محمد، إنك إلا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك فاصنع لنا صاعاً من الطعام واجعل عليه رجل شاة واملأ لنا عساً من لبن، ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى أكلمهم وأبلغهم ما أمرت به ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه، فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب، فلما اجتمعوا

---

(٤٦٦) إعلام الورى ص٣١٨

إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم فجئت به فلما وضعته تناول رسول الله خدية من اللحم فشقها بأسنانه ثم ألقاها في نواحي الصفحة، ثم قال: خذوا باسم الله، فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة، وما أرى إلا موضع أيديهم وأيم الله الذي نفسي بيده، وإن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم، ثم قال اسق القوم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى روا منه جميعاً، وأيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله، فلما أراد رسول الله أن يكلمهم بدره أبو لهب إلى الكلام فقال: لقد سحركم صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله، فقال: الغد يا علي، إنّ هذا الرجل سبقني إلى ما قد سمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أكلمهم فعِد لنا من الطعام بمثل ما صنعت، ثم اجمعهم إلي.

قال ففعلت، ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فقربته لهم ففعل كما فعل بالأمس فأكلوا حتى مالهم بشيء حاجة، ثم قال: استهم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعاً، ثم تكلم رسول الله فقال: يا بني عبد المطلب، إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به، إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم. قال: فأحجم القوم عنها جميعاً وقلت: وإني لأحدثهم سناً وأرمصهم عيناً وأعظمهم بطناً وأحمشهم ساقاً[٤٦٧] أنا يا رسول الله أكون وزيرك عليه فأخذ برقبتي، ثم قال: إنّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا، فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع)، وفي سياق آخر (. . . فلم يجبه أحد منهم فقام علي وقال: أنا يا رسول الله. قال اجلس ثم أعاد القول على القوم ثانياً فصمتوا، فقام علي وقال: أنا يا رسول الله، فقال: اجلس، ثم أعاد القول على القوم ثالثاً فلم يجبه أحد منهم، فقام علي فقال: أنا يا رسول الله، فقال: اجلس أنت أخي. . .)[٤٦٨]

---

(٤٦٧) مع أن عمره آنذاك ما يقارب ثمان سنوات !!

(٤٦٨) المراجعات المراجعة (٢٠) ص (١٢٣).

وهذا الحديث باطل سنداً ومتناً، أما سنداً ففي سنده عبد الغفار بن القاسم وعبد الله بن عبد القدوس، فأما عبد الغفار بن القاسم فهو متروك لا يُحتج به، قال عنه علي بن المديني: كان يضع الحديث، وقال يحيى بن معين: ليس بشيء، وروى عباس بن يحيى: ليس بشيء، وقال البخاري: ليس بالقوي عندهم (أي عند علماء الجرح والتعديل)، وقال عنه ابن حبان: (يقلّب الأخبار ولا يجوز الاحتجاج به، تركه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين).[٤٦٩] وقال النسائي: متروك الحديث.[٤٧٠]

وليس عبد الله بن عبد القدوس بأحسن حالاً من سابقه بل هو مجروح أيضاً عند عامة علماء الحديث، قال النسائي: ليس بثقة، وقال الدارقطني: ضعيف[٤٧١].

وأما من ناحية المتن فالحديث واضح البطلان لأسباب وهي:

١ - في الحديث أنّ بني عبد المطلب (هم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه) والتاريخ يشهد أنهم لم يبلغوا العشرين رجلاً فضلاً عن الأربعين!

(فإنّ بني عبد المطلب لم يُعقب منهم كما هو معلوم إلا أربعة: العبّاس، وأبو طالب، والحارث، وأبو لهب. وجميع ولد عبد المطلب من هؤلاء الأربعة وهم بنو هاشم ولم يدرك النبوة من عمومته إلا أربعة: العباس وحمزة وأبو طالب وأبو لهب، وأما العمومة وبنو العمومة فأبو طالب كان له أربعة بنين: طالب وعقيل وجعفر وعليّ. وأما العباس فبنوه كلهم صغار، إذ لم يكن فيهم بمكة رجل، وهَبْ أنهم كانوا رجالاً فهم: عبد الله[٤٧٢] وعبيد الله والفضل، وأما قثم فوُلد بعدهم، وأكبرهم الفضل، وبه كان يكنّى، وأما الحارث بن عبد

(٤٦٩) كتاب المجروحين لابن حبان ص١٤٣

(٤٧٠) كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائي ص٢١٠

(٤٧١) انظر ميزان الاعتدال ٢/ ٤٥٧

(٤٧٢) ولد عبد الله بن عباس بشعب بني هاشم قبل عام الهجرة بثلاث سنين فقط أي بعد حادثة الدار بسنوات.

المطلب وأبو لهب فبنوهما أقل، والحارث كان له ابنان: أبو سفيان وربيعة، وبنو أبي لهب ثلاثة ذكور، فأسلم منهم اثنان: عتبة ومغيث).(٤٧٣)

٢ - هذه الرواية معارضة لرواية أخرى اتفق أهل الحديث على صحتها وثبوتها، فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال (لمّا نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾. صعد النبي ﷺ على الصّفا، فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدِي، لبطون قريش، حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش فقال: أرأيتكم أنّ خيلاً بالوادي تريد أن تُغير عليكم أكنتم مصدقّي، قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً، قال: فإنّي نذير لكم بين يديْ عذاب شديدٍ، فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا، فتنزلت ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾﴾).(٤٧٤)

٣ - الشيعة الاثنا عشرية طالماً ادعوا النص الصريح على خلافة عليّ وأنه هو الوصي والمستحق الوحيد لهذا المنصب، وأنّ النصوص متظافرة في إثبات ذلك، وهذا الحديث يدحض قولهم، إذ فيه أنّ النبي ﷺ دعا قومه لنصرته وأنّ من يقبل نصرته فسيصبح أخاه ووصيه وخليفته من بعده ولم يخص علياً بذلك بل وأعرض عنه ثلاث مرات، ولمّا لم يجد ناصراً غير عليّ قال له ما قال، وهذا يدل على أنّ علياً لا يستحق هذا المنصب ابتداءً، وأنّ النبي ﷺ اضطر مع إحجام قومه أن يجعل هذا الأمر في عليّ، فهل هذا يتوافق مع ما يدعيه القوم من أنّ علياً منصوص عليه من قبل السماء؟!

٤ - لقد جعل النبي ﷺ هذا المنصب من نصيب من يؤازره على هذا الأمر وهو الإسلام والنطق بالشهادتين، وأنا أتساءل هل مجرد إسلام الشخص

---

(٤٧٣) المنهاج ج٧ ص (٣٠٤ ـ ٣٠٥) بتصرف

(٤٧٤) صحيح البخاري كتاب التفسير ـ باب ـ (وأنذر عشيرتك الأقربين) برقم (٤٤٩٢).

ونطقه بالشهادتين يستحق به أن يصبح وزيراً ووصياً وخليفة لرسول ﷺ؟! ومعنى ذلك أيضاً أنّ جميع من أسلم وآزر النبي ﷺ على هذا الأمر يستحق أن يصبح خليفة له، فأي ميزة لعليّ عن جميع من أسلم حتى يصبح وصي وخليفة الرسول ﷺ بعد ذلك؟ ثم لو فرضنا أنّ اثنين أو أكثر من قومه أجابوه إلى ذلك، فهل سيكون للنبي ﷺ ثلاثة خلفاء في وقت واحد؟؟! أم سيجري انتخابات لترشيح واحدٍ منهم!!؟ أليس من ينسب هذا الهذيان إلى النبي ﷺ هو من أغبى الناس؟

٥ - هذه الرواية تزعم أنّ النبي ﷺ قال لعليّ بعدما أحجم القوم عن مؤازرته (إنّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم) وليس من بعدي!!! فأي وجه للدلالة على إمامة علي بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام، فإنه يصح أن يستخلف الرجل أحداً على قومه أو أهله وهو حي كما استخلف النبي أحد صحابته على المدينة عند ذهابه إلى مكة لأداء مناسك الحج، فالحديث يذكر (خليفتي فيكم) وليس (خليفتي من بعدي) والفرق واضح.

تذكر الرواية ما نصه (فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع)!؟ وأنا أتساءل مبهوتاً، كيف يقول النبي ﷺ لقوم رفضوا مؤازرته ونصرته بل وحاربوه، هذا خليفتي فاسمعوا له وأطيعوا؟! يا الله، هم أنفسهم لم يطيعوا النبي المرسل فهل سيطيعون صبياً صغيراً؟!

ولو فرضنا أنّ الرواية وردت بهذا النص (إنّ هذا أخي وخليفتي من (بعدي)) وليس (فيكم)، فهل هم أطاعوا النبي في الحاضر حتى يطيعوا خليفته من بعده؟! كأنّ الخطاب لجمع من المسلمين وليس لجمع من رؤوس الكفر! سبحان الله حتى المشركين أكثر فهماً من هؤلاء الذي يستدلون بالحديث على معنى الإمامة، لذلك خرجوا يضحكون على مثل هذا الكلام العجيب، ويقولون لأبي طالب، قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع!!! وأنا أعجب حقيقة

ممن يقرأ أحاديث كهذه ثم يطير فرحاً بحصوله على حديث يؤيد عقيدته أما يقرأ ويعي قبل أن يستدل؟!![٤٧٥]

هـ - حديث (علي مني وأنا من علي)

وهو حديث صحيح، ولا ريب أنّ علياً من النبي والنبي من علي نصرة ومحبة، فما من أحد ينكر هذا، لكن أين الدلالة على معنى إمامة علي بعد رسول الله ﷺ؟!

ما وجه دلالة حديث كهذا على أنّ علياً إمام منصوب من الله تعالى؟!

كيف وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام عن الأشعريين (هم مني وأنا منهم)[٤٧٦] ويقول لبني ناجية (أنا منهم وهم مني)[٤٧٧] بل ويخصّ بهذه المقولة أيضاً أحد صحابته الكرام وهو جليبيب رضي الله عنه.

فعن أبي برزة أنه (كان في مغزى له (أي الرسول ﷺ)، فأفاء الله عليه، فقال لأصحابه: هل تفقدون من أحد؟ قالوا: فلاناً وفلاناً وفلاناً، ثم قال: هل تفقدون من أحد؟ قالوا: نعم، فلاناً وفلاناً وفلاناً، ثم قال: هل تفقدون من أحد؟ قالوا: لا، قال: لكني أفقد جُليبيباً فاطلبوه، فطُلب في القتلى، فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه، فأتى النبي ﷺ فوقف عليه، فقال: قتل سبعة ثم قتلوه، هذا مني وأنا منه، هذا مني وأنا منه)[٤٧٨]

فإن كان في قول النبي ﷺ في أمير المؤمنين علي بأنه من الرسول والرسول منه ما يفيد معنى الإمامة لثبت المعنى نفسه لجليبيب أو للأشعريين أو لبني ناجية فكانت الخلافة في أعقابهم، لكنها المزاجية في تفسير النصوص والله المستعان.

---

(٤٧٥) بل ضللت ص٤٣٨-٤٤٠ بتصرف

(٤٧٦) متفق عليه (رواه البخاري ومسلم)

(٤٧٧) مسند أحمد - (مسند أبي إسحاق سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه) حديث رقم ١٣٧٠

(٤٧٨) رواه مسلم

و - أحاديث الإثني عشر إماماً

يحتج الشيعة الإمامية الاثنا عشرية في تحديدهم عدد الأئمة (باثني عشر رجلاً) بما جاء في صحيح البخاري عن جابر بن سمرة قال: (يكون اثنا عشر أميراً - فقال: كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنه قال: كلهم من قريش)[٤٧٩]

وفي مسلم عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة) ثم قال كلمة لم أفهمها، فقلت لأبي: ما قال؟ فقال: (كلهم من قريش)[٤٨٠] وفي لفظ آخر (لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً)[٤٨١]

وعند أبي داود ونصه كالتالي: (لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلهم تجتمع عليهم الأمة)[٤٨٢]

وبالتأمل في النصوص بكل حيدة وموضوعية نجد أنّ هؤلاء الاثني عشر وُصفوا بأنهم (خلفاء) أو (أمراء) ومن المعلوم أنّ الأئمة الاثني عشر عند الشيعة هم أئمة وليسوا خلفاء ولا أمراء إذ لا خليفة بلا خلافة ولا أمير بلا إمارة.

فحينما تناقش عالماً من علماء الشيعة عن إمامة الإمام الصادق مثلاً وتقول له: كيف يكون إماماً ولم يكن خليفة؟ فسيجيبك على الفور بأنّ الإمامة منصب إلهي لا يُشترط فيه أن يتولى الخلافة، لكن المرء لا يكون خليفة إلا بخلافة وهذا ما لا ينطبق على الأئمة الاثني عشر من أهل البيت باستثناء إمامين فقط هما: (علي بن أبي طالب والحسن بن علي) فهما اللذان توليا الخلافة أما البقية فلم يتول أحد منهم الخلافة.

ولذا أقول: لو أراد النبي عليه الصلاة والسلام النص على إمامة الأئمة

---

(٤٧٩) صحيح البخاري (كتاب الأحكام، باب الاستخلاف ٨/ ١٢٧)

(٤٨٠) صحيح مسلم (كتاب الإمارة، باب - الناس تبع لقريش والخلافة في قريش ٢/ ١٤٥٣)

(٤٨١) صحيح مسلم

(٤٨٢) سنن أبي داود (كتاب المهدي ٤/ ٤٧١)

الاثني عشر عند الشيعة لقال في حديثه الشريف (اثنا عشر إماماً) بدلاً من (اثنا عشر أميراً) أو (اثنا عشر خليفة)!

لكن نبي الله صلوات الله وسلامه عليه لم يقل ذلك.

ولو أراد كذلك أن ينص على اثني عشر إماماً هم الإمام علي وأبناؤه لقال (علي وأبناؤه) أو لقال (كلهم من بني أبي طالب)، أما أن يقول (كلهم من قريش) فإنه من السهل على بني العباس مثلاً أن يدّعوا أنهم المرادون بالحديث لأنهم من قريش بل من قرابة النبي عليه الصلاة والسلام، هذا إذا تناسينا كم من الرجال خلّفت قريش كبني تيم وبني عدي وبني زهرة وبني أسد وغيرهم كثير!

فصيغة الحديث التي نطق بها محمد ﷺ الذي أُوتي جوامع الكلم تعني بكل وضوح أنّ الاثني عشر في الحديث لا يختصون بالإمام علي وأولاده دون غيرهم، ولو كانوا كذلك لذُكر ما يُميّزون به، ألا ترى أنه لم يقل (كلهم من ولد إسماعيل عليه السلام) ولم يقل (كلهم من العرب) وإن كانوا في الحقيقة كذلك، ولكنه ذكر ما يميزهم عن غيرهم وهو القبيلة، فلو امتازوا بأنهم كلهم من أهل البيت أو من أبناء الإمام علي بالذات لذُكروا بذلك، فلما جعلهم رسول الله ﷺ من قريش مطلقاً، عُلم أنهم من قريش ولا يختصون ببطن دون آخر.

ثم إنه ليس في الحديث حصر للأئمة بهذا العدد (اثني عشر) بل نبوءة منه صلوات الله وسلامه عليه بأنّ الإسلام لا يزال عزيزاً حتى حُكم هؤلاء أو في ظل حكمهم على خلاف بين العلماء، وهم الذين توفرت فيهم الشروط كالخلفاء الأربعة الراشدين والإمام الحسن وممن كان من بني أمية وبني العباس من أهل العدل والتقوى.

ويذكر الحديث الذي يرويه أبو داود أنّ الأمة تجتمع على هؤلاء الاثني

عشر بينما لا يرى الشيعة في اجتماع الأمة على أئمتها أو تفرقها عنهم قدحاً في شرعية خلافتهم أو عدم كونها من الله بخلاف الأحاديث التي تختص الاثني عشر خليفة بهذه المزية، بل إنّ التاريخ ليشهد بأنّ أئمة الشيعة لم يتولوا حكماً - باستثناء الإمام علي والإمام الحسن - بل وأيضاً الشيعة بفرقهم المتعددة أنفسهم مختلفون في معرفة الأئمة وفي أعدادهم اختلافاً لا يكاد يُحصى إلا بكلفة، كما حفلت بتصوير ذلك كتب الفرق والنحل والتي ذكرت اختلاف الشيعة بعد موت كل إمام في من يكون الإمام من بعده.

وزيادة على هذا كله يُقال بأنّ تلك الأحاديث لا تذكر أسماء الأئمة أو الخلفاء الاثني عشر بل تفيد عزة الدين في ظل خلافتهم، ولو أخذنا بنظرية الشيعة الفطحية الذين يشترطون الوراثة العمودية في الإمامة، لأصبح الإمام الحسن العسكري هو الإمام الثاني عشر، بعد الإقرار بإمامة عبد الله بن الأفطح بن جعفر الصادق أو الاعتراف بإمامة زيد بن علي الذي اعترف بإمامته قسم من الشيعة الإمامية الأولى.

ولذا فاستدلال الشيعة الاثني عشرية بروايات كهذه لا تنطبق بحال من الأحوال على الأئمة الاثني عشر لديهم، ودون وجود دليل علمي على ولادة محمد بن الحسن العسكري (الإمام الثاني عشر الغائب) هو نوع من الافتراض والظن والتخمين وليس استدلالاً علمياً قاطعاً.

فإذن لم يبق من الأوصاف التي تنطبق على الأئمة الاثني عشر عند الشيعة إلا مجرد العدد، والعدد لا يدل على شيء ألا ترى أنّ هذا الرقم وُصف به هؤلاء الخلفاء الصلحاء كما وُصف به أضدادهم، فقد جاء في كتاب الغيبة لشيخ الطائفة الطوسي عن أبي خديجة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام (لا يخرج القائم حتى يخرج اثنا عشر من بني هاشم، كلهم يدعو إلى نفسه)[٤٨٣].

(٤٨٣) الغيبة للطوسي ص٤٣٧

فلفظ (اثني عشر رجلاً من قريش) بل حتى لفظ (اثني عشر رجلاً من بني هاشم)[٤٨٤] كلاهما سيجعلان هؤلاء الاثني عشر الذين سيخرجون مع قائم الشيعة الاثني عشرية مستحقون للاتباع؟

فهل يصلح لمنصف عاقل أن يبني دينه وعقيدته على قاعدة هشة لا تصمد أمام النقد العلمي بهذه الصورة؟!

الخوئي: لا أحاديث صحيحة في النص على الأئمة الاثني عشر بأسمائهم

سئل الخوئي هذا السؤال:

(الحديث المعروف المروي عن هشام بن سالم، والذي يروي به ما جرى عليه وعلى بعض أصحابه، بل وعموم الشيعة بعد وفاة الإمام الصادق عليه السلام، وكيف أنه كان مع ثلة من أصحاب الصادق ثم كانوا يبحثون عن الخلف من بعده عليه السلام، فدخلوا على عبد الله بن جعفر وقد اجتمع عليه الناس فانكشف لهم بطلان دعوى إمامته، فخرجوا منه ضلالاً لا يعرفون من الإمام .. إلى آخر الرواية . . . كيف نجمع بين هذه الرواية التي تدل على جهل كبار

---

(٤٨٤) هذه العبارة لم أجدها مسندة في حديث صحيح ولا حتى ضعيف، إنما ذكرها القندوزي في كتابه (ينابيع المودة) ومن يتأمل الكتاب يعلم أنّ مؤلفه شيعي إثني عشري وإن لم يصرّح علماء الشيعة بذلك لكن آغا بزرك طهراني عدّ كتابه هذا من مصنفات الشيعة في كتابه (الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٢٥/ ٢٩٠) ولعل من مظاهر كونه من الشيعة الإثني عشرية ما ذكره في كتابه ينابيع المودة ١/ ٢٣٩ عن جعفر الصادق عن آبائه عليهم السلام قال: كان علي عليه السلام يرى مع رسول الله ﷺ قبل الرسالة الضوء ويسمع الصوت، وقال له: لولا أني خاتم الأنبياء لكنت شريكاً في النبوة، فإن لم تكن نبياً فإنك وصي نبي ووارثه، بل أنت سيد الأوصياء وإمام الأتقياء.

فإنّ من يروي مثل هذه الروايات لا يمكن أن يكون سنياً بحال من الأحوال ولو ادّعى ذلك.

بل على فرض سنيته فهو متأخر جداً عن زمن الرواية والتدوين فكيف له أن ينفرد برواية لم يروها السابقين الأقرب إلى عصر الرواية والتدوين !

الأصحاب بالإمام بعد الصادق عليه السلام، وبين الروايات التي تحدد أسماء الأئمة عليهم السلام جميعاً منذ زمن رسول الله صلى الله عليه وآله؟ وهل يمكن إجماع الأصحاب على جهل هذه الروايات حتى يتحيّروا بمعرفة الإمام بعد الإمام؟

أجاب الخوئي: الروايات المتواترة الواصلة إلينا من طريق العامة والخاصة **قد حددت الأئمة عليهم السلام باثني عشر من ناحية العدد، ولم تحددهم بأسمائهم عليهم السلام واحداً بعد واحد حتى لا يمكن فرض الشك في الإمام اللاحق بعد رحلة الإمام السابق** بل قد تقتضي المصلحة في ذلك الزمان اختفاءه والتستر عليه لدى الناس بل لدى أصحابهم عليهم السلام إلا أصحاب السر لهم، وقد اتفقت هذه القضية في غير هذا المورد، والله العالم(٤٨٥).

فهذه شهادة من عالم شيعي اثني عشري كبير، كان زعيماً للحوزة العلمية بالنجف التي تعتبر أعرق حوزات الشيعة الاثني عشرية على الإطلاق، وهو رجل له دراية كبيرة بعلمي الحديث والرجال عند طائفته، كيف لا وهو مؤلف كتاب (معجم رجال الحديث)، فإن صرّح عالم كهذا بحقيقة هامة مثل هذه، فكيف جاز للشيعة الاثني عشرية الاستمرار في المكابرة؟!

---

(٤٨٥) صراط النجاة في أجوبة الاستفتاءات -الجزء الثاني ص٤٥٢

مع صحابة رسول الله ..

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾

سورة التوبة آية ١٠٠

مع صحابة رسول الله ...

كنت أتفكر كثيراً في اختلاف نظرتي أهل السنة والشيعة الاثني عشرية لصحابة رسول الله . . . وكانت التساؤلات تحيط بي من كل جانب والأفكار تأخذني شرقاً وغرباً . . . أقرأ لهذا وذاك ويرد التساؤل تلو التساؤل. . . لم أترك باباً أستطيع طرقه إلا طرقته . . . وشعرت أني خُضت بحراً كلما اقتربت من شاطئه زاد البعد.

لكن عناية ربانية انتشلتني إلى بر الأمان . . حينما تمسكت بقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾(٤٨٦).

لم تكن قراآتي المتأنية وتساؤلاتي الجريئة لترسم لي وحدها طريق الحقيقة . . . بل كان للعقل دوره في إثارة الكثير من علامات الاستفهام على كل ما أقرأه وأسمعه أو أشاهده.

قرأت وفكّرت . . . ناقشت ونوقشت . . . وعشت الحرب بداخلي . . . سنوات من الجدب تسبق المطر . . . لكن الغيث قد يُنسيك أضعافاً مضاعفة من تلك الأيام المجدبة حينما تكتحل عيناك برؤية الحقيقة.

كل ما عليك هو أن تتقدم خطوتين إلى الأمام . . تُفكر فيها . . . وتحكّم ضميرك . . . تتحرر من التعصب للمذهب . . وتكون وجهتك إلى الإسلام . . . الدين الذي أمرك برمي أغلال التقليد للآباء والأجداد والتمسك بالدليل والبرهان حيثما كان.

فعلت ذلك . . . ووُجهت لي الاتهامات من متعصبة الفريقين، أرادوا لي أن أكون نسخة منهم لا أن أكون نبض ضمير المسلم المتجرد . . لقد علمت أنّ الشرع لا يُحابي أحداً، وأنّ الحق حكر للدليل والبرهان لا حكراً على الأشخاص، فلست إمعة إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت

(٤٨٦) سورة العنكبوت آية ٦٩

معهم . . . طريقي ضيق بين طرفي نقيض لكني أرى فيما بعده اتساعاً وراحة للضمير.

وكعلمي بأهمية التجرد للحق ونبذ هوس التعصب أدركت كذلك أنّ الحوار نعمة رفع من شأنها الإسلام، وأنه جدير بالمرء أن يشكر نعمة الله عليه، ويكون شكره عز وجل من خلال استشعار نعمته وأهميتها، ومن لا يدرك النعمة فكيف له أن يشكر واهبها وأن يتنعم بها؟

حوار مع زميل

قلت لصاحبي يوماً: لو كتب الله عز وجل أن يريك رجلاً قيادياً عليه صبغة الصلاح والإيمان والتقوى، وعلمت أنه يتولى أناساً بعضهم مؤمن وبعضهم منافق وأنه لفضل الله عليه يعرف أهل النفاق من لحن قولهم، ثم علمت أنّ ذاك الرجل الصالح قد ترك أهل الصلاح واختار أهل النفاق وأعطى لهم المناصب القيادية وسوّدهم على الناس في حياته، وعلمت كذلك أنه لم يكتف بإعطائهم المناصب وتقريبهم إليه بل صاهر بعضهم مع أنّ بناتهم مثلهم في النفاق !

ثم علمت أنّ ذاك الرجل الصالح قد مات وهنّ على ذمته ينطقن باسمه ويتكلمن بالدين ويُفتين للناس من بعده، والناس وثقوا به لأنهم أتباعه أولاً، ولأنهم يعلمون فيه الصلاح والتقوى ويعلمون أنّ الصالح لا يتعمد اختيار الخبيث إلا لخبث طرأ عليه أو شهوة عارضة، أما أن يكون ملازماً للصلاح وفي كامل قواه العقلية ويختار الخبيث فلا يتأتى ذلك إلا لنقصٍ في دينه.

ثم علمت يا صاحبي أنّ هؤلاء المنافقين الذين مكّن لهم هذا الرجل الصالح قد تسلطوا على البلاد والعباد وسلبوا المؤمنين حقهم وأساؤا، فما قولك فيه؟

قال صاحبي: أراه إما خبيثاً فاجراً، وإما جاهلاً مغفلاً استخدمه عدوه أبشع استخدام.

قلت: فلان، قال: نعم

قلت: ألا ترى أنّ الشخصية التي تشتمها وتتهمها إما بالسذاجة أو الخبث هي نفس الشخصية التي يريدنا الشيعة الاثني عشرية من حيث لا يشعرون أن نتصورها في أشرف الخلق محمد عليه الصلاة والسلام!

إنك شتمت تلك الشخصية وأنت مدرك أنها شخصية رجل صالح فقط لا دخل له بالوحي من قريب ولا بعيد، شخصية غير معصومة، قد تستقيم يوماً وتعتريها الشهوة غداً، فكيف بنا ونحن نتكلم عن شخصية خليل الرحمن وخاتم الأنبياء والمرسلين؟!

إننا ندرك أنّ ختم نبوته صلوات الله وسلامه عليه يقتضي بقاء دينه بلا تحريف ولا عبث من بعده، وكيف يتأتى ذلك والشيعة الاثنا عشرية يجعلونه مصاهراً للمنافقين وزوجاً للمنافقات؟!

فالشيعة الاثنا عشرية يرون أنّ رسول الله قد صاهر منافقين هما (أبو بكر وعمر) وزوّج ابنتيه من منافق وهو(عثمان)، وتزوج منافقات وهما (عائشة وحفصة) اللتان سمّيتا في القرآن بـ(أمهات المؤمنين) كما قال تعالى ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾!

وتولى خالد بن الوليد قيادة جيشه .... منافق آخر في القائمة!

وكل هؤلاء يشتمهم الشيعة الاثنا عشرية ويقولون بردتهم، هؤلاء جميعاً كانوا أهل النفوذ في زمانه، مات هذا النبي الكريم وخلّفهم من بعده، فمن المخطئ ومن المصيب؟ رسول الله أم الشيعة الاثنا عشرية؟ أخبرني بصراحة، وحكّم ضميرك وانس الطائفية المقيتة وحكّم عقلك، فأنا لا أخاطبك من منطلق عصبية مذهبية ولكني أخاطبك كمسلم لا يرتضي هذا الطرح في رسول الله ولا في أصحابه.

هل أخطأ رسول الله في الزواج من عائشة؟ هل أخطأ في اختيار رفيق دربه إلى المدينة وفي الغار؟ هل أخطأ في مصاهرتهم؟ هل كان رسول الله ينهى المسلم عن جلساء السوء وزوجة السوء ثم يختار هو أهل نفاق وردة وضلال؟!! في الوقت ذاته الذي يدندن الشيعة الاثنا عشرية حول قضية أنّ الأنبياء والأوصياء يعلمون الغيب بإذن الله، وأنهم أطهار، بل ينزهونهم عن

جميع الأقذار صغيرها وكبيرها، في حين أنهم بالطرح الذي يطرحونه في صحابة رسول الله وبالذات أصهاره وأنسباءه وزوجاته ينسبون إليه القذر والغفلة والجهل وعدّ ما شئت من مسميات ومعاني لا يرضاها المسلم لنفسه فكيف لرسوله محمد ﷺ!

صمت صاحبي برهة ثم قال لي: معك حق.

كان صادقاً مع نفسه ... لم يجد حرجاً في الاعتراف بحقيقة جسّها ضميره ..

ولا يعيب الإنسان أن يبحث ويفكر بهدوء بعيداً عن البطانة التي يقودها التعصب والهوى والتي تسوّل له الاستمرار في الخطأ.

ما أحوجنا إلى هذا التجرد، وما أحوجنا إلى التفكر في الطريق الذي نسير فيه .. قبل أن نهلك أو يعمّنا الهلاك.

المرء على دين خليله

هكذا علمنا رسول الله ﷺ ... وتلك وصيته الخالدة في أن لا يصحب المؤمن التقي إلا أهل الإيمان والتقوى وأن لا يقترن الصالح إلا بامرأة صالحة تحفظه في دينه ودنياه.

يقول النبي عليه الصلاة والسلام (المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل).[٤٨٧]

وحديثه عليه الصلاة والسلام عن الجليس الصالح والجليس السوء أشهر ما يكون.

قال عليه الصلاة والسلام: (إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يُحرق ثيابك وإما أن تجد ريحاً خبيثة).[٤٨٨]

وعلى هذا النسق توالت الأحاديث النبوية وكذا أحاديث الأئمة.

روى الإمام الصادق عن رسول الله ﷺ أنه قال: (أولى الناس بالتهمة من جالس أهل التهمة)[٤٨٩]

ويقول الإمام علي، فيما كتبه إلى الحارث الهمداني: (واحذر من يقبل رأيه ويُنكر عمله، فإنّ الصاحب معتبر بصاحبه).[٤٩٠]

ويقول أبو عبد الله (الإمام جعفر الصادق): (**خمس خصال من فقد**

---

(٤٨٧) أمالي الطوسي ج٢ ص١٣٢
(٤٨٨) مجموعة ورام ٢/٢٦٦ باب ذكر جمل من مناهي رسول الله صلوات الله وسلامه عليه
(٤٨٩) بحار الأنوار ٧٢/ ٩٠ ومعاني الأخبار ص١٩٥
(٤٩٠) بحار الأنوار ٧١/ ١٩٩ ونهج البلاغة ج٢ ص١٣١

منهن واحدة لم يزل ناقص العيش زائل العقل، مشغول القلب، فأولها صحة البدن، والثانية الأمن، والثالثة السعة في الرزق، والرابعة الأنيس الموافق، قلت: وما الأنيس الموافق؟ قال: الزوجة الصالحة، والولد الصالح، والخليط الصالح، والخامسة وهي تجمع هذه الخصال: الدعة)[٤٩١]

فكيف ينتسب إليه هؤلاء الزوجة السوء والخليط السوء ثم يدّعون أنهم لاينسبون إلى رسول الله السوء؟!

وعن الصادق أنه قال: لا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره، ثم قال: أمرني والدي بثلاث ونهاني عن ثلاث[٤٩٢]، فكان فيما قال لي: يا بني من يصحب صاحب السوء لا يسلم[٤٩٣]، ومن يدخل مداخل السوء يُتهم ومن لا يملك لسانه يندم.[٤٩٤]

وقد روي عن سليمان عليه السلام أنه قال: (لا تحكموا على رجل بشيء حتى تنظروا إلى من يصاحب، فإنما يُعرف الرجل بأشكاله وأقرانه، ويُنسب إلى أصحابه وأخدانه)[٤٩٥]، فما أعظمه من حديث وما أقواها من دلالة.

وفي هذا يقول الشاعر:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

بعد استعراض هذه الروايات ماذا يستطيع أن يقول المرء عن صحابة

---

(٤٩١) بحار الأنوار ٧١/ ١٨٦

(٤٩٢) لاحظ أنّ الوصية هنا من الإمام الباقر إلى ابنه الإمام الصادق - وكلاهما معصومان عند الشيعة الاثني عشرية - فانظر إلى حرص الباقر على الصحبة الصالحة وانظر بالمقابل إلى الذين ينسبون إلى رسول الله أنه ما أحسن اختيار أصحابه ولا أصهاره ولا حتى زوجاته ! ولا حول ولا قوة إلا بالله

(٤٩٣) نعم لا يسلم من يصاحب صاحب السوء، لا يسلم من تشويه السمعة، ومن الاتهام بالباطل، ومن نسبة أفعال صاحبه إليه.

(٤٩٤) بحار الأنوار ٧١/ ١٩١

(٤٩٥) بحار الأنوار ٧١/ ١٨٨ عن كنز الكراجي

محمد ﷺ وعن الرجل الذي اختارهم ورضي بصحبتهم وقرّبهم وصاهرهم أو كانوا أصهاراً له؟!

أولى الناس بالتهمة من جالس أهل التهمة . . . لا تحكموا على رجل بشيء حتى تنظروا إلى من يصاحب، فإنما يُعرف الرجل بأشكاله وأقرانه، ويُنسب إلى أصحابه وأخدانه . . . ما صدى هذه الكلمات في نفسك وفي ضميرك ؟

ما أثر هذه الكلمات في نفس مسلم يرى صحابة نبيه في قفص الاتهام . . وليته كان اتهاماً فحسب بل هو القذف الصريح لهذه الفئة المختارة بالفسق والكفر والردة !

الرجل الذي أنار الله به بصائر الخلق . . كيف يُبقي على ذمته عائشة وحفصة ويصاهر أبا بكر وعمر ويزوّج ابنتيه إلى عثمان، ويكون طلحة والزبير وفلان وفلان من أخص أصحابه وأكثرهم قرباً إليه - وهم كما يزعم الشيعة الاثنا عشرية أهل ردة أو نفاق أو فسوق على الأقل؟!

قد حكم الإمام الصادق بزوال عقل وانشغال قلب ونقصان عيش من افتقد الزوجة الصالحة والخليط الصالح، فإلى ماذا ينسب علماء الشيعة الاثني عشرية رسولنا الكريم وهم يدّعون أنّ زوجته كانت ضالة أو كافرة وأنّ أصهاره وخلطاءه كفار ومرتدون على أعقابهم؟!

أسئلة ترد على البال ومن حق كل مسلم أن يثيرها ويُحاكم فيها ضميره . . .

إنه الاختلاف الجذري بين رؤية أهل السنة والجماعة إلى صحابة رسول الله وزوجاته وبين رؤية الشيعة الاثني عشرية، هذه مقدّمته والكلام في تفاصيله أعظم دلالة على الحق وأكثر وضوحاً للجرم.

ماذا عن امرأتي نوح ولوط عليهما السلام؟

لعل قائلاً يقول: هذا نوح ولوط عليهما السلام قد قال الله تعالى عن زوجتيهما ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾(٤٩٦) فكيف لا تُتصور الخيانة في زوجات النبي عليه الصلاة والسلام؟

أقول: قد ثبت عند أولي الألباب أنّ الله عز وجل قد نزّه نوحاً ولوطاً عليهما السلام من هاتين المرأتين في حياتهما، فشهد هذان النبيان الكريمان عقاب الله لتينك المرأتين، وطهرهما الله عز وجل منهما، فتبين من ذلك أنه لو كان في زوجة من زوجات رسول الله ﷺ ما يوجب تنزيه رسول الله عنهن أو التبرأ منهن لحصل ذلك في حياة رسول الله فلما لم يحصل ذلك ثبت أنهن أهل للميثاق الغليظ (الزواج) الذي جمعهن برسول الله.

وعجيب أن يدندن الشيعة الاثنا عشرية حول آية التطهير وحول معنى تطهير الله لأهل البيت، ثم لا يعتقدون أنّ رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وهو سيد أهل بيته وخيرهم وأطهرهم قد طهّره الله عز وجل من عائشة التي يطعنون بها ويتهمونها تارة في دينها وتارة في عرضها بينما هي زوجته حتى مفارقته للحياة.

لسنا ندّعي أنّ زوجات رسول الله معصومات لا يُخطئن بل هنّ كغيرهنّ من الصالحات يخطئن ويصبن، يعصين ويتبن، لكن لم ولن تبلغ إحداهن ما يدّعيه الشيعة الاثنا عشرية فيهن ولا معشاره(٤٩٧).

---

(٤٩٦) سورة التحريم آية ١٠

(٤٩٧) يكفي أن تتصفح الكتب الشيعية التي تكلمت عن أم المؤمنين عائشة لترى العجب العجاب! فهذا البياضي يسميها في كتابه الصراط المستقيم باسم (أم الشرور) طاعناً في كتاب الله الذي سماها باسم (أم المؤمنين) في قوله تعالى: ﴿وأزواجه أمهاتهم﴾، والمجلسي يصفها بالنفاق وذاك يجوز لعنها، والقمي يروي في تفسيره ما يطعن في عرضها رضي الله عنها، وكلّ يدلو بدلوه باسم حب أهل البيت وحب علي بن أبي طالب، وأهل البيت من هذا المعتقد وأصحابه براء.

ومحمد عليه الصلاة والسلام هو خاتم الأنبياء والمرسلين فلا نبي بعده ولا وحي بعده، فكيف يجوز لعاقل أن يتصور أن تُترك فرصة الخيانة لزوجاته والارتداد من بعده وهن أمهات للمؤمنين ومكانهن من رسول الله يوجب هلاك الأمة للاغترار بقربهن من رسول الله؟

هذا وقد قال الله عز وجل في محكم كتابه ﴿وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ﴾(٤٩٨) والشيعة الاثنا عشرية يتهمون أم المؤمنين عائشة تارة بالكفر وتارة بالنفاق، فكيف جاز لرسول الله أن يبقيها زوجة له؟!

وقد روى الحر العاملي عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ في قوله تعالى ﴿وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ﴾ يقول: من كانت عنده امرأة كافرة، يعني على غير ملة الإسلام وهو على ملة الإسلام فليعرض عليها الإسلام، فإن قبلت فهي امرأته وإلا فهي بريئة منه، فنهى الله أن يستمسك بعصمتها)(٤٩٩).

فأم المؤمنين عائشة إن كانت كافرة أو مرتدة أو منافقة - برأها الله من هذا الإفك - ففي جميع الحالات كان من الواجب تطليقها التزاماً لكتاب الله، اللهم إلا إذا كان رسول الله المبلّغ عن الله لم يعلم نفاقها أو ردتها وعلمه علماء الشيعة، فتلك مسألة أخرى!

وقد ذكر لي أحدهم أنّ عائشة موسومة بأنها رأس الكفر بنص رسول الله!

فقلنا: هات ما عندك.

فجاء بحديث البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: (قام

---

(٤٩٨) سورة الممتحنة آية ١٠

(٤٩٩) وسائل الشيعة ٢٠/ ٥٤٢

النبي ﷺ سلم خطيباً فأشار نحو مسكن عائشة، فقال: هنا الفتنة ثلاثاً من حيث يطلع قرن الشيطان)[٥٠٠].

فقلنا له: أين الشاهد؟

قال: إنّ رسول الله ﷺ قد وصفها بأنها قرن الشيطان حينما أشار إلى مسكنها.

فقلت له: هناك فرق في اللغة العربية بين (نحو) وبين (إلى) والحديث فيه (فأشار نحو بيت عائشة) لا (فأشار إلى بيت عائشة)، وهذا أمر يدركه من له أدنى معرفة باللغة العربية، لكن يبدو أنّ بغضك وحقدك على أم المؤمنين عائشة جعلك تتناسى ذلك.

ولأتناسى معك هذا ولأسألك سؤالاً يُجلي لك الحقيقة أقول فيه: (أترى رسول الله ﷺ يُشير إلى بيت عائشة وإلى كونها قرن الشيطان ثم يُساكنها في بيت واحد وفي حجرة واحدة؟)، لأنسى أم المؤمنين عائشة التي افتريت عليها ولأسألك (أهذه قيمة رسولنا محمد ﷺ في نظرك؟ يرتضي المبيت مع امرأة بهذا المستوى؟).

والله لو حكّمت عقلك لا هواك لما نطقت بهذه الضلالة.

والحديث الذي ذكرته قد ورد عن عبد الله بن عمر كذلك بصيغة أخرى تبين أنّ المراد من الإشارة نحو بيت عائشة إنما هو الإشارة إلى المشرق وما عُرف في أرض المشرق من الفتن والقلاقل التي أنهكت الأمة، فالقدرية والخوارج والشيعة السبئية والكيسانية والمعتزلة والمرجئة وغيرهم كلهم قد خرجوا من جهة المشرق[٥٠١].

---

(٥٠٠) رواه البخاري ٣/ ١١٣٠

(٥٠١) ولا يعني ذلك أن لا يخرج في تلك الأراضي الأئمة والعلماء والصالحون فهؤلاء معلومون لكن القصد هو الإشارة إلى الصفة الغالبة لتلك الأراضي.

فقد روي عن عبد الله بن عمر أنه قال: (رأيت رسول الله ﷺ يشير إلى المشرق، فقال: ها إنّ الفتنة ها هنا، إنّ الفتنة ها هنا، من حيث يطلع قرن الشيطان)[٥٠٢] . ثم أليس بيت عائشة هو بيت رسول الله كذلك ؟!

إنّ هؤلاء الطاعنين لم يتناسوا القيم والأخلاق مع رسول الله ومع زوجاته وأصحابه فقط بل تناسوا قول الله عن نبيه ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾[٥٠٣] فإذا كانت زوجته رمزاً للخيانة وكذا أصحابه فأي ذكر يذكر به الذاكرون محمداً عليه الصلاة والسلام؟!

حوار حاسم في القضية

طلبني أحد الشيعة يوماً للحوار معه عن صحابة رسول الله وعن عمر بن الخطاب على وجه الخصوص.

فقلت له: لنختصر الكلام، حتى لا أضيع وقتي ووقتك، دعني أسألك أسئلة من شأنها أن تضع النقاط على الحروف في هذه المسألة.

قال: تفضل.

قلت: ألم يدعنا الرسول عليه الصلاة والسلام إلى اختيار الزوجة الصالحة وإلى مصاهرة الكرام من الناس؟

قال: نعم بلا شك.

قلت: هل ترتضي لنفسك أن تصاهر ابن زنا؟

قال: معاذ الله !

---

(٥٠٢) البخاري في صحيحه ٢/ ١١٩٥ وابن حبان في صحيحه ١٥/ ٢٥ وموطأ مالك٢/ ٩٧٥ ومسند أحمد

(٥٠٣) سورة الشرح آية ٤

فقلت له: ها أنتم تدّعون كذباً وبهتاناً على عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان ابن زانية اسمها (صهاك)[٥٠٤]، ويدّعي عالمكم نعمة الله الجزائري بكل وقاحة وخبث أنّ عمر بن الخطاب كان لا يهدأ إلا بماء الرجال[٥٠٥] عياذاً بالله.

وتدّعون أنّ ابنته حفصة كانت منافقة خبيثة كأبيها!

فهل عقلتم وفهمتهم ما لم يفهمه رسول الله؟!

أترى رسول الله يصاهر أبناء الزنا؟!

أو يرتضي لنفسه امرأة فاسدة منافقة؟!

والله إنكم لتفترون على رسول الله وعلى الصحابة.

ترتضون لرسول الله ولصحابته ما لا ترضونه لأنفسكم.

فقال: وماذا عن عائشة وخروجها على الإمام علي عليه السلام؟

فقلت: مع أنّ كلامنا عن عمر وليس عن أم المؤمنين عائشة[٥٠٦]، إلا أنّ الكلام ذاته يُقال ها هنا.

لن أتكلم عن عائشة هل أخطأت أم لم تخطئ، بل سأقول لك بكل وضوح: إنّ رسول الله ﷺ الذي أخبر عن خروجها على علي بن أبي طالب في حديث الحوأب المروي عند السنة والشيعة هو نفسه الذي رضي بها زوجة له وأحبها وقرّبها إليه.

---

(٥٠٤) الكشكول للبحراني ٣/ ٢١٢ وكتاب (لقد شيعني الحسين) ص١٧٧

(٥٠٥) الأنوار النعمانية ١/ ٦٣

(٥٠٦) حتى عائشة رضي الله عنها لم تسلم من الطعن الصريح في عرضها وشرفها، ذكر القمي في تفسيره ٢/ ٣٩٤ لقوله تعالى: ﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما﴾ قول الإمام (والله ما عني بقوله ﴿فخانتاهما﴾ إلا الفاحشة، وليقيمن الحد على فلانة فيما أتت في طريق، وكان يحبها فلما أرادت أن تخرج إلى . . . قال لها فلان لا يحل لك أن تخرجي من غير محرم. .) والمراد بفلانة كما بين ذلك المجلسي هي عائشة، والمراد بالطريق خروجها إلى العراق والمراد بفلان الذي يحبها كما يدّعي هذا المجرم هو طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه.

فهل كان رسول الله ﷺ مخطئاً حينما ارتضاها لنفسه وأحبها وهو يعلم أنها ستختلف مع علي وسيدور بينهما قتال؟

هل أنك أكثر ورعاً من رسول الله كي تنزه نفسك عن الزواج من مثيلاتها وهي الطاهرة النقية التي اختارها رسول الله ﷺ لتكون رفيقة دربه في حين أنك تنسب لرسول الله ما تنزه نفسك عنه؟!

هل أنت أتقى وأنقى وأورع وأعقل من رسول الله الذي استبقاها معه حتى وفاته؟!

فصمت الرجل ولم يستطع أن يقول شيئاً.

وكيف لعاقل أن ينطق بغير هذه الحقيقة؟!

من مِن هؤلاء الشتامين اللاعانين يجرؤ على ادعاء أنه أكثر فهماً وإدراكاً ووزناً للأمور من رسول الله؟

ليأت هذا الرجل وليقلها على الملأ ليعرف الناس حقيقته بدلاً من تعمية الحقائق والطعن المبطن في رسول الله وفي زوجاته وفي أصحابه.

مناقشة بين الإمام علي بن الحسين (زين العابدين) وبين مبغض للصحابة

جاء رجل إلى الإمام علي بن الحسين فقال له: (إني أبغض فلاناً وفلاناً من أصحاب النبي ﷺ، فقال له الامام زين العابدين: (قال تعالى ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۝٨﴾[٥٠٧] (الآية تعني المهاجرين)، قال الامام زين العابدين للرجل: أأنت من هؤلاء؟ قال الرجل: لا، ثم تلا زين العابدين الآية التي بعدها ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن

---

(٥٠٧) الآية كما هو واضح تتحدث عن المهاجرين

قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ الآية تعني الأنصار، فقال الامام زين العابدين: أأنت من هؤلاء؟ قال: لا، ثم تلا الامام زين العابدين الآية التي تليها: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا﴾(٥٠٨) قال الامام زين العابدين: أأنت من هؤلاء؟، قال: أرجو ذلك، قال الامام زين العابدين: ليس من هؤلاء من سب هؤلاء).(٥٠٩)

(٥٠٨) سورة الحشر آية ١٠

(٥٠٩) كشف الغمة ج٢ ص٧٨، وقد رُوي في الكتب مثلها عن الإمام مالك بن أنس.

الصحبة اللغوية والصحبة الشرعية

يخلط كثير من الناس بين إطلاق لفظ (الصحبة) في اللغة، وبين إطلاقه في الشرع، وهذا الخلط أحد الأسباب الرئيسية التي جعلتهم يستبيحون الطعن بأصحاب محمد عليه الصلاة والسلام باسم الموضوعية وباسم النقد العلمي بل باسم الدفاع عن الدين !

ولنقف قبل الخوض في موضوع الصحابة عند مفهوم الصحبة لنضع النقاط على الحروف ونجلي الصورة لكل من ألقى السمع وهو شهيد.

فالصحبة في اللغة واسعة النطاق، تشمل الصحبة الحقيقية من ملازمة ومصاحبة وتشمل كذلك الصحبة المجازية التي قد تُطلق مثلاً على اثنين بينهما قرون كثيرة مثل قول النبي عليه الصلاة والسلام لزوجتيه (أنتن صواحب يوسف)، وعلى من تمذهب بمذهب معين كقول القائل (أصحاب الشافعي، أصحاب أحمد . . .) وكقول المجتهدين من العلماء عن نظرائهم من علماء المذهب ذاته الذين سبقوهم بقرون (قال أصحابنا)، وقد تُطلق ويُراد بها المعية فيقال (فلان بصحبة فلان) أي بمعيته.

وقد تُستخدم في الإضافة كأن يُقال (صاحب مال، صاحب علم . . .)، وقد تُطلق ويُراد بها القائم على الشيء كنحو قول الله عز وجل ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾[٥١٠] أي وما جعلنا القائمين على النار إلا ملائكة.

ونظراً لهذا الاتساع في المعنى اللغوي للصحبة جاز أن تُطلق الصحبة اللغوية على الصحبة الحسنة والسيئة والحقيقية والمجازية والكثيرة واليسيرة.

فأُطلقت الصحبة اللغوية على صحبة المؤمن للكافر والعكس كقوله تعالى ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾﴾[٥١١] وقوله تعالى ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾[٥١٢]

---

(٥١٠) سورة المدثر آية ٣١
(٥١١) سورة الكهف آية ٣٧
(٥١٢) سورة الكهف آية ٣٤

ويجوز في اللغة إطلاق لفظ (الصحبة) على المنافقين كقول النبي عليه الصلاة والسلام في قصة المنافق عبد الله بن أبي بن سلول عندما طلب الصحابة من النبي ﷺ أن يقتله فلم يقبل النبي ﷺ وذكر لهم السبب وهو (حتى لا يتحدث الناس أنّ محمداً يقتل أصحابه)[٥١٣]، وعبد الله بن أبي سلول لا يعتبر صاحبياً لأنه منافق، لكن أُطلق عليه لفظ الصحبة هنا لأمرين:

الأول: إطلاق لغوي والإطلاق اللغوي لا يُعتبر فيه الإيمان من النفاق

الثاني وهو الأهم: أنّ رسول الله ﷺ قال (حتى لا يتحدث الناس) والناس المشار إليهم هنا هم فئة مقابلة للصحابة، والقرآن الكريم حينما يخاطب أهل الإيمان كان يخاطبهم بقوله ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ وحينما كان يوجه الكلام للكفار أو للناس مؤمنهم وكافرهم كان خطابه ﴿يا أيها الناس﴾، والكفار هم أكثر الناس حرصاً على الطعن في رسول الله ودعوته ولذلك حينما يقتل النبي ﷺ عبد الله بن أبي سلول، فلن يقول الكفار بأنه قد قتل منافقاً يستحق القتل بل سيُقال (إنّ محمداً يقتل أصحابه) حتى يصدوا الناس عن قبول هذه الدعوة ومن الالتفاف حول رسول الله ﷺ.

ويجوز في اللغة إطلاق الصحبة على العدو كقوله عليه الصلاة والسلام (إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار، فلما سألوه: هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: إنه كان حريصاً على قتل صاحبه).[٥١٤]

ويجوز إطلاق الصحبة في اللغة على من التقيت به مرة واحدة كقول

---

(٥١٣) نص الحديث كما رواه البخاري ومسلم وغيرهما أنّ جابراً رضي الله عنه قال (كنا في غزاة قال سفيان مرة في جيش فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمع ذاك رسول الله ﷺ فقال: ما بال دعوى الجاهلية، قالوا: يا رسول الله، كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال: دعوها فإنها منتنة، فسمع بذلك عبد الله بن أبي فقال: فعلوها، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فبلغ النبي ﷺ فقام عمر فقال: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: دعه، لا يتحدث الناس أنّ محمداً يقتل أصحابه).

(٥١٤) رواه البخاري

النبي عليه الصلاة والسلام (البيعان بالخيار ما لم يتفرقا أو يقول أحدهما لصحابه اختر وربما قال أو يكون بيع خيار)[٥١٥]، فسمى المشتري صاحب مع أنه قد يلتقي مرة واحدة مع البائع ويشتري منه السلعة.

ويجوز في اللغة إطلاق لفظة (الصحبة) على من لا يعرف صاحبه ولم يلتق به يوماً كما في حديث عبد الرحمن بن عوف أنه قال: (بينا أنا واقف في الصف يوم بدر نظرت عن يميني وشمالي فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثة أسنانهما تمنيت لو كنت بين أضلع منهما، فغمزني أحدهما فقال: يا عم، هل تعرف أبا جهل، قال: قلت نعم وما حاجتك إليه يا ابن أخي، قال: أخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، قال: فتعجبت لذلك، فغمزني الآخر فقال مثلها، قال: فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يزول في الناس، فقلت: **ألا تريان، هذا صاحبكما الذي تسألان عنه**، قال: فابتدراه فضرباه بسيفيهما حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه، فقال: أيكما قتله، فقال كل واحد منهما: أنا قتلته، فقال: هل مسحتما سيفيكما، قالا: لا، فنظر في السيفين، فقال: كلاكما قتله . .)[٥١٦].

ولهذا لا يُعرف للصحبة اللغوية ضابط، ولو كان الصحابي يُعرف بالصحبة اللغوية لكنا نحن صحابة أيضاً إذ لا يُشترط في اللغة دائماً المصاحبة ولا اللقاء كما في حديث عبد الرحمن بن عوف السابق، ولكان من التقى برسول الله من اليهود والنصارى والمنافقين والمشركين صحابة أيضاً، لأنّ الصحبة اللغوية لا تشترط الايمان.[٥١٧]

---

(٥١٥) رواه البخاري

(٥١٦) رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأحمد في المسند والحاكم في المستدرك.

(٥١٧) أمر آخر لا بد من الإشارة له وهو أنّ الاستناد إلى اللغة في الحكم على الأحكام الشرعية خطأ واضح، تصور لو أنّ رجلاً أنكر الزكاة زاعماً أنّ الزكاة في اللغة تعني النماء ولا تعني الحق المالي المخصوص الذي يخرجه المسلم عند اكتمال النصاب وحلول الحول، وينكر الصلاة (العبادة المخصوصة) قائلاً بأنّ الصلاة في اللغة تعني الدعاء، وعلى هذا المنهج يسير من حكم على صحبة الرسول وصحابته من خلال التعريف اللغوي مهملاً التعريف الشرعي.

ولهذا وضع العلماء تعريفاً خاصاً للصحبة الشرعية يُعرف بها الصحابي من غير الصحابي.

قال ابن حجر العسقلاني في تعريف الصحابي: (من لقي النبي ﷺ في حياته مؤمناً به ومات على الإسلام).(٥١٨)

وقال الشهيد الثاني - من علماء الشيعة الاثني عشرية الكبار - (الصحابي: من لقي النبي ﷺ مؤمناً به، ومات على الإسلام، وإن تخللت ردته بين لقيه مؤمناً به، وبين موته مسلماً على الأظهر .. والمراد باللقاء ما هو أعم من المجالسة والمماشاة ووصول أحدهما إلى الآخر، وإن لم يكالمه ولم يره)(٥١٩)

وشرح التعريف الشرعي للصحابي كالتالي:

(من لقي النبي عليه الصلاة والسلام) يراد به كل من لقي النبي عليه الصلاة والسلام في حياته، أما من رآه بعد موته قبل دفنه ﷺ فلا يكون صحابياً، فأبو ذؤيب الهُذلي الشاعر رأى رسول الله قبل دفنه، لكن من رآه بعد مماته فلا يُطلق عليه مسمى (الصحابي).

وقد استخدم العلماء لفظة (لقي) بدلاً من لفظة (رأى) لأنّ من الصحابة من لقي رسول الله ولم يره كعبد الله بن أم مكتوم كان أعمى.

(مؤمناً) أي يشترط فيمن يُطلق عليه مسمى صحابي أن يكون مسلماً، فمن لقي رسول الله وهو على الكفر سواء أسلم بعد ممات الرسول أو لم يُسلم فلا صحبة له.

أما من لقي رسول الله مؤمناً في حياته ثم ارتد ثم رجع إلى الإسلام بعد موت رسول الله فاختلف العلماء في صحبته هل ترجع له الصحبة بعد التوبة والرجوع إلى الإسلام أم تنتفي عنه.

---

(٥١٨) الإصابة في تمييز الصحابة ١٥٨/١

(٥١٩) الرعاية ص٣٣٩

وقول العلماء (به) قصدوا به أن يكون من لقي رسول الله مؤمناً به لا بغيره، كمن لقيه من مؤمني أهل الكتاب قبل البعثة مثل بحيرى الراهب وورقة بن نوفل وغيرهم، فهؤلاء لا يُقال عنهم صحابة.

(ومات على الإسلام) فمن لقي الرسول مؤمناً به ومات على الردة والعياذ بالله، لا يُقال عنه صحابياً، فلا كرامة له ولا فضل.

شرف صحبة رسول الله

يحلو لبعض الغلاة أن يجعلوا صحبة خير البشر (محمد) ﷺ واللقاء به والجلوس في مجلسه، صحبة مسلوبة القيمة والشرف . . . ويستندون في ذلك إلى التعريف اللغوي للصحبة الذي شمل صحبة المؤمن للكافر وصحبة الرجل لمن لا يعرف !

بل تجرأ المفيد – وهو من كبار علماء الشيعة الاثني عشرية – على تشبيه صحبة الصحابة لرسول الله بصحبة البهيمة للعاقل !

يقول المفيد في احتجاجه (فإنّ اسم الصحبة يُطلق بين العاقل وبين البهيمة، والدليل على ذلك من كلام العرب الذي نزل القرآن بلسانهم لقول الله عز وجل ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ أنهم سمّوا الحمار صاحباً، فقالوا:

إنّ الحمار مع الحمار مطيّة فإذا خلوت به فبئس الصاحب)[٥٢٠].

فصحبتهم لرسول الله عنده لا شرف لها ولا مقدار، فكما أنّ الكافر يصاحب المؤمن، والعاقل يصاحب البهيمة، والحيوان يصاحب الجماد فكذلك حال الصحابة مع خير البشر محمد صلوات الله وسلامه عليه !

ولو سألت عاقلاً ما فضيلة الحجر الأسود لذكر لك من تلك الفضائل أنّ

(٥٢٠) بحار الأنوار ٢٧/٣٢٩

رسول الله ﷺ قد وضعه بيديه الشريفتين، وأنه ﷺ قد قبّله بفمه الطاهر، فيكفيه ذاك شرفاً.

وما قيمة الثوب الذي لبسه رسول الله أو النعل الذي انتعله لقال لك يكفيهما شرفاً أن مسا جسد رسول الله ﷺ.

فكيف بمن صحبه وجالسه وصلى خلفه وربما عانقه يوماً أو دافع عنه بنفسه وأهله وماله؟ هؤلاء عند المفيد وأمثاله بلا قيمة ولا شرف! بل صحبتهم لرسول الله وصحبة البهيمة للعاقل سواء!

وقد ذكر رسول الله ﷺ حديثاً عظيماً يشير به إلى فضل صحبته ﷺ يقول فيه:

(يأتي على الناس زمان، يغزو فئام من الناس فيُقال لهم: فيكم من رأى رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيُفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس، فيُقال لهم: هل فيكم من رأى من صحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيُفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس فيُقال لهم: هل فيكم من رأى من صحب من صحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيُفتح لهم)(٥٢١).

وقد أكدت شرف صحبة الرسول عليه الصلاة والسلام رواية شيعية تُنسب إلى الإمام علي بن أبي طالب ذكرها شيخ الطائفة الطوسي في الأمالي ونصها كالتالي: (عن أبي سعيد الخدري، قال أخبر رسول الله (صلى الله عليه و آله) علياً بما يلقى بعده، فبكى (عليه السلام)، وقال يا رسول الله، أسألك بحقي عليك و قرابتي منك، **وحق صحبتي إياك**، لما دعوت الله (عز وجل) أن يقبضني إليه...)(٥٢٢)

فهذا هو الإمام علي يسأل الرسول عليه الصلاة والسلام بحق هذه الصحبة إلا دعا له، والمتعصبة الذين يدّعون التشيع لهذا الإمام الجليل يقللون من شأن هذه الصحبة ولا يعرفون لها قدرها ومنزلتها.

---

(٥٢١) رواه مسلم (باب فضل الصحابة) حديث رقم ٢٠٨

(٥٢٢) الأمالي للطوسي ص٥٠١

والمرء ليعجب من هؤلاء المتعصبة الذين يرددون دوماً وفي كل حين عبارة (يا ليتنا كنا معكم)، وهم يرجون من كل قلوبهم لو أنهم صحبوا الإمام الحسين عليه السلام في ذهابه للعراق فنصروه وذبوا عنه، فيرى أحدهم في صحبة الحسين ابن رسول الله الشرف والقيمة، في حين يقف عند صحابة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو خير الخلق والنبي الخاتم الذي أُرسل للناس كافة، وتمالأت عليه قوى الكفر فنصره هؤلاء وضحوا بدمائهم وأهليهم، ووقفوا معه في أحلك الظروف، فيجعل هذا المتعصب صحبة هؤلاء لرسولنا الكريم كصحبة البهيمة للعاقل! وقاحة ما بعدها وقاحة.

هذه قيمة صحبة رسول الله وهذه هي فضيلتها عند الغلاة الجفاة . . . فإلى الله المشتكى . . ولا حول ولا قوة إلا بالله . . .

هل في الصحابة منافقون؟

لا أدري كيف يمكن أن ينسب الشيعة الاثنا عشرية النفاق إلى صحابة رسول الله هكذا بكل سهولة وهم يقرأون قول الله تعالى في محكم كتابه العزيز عن المنافقين مخاطباً الصحابة ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾﴾(٥٢٣)؟!

قضية حسمها القرآن بكل وضوح، لكننا لا نزال نجادل فيها ونناقشها.

ولذا تقرر عند العلماء أنّ الصحابي هو من لقي رسول الله ﷺ مؤمناً ومات على الإيمان، أما المنافقون والمرتدون فلا يُطلق عليهم مسمى (الصحابي)، اللهم إلا إذا أُريد بذلك الصحبة اللغوية لا الصحبة الشرعية كنحو قول النبي عليه الصلاة والسلام عن عبد الله بن أبي سلول المنافق (حتى لا يتحدث الناس أنّ محمداً يقتل أصحابه)(٥٢٤).مع علمه أنه منافق مندس بين صفوف المسلمين.

ومن الجهل بمكان أن يدّعي أحدهم أنّ رسول الله ﷺ كان يعدّ عبد الله بن أبي سلول المنافق صاحباً له، **فأنت الذي لا تُقارن برسول الله إيماناً وورعاً وتقوى تتورع أن تعتبر المنافق صاحباً لك فكيف تنسب ذلك إلى خير الخلق وأورعهم وأتقاهم لله؟!**

فتبين من ذلك أنّ رسول الله ﷺ أراد الصحبة اللغوية التي تعارف عليها الناس مؤمنهم وكافرهم دون الصحبة الشرعية التي علمناها من الشرع.

وقد أخبر المصطفى عليه الصلاة والسلام أنّ هناك منافقين مندسون بين

---

(٥٢٣) سورة التوبة آية ٥٦

(٥٢٤) ذكرت تحت عنوان (الصحبة اللغوية والشرعية) نص الحديث كاملاً فليراجع.

الجماعة المسلمة فقال: (في أصحابي اثنا عشر منافقاً، فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ثمانية منهم تكفيهم الدبيلة)[٥٢٥]

وقد قال الله عز وجل في كتابه لصحابة رسول الله ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾﴾[٥٢٦].

أما الشيعة الاثنا عشرية فوجهوا السهام نحو جماهير الصحابة فحكموا عليهم بالردة والضلال والإنقلاب على الأعقاب واستثنوا افراداً قيل إنهم لم ينقضوا العهد.

وهؤلاء الذين تمتدحهم الشيعة الاثنا عشرية لا يقلون عن ثلاثة ولا يتجاوزون السبعة كما بينت الروايات الشيعية:

فقد روى الكليني في الكافي - وهو أهم مراجع الحديث عند الشيعة الاثني عشرية - عن حمران بن أعين قال (قلت لأبي جعفر عليه السلام جُعلت فداك ما أقلنا لو اجتمعنا على شاة ما أفنيناها؟ قال: ألا أحدثك بأعجب من ذلك، المهاجرون والأنصار ذهبوا إلا - وأشار بيده ثلاثة)[٥٢٧] وهؤلاء الثلاثة هم المقداد بن الأسود وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي كما بينت رواية الكشي في رجاله (عن حنان بن سدير عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان الناس أهل الردة بعد النبي صلى الله عليه وآله إلا ثلاثة، فقلت: ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي)[٥٢٨].

وهناك نصوص أخرى تشير إلى أنّ هؤلاء الثلاثة لحق بهم أربعة آخرون

(٥٢٥) رواه مسلم ٤/٢١٤٣

(٥٢٦) سورة النساء آية ٨٨

(٥٢٧) الكافي ٢/ ١٩١ باب قلة عدد المؤمنين

(٥٢٨) رجال الكشي ص٦، الكافي ١٢/ ٣٢١-٣٢٢ مع شرح جامع المازندراني

ليصل عدد المؤمنين في عصر الصحابة عند الشيعة الاثني عشرية إلى سبعة، ولكنهم لم يتجاوزوا هذا العدد، وهذا ما تتحدث عنه الروايات الشيعية حيث تقول (عن الحارث بن المغيرة النصرى، قال: سمعت عبد الملك بن أعين يسأل أبا عبد الله عليه السلام فلم يزل يسأله حتى قال له: فهلك الناس إذا[٥٢٩]؟ فقال: إي والله يا ابن أعين هلك الناس أجمعون، قلت: من في الشرق ومن في الغرب؟ قال: فقال: إنها فتحت على الضلال إي والله هلكوا إلا ثلاثة، ثم لحق أبو ساسان[٥٣٠]، وعمار[٥٣١]، وشتيرة[٥٣٢]، وأبو عمرة[٥٣٣]، وصاروا سبعة)[٥٣٤]

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: كان الناس أهل ردة بعد النبي صلى الله عليه وآله إلا ثلاثة فقلت: ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الأسود وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي رحمة الله وبركاته عليهم، ثم عرف أناس بعد يسير، وقال: هؤلاء الذين دارت عليهم الرحا وأبوا أن يبايعوا حتى جاؤوا بأمير المؤمنين عليه السلام مكرهاً فبايع وذلك قول الله تعالى ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾.[٥٣٥]

---

(٥٢٩) أي: بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام ومبايعة الناس لأبي بكر

(٥٣٠) أبو ساسان اسمه الحصين ابن المنذر

(٥٣١) عمار بن ياسر

(٥٣٢) قال الأردبيلي (شتيرة من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام) جامع الرواة ١/ ٣٩٨

(٥٣٣) قال الأردبيلي (أبو عمرة الأنصاري اسمه ثعلبة بن عمرو من الأصفياء من أصحاب أمير المؤمنين) جامع الرواة ٢/ ٣٨٧

(٥٣٤) رجال الكشي ص٧

(٥٣٥) الكافي (الروضة) حديث رقم ٣٤١ (قال المجلسي: حديث حسن أو موثق (مرآة العقول ٢٦/ ٢١٣-٢١٤)) والبرهان في تفسير القرآن للبحراني ٢/ ١١٥ (سورة آل عمران آية ١٤٤)، وتفسير العياشي ١/ ٢٢٣ ح١٤٨

فكان كل أصحاب رسول الله ﷺ من أهل الردة غير (المقداد وسلمان الفارسي وأبو ذر) ثم أناب إلى الله بعد ذلك (أبو ساسان ثم عمار وشتيرة وأبو عمرة) فصاروا سبعة!

وتؤكد جملة من النصوص الشيعية على أنّ العدد لم يزد على ذلك لفترة من الزمان، قال أبو جعفر: (وكانوا سبعة، فلم يكن يعرف حق أمير المؤمنين عليه السلام إلا هؤلاء السبعة)(٥٣٦)، وكان أبو عبد الله يُقسم على ذلك فيقول (فوالله ما وفى بها إلا سبعة نفر)(٥٣٧)

غير أنّ هؤلاء السبعة أو قُل الأربعة الأبرز فيهم (المقداد وسلمان وعمار وأبو ذر) لم يسلموا من الانتقاص المبطّن.

فعن عمرو بن ثابت قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: إنّ النبي ﷺ لما قُبض ارتد الناس على أعقابهم كفاراً إلا ثلاثة: سلمان والمقداد وأبو ذر الغفاري، إنه لما قُبض رسول الله ﷺ جاء أربعون رجلاً إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقالوا: لا والله لا نعطي أحداً طاعة بعدك أبداً، قال: ولما قالوا إنا سمعنا من رسول الله ﷺ فيك يوم غدير، قال: وتفعلون؟ قالوا: نعم، قال: فأتوني غداً محلقين، قال: فما أتاه إلا هؤلاء الثلاثة، قال: وجاءه عمار بن ياسر بعد الظهر فضرب يده على صدره ثم قال له: ما آن لك أن تستيقظ من نومة الغفلة ارجعوا فلا حاجة لي فيكم، أنتم لم تطيعوني في حلق الرأس فكيف تطيعوني في قتال جبال الحديد، ارجعوا فلا حاجة لي فيكم.(٥٣٨)

---

(٥٣٦) رجال الكشي ص١١-١٢

(٥٣٧) قرب الإسناد للحميري ص٣٨، بحار الأنوار ٢٢/ ٣٢٢، الاختصاص للمفيد ص٦٣

(٥٣٨) الاختصاص ص ٦ وبحار الأنوار ٢٨/ ٢٥٩

وعن ابن عيسى يرفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ سلمان كان منه إلى ارتفاع النهار فعاقبه الله أو وجئ في عنقه حتى صيرت كهيئة السلعة حمراء، وأبو ذر كان منه إلى وقت الظهر فعاقبه الله إلى أن سلط عليه عثمان حتى حمله على قتب وأكل لحم أليتيه وطرده عن جوار رسول الله صلى الله عليه وآله، فأما الذي لم يتغير منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله حتى فارق الدنيا طرفة عين فالمقداد بن الأسود، لم يزل قائماً قابضاً على قائم السيف عيناه في عيني أمير المؤمنين (عليه السلام) ينتظر متى يأمره فيمضي.(٥٣٩)

بل لم يكن التعامل بين هؤلاء النفر على نمط الأخوة المعتادة بين أهل الإيمان الواحد.

ففي رجال الكشي (قال أمير المؤمنين: يا أبا ذر، إنّ سلمان لو حدثك بما يعلم لقلت رحم الله قاتل سلمان)(٥٤٠) وعن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله يا سلمان لو عُرض علمك على مقداد لكفر، يا مقداد لو عُرض علمك على سلمان لكفر)(٥٤١)

وهو تعامل قائم على أساس التقية والكتمان لا على أساس المصارحة والوضوح، فعن جعفر عن أبيه عليه السلام قال: ذكرت التقية يوماً عند علي عليه السلام فقال: إن علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله، وقد آخى رسول الله بينهما فما ظنك بسائر الخلق)(٥٤٢) فحتى تلك الفئة المؤمنة والتي لا تتعدى سبعة نفر تتناكر قلوبها وتتعامل بالتقية مع بعضها البعض.

ثم لحق بركب هذه الفئة من المرتدين التائبين آخرون ذكرهم الكشي

---

(٥٣٩) الاختصاص ص ٩ وبحار الأنوار ٢٨/ ٢٥٩

(٥٤٠) رجال الكشي ص١٥

(٥٤١) رجال الكشي ص١١

(٥٤٢) رجال الكشي ص١٧

نقلاً عن الفضل بن شاذان فقال: (إنّ من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام أبو الهيثم بن التيهان وأبو أيوب وخزيمة بن ثابت وجابر بن عبد الله وزيد بن أرقم وأبو سعيد الخدري وسهل بن حنيف والبراء بن مالك وعثمان بن حنيف وعبادة بن الصامت ثم ممن دونهم قيس بن سعد بن عبادة وعدي بن حاتم وعمرو بن الحمق وعمران بن الحصين وبريدة الأسلمي وبشر بن كثير). [٥٤٣]

فوفقاً لهذه الروايات يتضح للقارئ أنّ الصحابة المؤمنين في العقيدة الشيعة الاثني عشرية - في بداية الأمر - إنما هم ثلاثة (المقداد وسلمان وأبو ذر) والبقية مرتدون أناب بعضهم وتابوا إلى الله فصاروا بعد ذلك في قسم الممدوحين المرضيّ عنهم (الصحابة المؤمنين)!

هذه حقيقة لا يعرفها كثير من عامة الشيعة الاثني عشرية وقد لمست هذا من خلال مناقشتي لكثير منهم . . . يردد بعضهم اسم خزيمة بن ثابت وعماراً وأصحاب بدر الذين قاتلوا مع الإمام علي في صفين دون أن يدري أنّ هؤلاء جميعاً وفقاً لمرويات الشيعة الاثني عشرية كانوا أهل ردة مع باقي الصحابة ثم تابوا وأنابوا ورجعوا إلى الإمام بعد ذلك وأنّ منهم من تأخرت توبته حتى موقعة صفين !

أي أنه كان على الردة طول تلك الفترة لموالاته لأبي بكر وعمر وعثمان!

ومن هؤلاء الصحابي خزيمة بن ثابت (ذو الشهادتين) الذي يفتخر به الشيعة الاثنا عشرية عادة .

ذكر عباس القمي في كتابه (منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل) عن البهائي في (الكامل) قوله أنّ خزيمة بن ثابت وأبا الهيثم الأنصاريين كان جديّين

---

(٥٤٣) رجال الكشي ص٤٠

في نصرة أمير المؤمنين عليه السلام في يوم صفين، وأنه عليه السلام قال: مع أنهما خذلاني في أول أمرهما غير أنهما تابا أخيراً وعرفا سوء ما فعلا!)[٥٤٤]

أما إذا أردنا أن نرى القسم الآخر من الصحابة وهم الذين يعتبرون عند الشيعة الاثني عشرية منافقين أو أرباب مصالح، فتحت هذا القسم يدخل جميع صحابة رسول الله ﷺ باستثناء السبعة الذين أشارت إليهم الروايات.

وهذه الحقيقة لم أكتشفها لوحدي بل قررها علماء الشيعة الاثني عشرية منذ زمن لكن عباراتهم لا تكاد تُذكر للناس حتى يعلموا الحقيقة الغائبة ويُدركوا أي ظلم ظلمه المذهب لأصحاب محمد ﷺ.

يقول يوسف البحراني في كتابه (الشهاب الثاقب في معنى الناصب) بكل صراحة ووضوح: (ويدل على ما قلناه من هذا التفصيل ما سيأتيك في الأخبار بالنسبة إلى أصحاب الصدر الأول أنهم أصحاب ردة، وأنهم لم ينج منهم إلا القليل، ثم رجع بعض الناس بعد ذلك شيئاً فشيئاً).[٥٤٥]

ويقول آية الله العظمى محمد الوحيدي في كتابه إحقاق عقائد الشيعة: (إنّ حديث ارتداد الناس بعد النبي ﷺ من الأحاديث المعتبرة المتواترة، ووجهه أنّ إنكار ضروري الدين والمذهب يوجب الارتداد، فلما كانت الإمامة والخلافة أصلاً من أصول الدين، ومما آتاه الرسول الأكرم ﷺ بالقطع فمن ردّ على الرسول الأكرم ﷺ وأنكر ما جاء به يكون مرتداً بإجماع المسلمين. وهذا معنى ارتداد الناس بعد الرسول ﷺ إلا الثلاثة المذكورة (سلمان وأبوذر والمقداد))[٥٤٦].

والعجب كل العجب في ما قاله عبد الحسين شرف الدين الموسوي في كتابه (الفصول المهمة) عن نظرة الشيعة الإمامية الاثني عشرية للصحابة حيث يقول بكل بساطة ودون أدنى اكتراث لهذه الروايات: (رأي الإمامية في هذه

---

(٥٤٤) منتهى الآمال ص١٧٣

(٥٤٥) الشهاب الثاقب ص٦٣ (الفائدة الأولى)

(٥٤٦) إحقاق عقائد الشيعة ص١٠٨

المسألة أوسط الآراء، إذ لم يفرّطوا تفريط الغلاة، ولا أفرطوا إفراط الجمهور)[٥٤٧]، فبالله عليك، إذا كانت هذه هي الوسطية فكيف يكون الجور والبهتان؟!

ولك أن تتساءل (إذا كان صحابة رسول الله بهذا المستوى بحيث تكون الخيرة في قلة منهم بينما الكثرة الغالبة أرباب مصالح أو منافقون، فعن أي صحابة كان يتكلم القرآن ويمتدحهم غير مرة؟!!)

لا أظن أحداً سيغالط العقل والمنطق فيدّعي أنّ القرآن كان يمتدح تلك القلة القليلة التي لا تتجاوز السبعة فحسب.

لأنّ مجتمعاً فاسداً منقلباً على عقبيه يوجد به قلة صالحة لا يُحكم عليه كله بالخير ولا الصلاح ولا الفلاح، فكيف يتحدث القرآن عن الصحابة واصفاً إياهم بالصلاح والفلاح ومبشراً لهم بالجنة وهم بهذا المستوى؟!!

فها هم أصحاب السبت (اليهود) الذين ذكرهم القرآن كان فيهم الصالح وفيهم المصلح وهم الأقلية، ومع ذلك أتاهم العذاب فنجا الله المصلحين منهم ومسخ الأكثرية الفاسدة وحكم على مجتمعهم بالفساد والخيبة واللعنة إلى يوم الدين.

فقال عز من قائل ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلسَّبْتِ﴾.[٥٤٨]

ولك أن تتساءل أيها القارئ . . . إن كان أهل النفاق بهذه الكثرة وهذه العدّة، وكانت السطوة والكلمة لهم، فكيف انتشر الاسلام وكيف سقطت فارس والروم وفُتح بيت المقدس؟

ثم ما دام هؤلاء هم المنافقون فمالهم لم يتفقوا مع الكفار على القضاء على البقية الباقية التي لا يتجاوز عدد أفرادها عدد أصابع اليد الواحدة أو اليدين.

(٥٤٧) الفصول المهمة ص١٨٩ مؤسسة البعثة - طهران ط١.
(٥٤٨) سورة النساء آية ٤٧

إنّ فئة المنافقين في عهد النبي عليه الصلاة والسلام لم تكن مجهولة في مجتمع المدينة بل كانت فئة مفضوحة مخزية عُلم بعضها بعينه وعُرف البعض الآخر منها بالأوصاف المذكورة في القرآن.

فضحهم الله عز وجل في سورتي (المنافقين، والتوبة) مبيناً حالهم ودسائسهم وما تكنه صدورهم تجاه رسول الله والمؤمنين، وقد سُميت سورة التوبة بالفاضحة والمدمدمة لما أظهرته من صفاتهم ونواياهم وبما أظهرته من حال من قابلهم من المؤمنين.

ومن يقرأ الآيات من قوله تعالى ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾(٥٤٩) إلى قوله تعالى ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ فسيقف على صورة متكاملة لأهل النفاق يستطيع من خلالها أن يميز الخبيث من الطيب.

ويكفينا بياناً لهذ الفرق، كيف فضح الله عز وجل المنافقين أمام الخلائق وبين حقيقتهم للناس بعد ما كان مكرهم سراً وفي الخفاء وذلك في قوله تعالى ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَـٰنَهُمْ ۝٢٩ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَـٰلَكُمْ ۝٣٠﴾(٥٥٠)

والمنافقون معلومون بدليل أنهم بنوا مسجد الضرار فالمسجد معروف ومن بناه معروف .

ولذا جاء تأييد هذا المعنى في تفسير العياشي - وهو من كبار علماء الشيعة الاثني عشرية - تفسيراً لقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ رواية سلام أنه قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام فدخل عليه حمران بن أعين فسأله عن أشياء، فلما هم حمران بالقيام قال لأبي جعفر

---

(٥٤٩) سورة التوبة آية ٤٤

(٥٥٠) سورة محمد آية ٢٩-٣٠

عليه السلام أخبرنا أطال الله بقاك وأمتعنا بك إنا نأتيك فما نخرج من عندك حتى ترق قلوبنا وتسلو أنفسنا عن الدنيا وتهون علينا ما في أيدي الناس من هذه الأموال، ثم نخرج من عندك فإذا صرنا مع الناس والتجار أحببنا الدنيا؟ قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: إنما هي القلوب مرة يصعب عليها الأمر ومرة يسهل، ثم قال أبو جعفر عليه السلام: أما إنّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله قالوا: يا رسول الله تخاف علينا النفاق؟، قال: فقال لهم: ولم تخافون ذلك؟ قالوا: إنا إذا كنا عندك فذكّرتنا روعنا ووجلنا ونسينا الدنيا وزهدنا فيها حتى كأنا نعاين الآخرة والجنة والنار ونحن عندك، فإذا خرجنا من عندك ودخلنا هذه البيوت وشممنا الأولاد ورأينا العيال والأهل والأولاد والمال يكاد أن نحوّل عن الحال التي كنا عليها عندك وحتى كأنا لم نكن على شيء، أفتخاف علينا أن يكون هذا النفاق؟ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: كلا ! هذا من خطوات الشيطان ليرغبنكم في الدنيا، والله لو أنكم تدومون على الحال التي تكونون عليها وأنتم عندي في الحال التي وصفتم أنفسكم بها لصافحتكم الملائكة ومشيتم على الماء ولولا أنكم تذنبون فتستغفرون الله لخلق الله خلقاً لكي يذنبوا ثم يستغفروا فيغفر لهم، إنّ المؤمن مفتن توّاب أما تسمع لقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾(٥٥١) وقال ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾(٥٥٢))(٥٥٣)

لقد أبى الله عز وجل إلا أن يميز الخبيث من الطيّب، وألا يترك الحقيقة معمّاه، كيف وهو القائل ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾(٥٥٤).

يقول محمد مغنية في تفسير هذه الآية: (اندس في صفوف المسلمين منافقون لمجرد الهدم والتخريب، وقد فرض سبحانه على النبي والمسلمين أن

(٥٥١) سورة البقرة آية ٢٢٢
(٥٥٢) سورة هود آية ٣
(٥٥٣) تفسير العياشي ١/١٢٨، الكافي ٢/٤٢٣، مجموعة ورام ٢/٢١٠، بحار الأنوار ٦/٤٢ و٥٧/٦٧
(٥٥٤) سورة آل عمران آية ١٧٩

يعاملوا كل من نطق بكلمة الإسلام معاملة المسلمين، ومن أجل هذا حار رسول الله ! وكيف يقبلهم وهم يفسدون ويعاكسون؟ فقال سبحانه للنبي وللمسلمين: مهلاً، سأسلط عليهم الأضواء حتى يفتضحوا أمام الناس، ولا يبقى لهم منفذ للكيد والإفساد)(٥٥٥)

ويتجلى هذا الافتضاح بما يجريه الله عز وجل من البلاء الشديد حتى تظهر صورهم الحقيقية وتنكشف أمام المؤمنين، قال تعالى ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾(٥٥٦)

و (المراد بالفتنة هنا افتضاح المنافقين على الملأ، وإظهار حقيقتهم لدى الجميع، وذلك بأنّ الله سبحانه كان يخبر نبيه الأكرم بما يبيّتون ويمكرون، وكان النبي ﷺ بدوره يعاتبهم ويفضحهم، وقد تكرر هذا في كل عام مرة أو أكثر)(٥٥٧)

يقول ابن كثير: (وإنما نزلت صفات المنافقين في السور المدنية، لأنّ مكة لم يكن فيها نفاق بل كان خلافه من الناس من كان يظهر الكفر مستكرهاً وهو في الباطن مؤمن، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وكان بها الأنصار من الأوس والخزرج، وكانوا في جاهليتهم يعبدون الأصنام على طريقة مشركي العرب، وبها اليهود من أهل الكتاب على طريقة أسلافهم وكانوا ثلاث قبائل بنو قينقاع حلفاء الخزرج وبنو النضير حلفاء الأوس وبنو قريظة، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة وأسلم من أسلم من الأنصار من قبيلتي الأوس والخزرج وقلّ من أسلم من اليهود إلا عبد الله بن سلام رضي الله عنه ولم يكن إذ ذاك نفاق أيضاً لأنه لم يكن للمسلمين بعد شوكة تُخاف، بل قد كان عليه الصلاة والسلام وادع اليهود وقبائل كثيرة من أحياء العرب

---

(٥٥٥) التفسير المبين (سورة آل عمران آية ١٧٩) ص٧٨
(٥٥٦) سورة التوبة آية ١٢٦
(٥٥٧) التفسير المبين (سورة التوبة آية ١٢٦) ص٢١٢

حوالي المدينة، فلما كانت وقعة بدر وأظهر الله كلمته وأعز الإسلام وأهله، قال عبد الله بن أبي بن سلول وكان رأساً في المدينة وهو من الخزرج، وكان سيد الطائفتين في الجاهلية، وكانوا قد عزموا على أن يملّكوه عليهم فجاءهم الخير وأسلموا واشتغلوا عنه فبقي في نفسه من الإسلام وأهله، فلما كانت وقعة بدر قال: هذا أمر الله قد توجه، فأظهر الدخول في الإسلام، ودخل معه طوائف ممن هو على طريقته ونحلته وآخرون من أهل الكتاب فمن ثم وُجد النفاق في أهل المدينة ومن حولها من الأعراب، فأما المهاجرون فلم يكن فيهم أحد نافق لأنه لم يكن أحد يهاجر مكرهاً بل يهاجر فيترك ماله وولده وأرضه رغبة فيما عند الله في الدار الآخرة)(٥٥٨).

و(إنّ من المعلوم بالاضطرار والمتواتر من الأخبار أنّ المهاجرين هاجروا من مكة وغيرها إلى المدينة، وهاجر طائفة منهم كعمر وعثمان وجعفر بن أبي طالب هجرتين: هجرة إلى الحبشة، وهجرة إلى المدينة، وكان الإسلام إذ ذاك قليلاً والكفار مستولون على عامة الأرض، وكانوا يُؤذون بمكة ويلقون من أقاربهم وغيرهم من المشركين من الأذى ما لا يعلمه إلا الله، وهم صابرون على الأذى، متجرعون لمرارة البلوى، وفارقوا الأوطان، وهجروا الخلان لمحبة الله ورسوله والجهاد في سبيله كما وصفهم الله تعالى بقوله ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾﴾(٥٥٩)

وهذا كله فعلوه طوعاً واختياراً من تلقاء أنفسهم، لم يكرههم عليه مكره، ولا ألجأهم إليه أحد، فإنه لم يكن للإسلام إذ ذاك من القوة ما يُكره به أحد على الإسلام، وكان النبي ﷺ إذ ذاك - هو ومن اتبعه - منهيين عن

---

(٥٥٨) تفسير ابن كثير ١/ ٧٦

(٥٥٩) سورة الحشر آية ٨

القتال، مأمورين بالصفح والصبر، فلم يسلم أحد إلا باختياره، ولا هاجر أحد إلا باختياره.

ولهذا قال أحمد بن حنبل وغيره من العلماء: إنه لم يكن من المهاجرين من نافق، وإنما كان النفاق في قبائل الأنصار لما ظهر الإسلام بالمدينة، ودخل فيه قبائل الأوس والخزرج، ولما صار للمسلمين دار يمتنعون بها ويقاتلون دخل في الإسلام من أهل المدينة وممن حولهم من الأعراب من دخل خوفاً وتقية، وكانوا منافقين.

كما قال تعالى ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾(٥٦٠)

ولهذا إنما ذكر النفاق في السور المدنية، وأما السور المكية فلا ذكر فيها للمنافقين، فإنّ من أسلم قبل الهجرة بمكة لم يكن فيهم منافق، والذين هاجروا لم يكن فيهم منافق، بل كانوا مؤمنين بالله ورسوله، محبين لله ولرسوله، وكان الله ورسوله أحب إليهم من أولادهم وأهلهم وأموالهم.

وإذا كان كذلك علم أنّ رميهم - أو رمي أكثرهم أو بعضهم - بالنفاق، كما يقوله من يقوله من الشيعة الاثني عشرية الإمامية، من أعظم البهتان، وكذلك دعواهم عليهم الردة من أعظم الأقوال بهتاناً، فإنّ المرتد إنما يرتد لشبهة أو شهوة، ومعلوم أنّ الشبهات والشهوات في أوائل الإسلام كانت أقوى، فمن كان إيمانهم مثل الجبال في حال ضعف الإسلام، كيف يكون إيمانهم بعد ظهور آياته وانتشار أعلامه؟!

وأما الشهوة: فسواء كانت شهوة رياسة أو مال أو نكاح أو غير ذلك، كانت في أول الإسلام أولى بالاتباع، فمن خرجوا من ديارهم وأموالهم، وتركوا ما كانوا عليه من الشرف والعز حباً لله ورسوله، طوعاً غير إكراه، كيف يعادون الله ورسوله طلباً للشرف والمال؟!

---

(٥٦٠) سورة التوبة آية ١٠١

ثم هم في حال قدرتهم على المعاداة، وقيام المقتضى للمعاداة، لم يكونوا معادين لله ورسوله، بل موالين لله ورسوله، معادين لمن عادى الله ورسوله، فحين قوى المقتضى للموالاة، وضعفت القدرة على المعاداة، يفعلون نقيض هذا؟! هل يظن هذا إلا من هو من أعظم الناس ضلالاً؟

وذلك أنّ الفعل إذا حصل معه كمال القدرة عليه، وكمال الإرادة له وجب وجوده، وهم في أول الإسلام كان المقتضى لإرادة معاداة الرسول أقوى، لكثرة أعدائه وقلة أوليائه، وعدم ظهور دينه، وكانت قدرة من يعاديه باليد واللسان حينئذ أقوى، حتى كان يعاديه آحاد الناس، ويباشرون أذاه بالأيدي والألسن.

ولما ظهر الإسلام وانتشر، كان المقتضى للمعاداة أضعف، والقدرة عليها أضعف، ومن المعلوم أنّ من ترك المعاداة أولاً، ثم عاداه ثانياً لم يكن إلا لتغير إرادته أو قدرته.

ومعلوم أنّ القدرة على المعاداة كانت أولاً أقوى، والموجب لإرادة المعاداة كان أولاً أولى، ولم يتجدد عندهم ما يوجب تغير إرادتهم ولا قدرتهم، فعُلم علماً يقيناً أنّ القوم لم يتجدد عندهم ما يوجب الردة عن دينهم البتة، والذين ارتدوا بعد موته إنما كانوا ممن أسلم بالسيف، كأصحاب مسيلمة وأهل نجد، فأما المهاجرون الذين أسلموا طوعاً فلم يرتد منهم - ولله الحمد - أحد).[561]

---

(٥٦١) مع الشيعة الإثني عشرية ص٢٩٠-٢٩١ نقلاً عن مجموع الفتاوى بتصرف

علامة قف ...

إنه لا يمكن لأحد أن يثبت تواتر القرآن أو السنة النبوية إلا عن طريق الصحابة، ولن يستطيع إثبات أنّ القرآن الذي بين أيدينا هو نفسه الذي أُنزل على محمد دون الرجوع إلى الصحابة.

وإذا ما وجهت السهام إلى نقلة القرآن ونقلة السنة النبوية وقُدح في ذممهم وفي دينهم سقط اعتبار ما نقلوه وتطرق إليه الشك.

ولهذا قال الإمام أبو زرعة الرازي: (إذا رأيت الرجل يتنقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أنّ رسول الله ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أُدي إلينا هذا القرآن والسنن: أصحاب رسول الله ﷺ وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا، ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة)[٥٦٢].

كلمات ثقيلة العبارة . . . شديدة الألفاظ . . . لكن أبا زرعة لا يتصور من مسلم ينطق بالشهادتين ويؤمن بالقرآن وبسنة نبيه أن يشكك ويطعن في من نقل إليه هذا القرآن وهذه السنة ثم يدّعي بعد ذلك أنه مسلم يحب الإسلام ويقدّس القرآن والسنة!

إنّ الشيعة الاثني عشرية حينما يطعنون في عدالة الصحابة ويجرحونهم الليل والنهار لا يستطيعون أن يثبتوا بالمقابل تواتر القرآن الكريم من طريق غير طريق الصحابة، لأنّ من جمع القرآن هو أبو بكر والصحابة (الجمع الأول) ثم عثمان بن عفان والصحابة (الجمع الثاني)، فإن كان هؤلاء منافقين فليبحث الشيعة حينئذ عن قرآن آخر!

أريد بهذه الكلمات أن أنبهك يا من زلّت قدمه في هذا المعترك لتدرك أنّ الطريق الذي تسير فيه يعني الطعن الصريح في كتاب الله وفي سنة رسول الله من حيث لا تشعر.

---

(٥٦٢) الكفاية ص٤٩

والطعن في الصحابة أيسر الطرق الموصلة إلى الطعن في كتاب الله الذي جمعوه ونقلوه، والطعن في كتاب الله كفر مخرج من الملة[٥٦٣].

هذا إن تناسينا أنّ الطعن في الصحابة في حقيقته طعن صريح في النصوص القرآنية التي امتدحتهم وبشرتهم بالجنان.

والطعن في الصحابة يفضي كذلك إلى الطعن في المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي (السنة النبوية) لأنهم رواة هذه السنة[٥٦٤].

وبهذا لا يُبقي لنا الطاعنون في الصحابة لا قرآناً ولا سنة نتعبد الله بهما!

فالقرآن نقله المرتدون المنقلبون على أعقابهم والسنة كذلك . . . فعلى أي شيء يقوم الدين حينئذ؟!

ولهذا حينما كنت أتصفح كتب الحديث عند الشيعة الاثني عشرية كنت أستغرب من ندرة الأحاديث المروية عن رسول الله في مقابل الأحاديث المروية عن الإمام علي أو الإمامين الباقر وجعفر الصادق !

من هو رسول الله بالضبط وما هي مكانته في المذهب الشيعي الإثني عشري وأين تعاليمه طالما حلّ محله غيره بهذا الشكل وصارت الكلمة للأئمة لنبي الأئمة وإمامهم!

حاول بنفسك أن تتصفح أهم كتب الحديث عند الشيعة الاثني عشرية (الكافي، من لا يحضره الفقيه، تهذيب الأحكام، الاستبصار وغيرها) لترى قلة

---

(٥٦٣) ولذلك نجد أنّ علماء الشيعة لا يتحرجون من القول أنّ اثبات تحريف القرآن من عدمه ليس من ضروريات الدين!! بل من قال بالتحريف عندهم لا يكفر، ومردّ ذلك إلى أنهم يقولون أنّ القرآن مقدّس ولكن من أدّاه إلينا متواتراً منافقون!!

(٥٦٤) والعجيب أنّ فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لا تثبت إلا بروايات الصحابة المنافقين عند الشيعة، ولن تجد رواية واحدة متواترة في فضيلة واحدة بأسانيد شيعية بحتة بدء بالصحابي الممدوح عندهم وانتهاء بالمصنف!

أحاديث رسول الله ﷺ مقارنة بأحاديث الإمامين الباقر والصادق، وتأمل كيف صارت سنة محمد ﷺ مهمشة في هذه الكتب وصار الأصل هو سنة الإمام !

حتى الأحاديث القليلة المروية عن رسول الله لا يخلو الكثير منها من حيث السند من ضعف، فلو أمسكت كتب الجرح والتعديل عند الشيعة الاثني عشرية ورحت تحقق وتراجع كل رواية من تلك الروايات فستتضح لديك هذه الحقيقة التي للأسف الشديد لم أر من أشار إليها حتى من علماء أهل السنة - فيما أعلم-!

بينما تتصفح كتب الحديث عند أهل السنة وتشعر بالفرق الواضح حينما تعيش مع رسول الله ﷺ في أقواله وعباراته وأوصافه، وتجد أنّ كلمات رسول الله هي الأصل وأنه الجوهر وكلمات غيره ثانوية يؤخذ منها ويُرد.

هذه حقيقة لا أدّعيها والله تعصباً . . لكني لمستها بالفعل وعبّرت عنها لمن أعرفه من الشيعة الاثني عشرية.

عدالة الصحابة

لكي تحاكم عقيدة ما لا بد أن تدرك معنى ومفهوم ما تحاكمه، والجعجعة والصياح لغة سهلة يستطيع أي أحد تبنيها في حواره معك وبالذات حول قضية مثل قضية (عدالة الصحابة).

كلما ناقشت أحداً حول هذه القضية رأيته يتكلم بثقة بالغة وكأنه فهم ما لم يفهمه الأكابر، يقول لك: (إنكم تدّعون أنّ الصحابة عدول، وفلان شرب الخمر وأُقيم عليه الحد لذلك، وفلان فعل كذا وكذا، فأين العدالة؟!) ثم تعلوه ابتسامة المنتصر، وكأنّ ما ذكره حجة بالغة وحقيقة واضحة!

جرب أن تسأله عن مفهوم كلمة (العدالة) ما معناها أصلاً؟

الكثير لا يعرف مفهوم هذه الكلمة لكنه يحاجج ويناقش بما يتلقى ويسمع، وهذه هي المصيبة وبالذات حين يكون الحوار عن أناس صحبوا رسول الله وجاهدوا معه ورووا عنه!

كنت أتصفح الكتب الشيعية التي تنتقد مبدأ (عدالة الصحابة) وكنت أجد المفهوم ذاته الذي ينطق به العامي المحاور هو ذاته الذي تنطق به تلك الكتب، يحاول هؤلاء المؤلفون أن يجعلوا للعدالة تعريفاً صعباً للغاية لا يستطيع تصوره الشيعي في أفضل الناس علماً وإيماناً عنده (وهم مراجع التقليد) فكيف بمن يُنظر إليهم أنهم بدّلوا وغيّروا بعد رسول الله!

يكفي أنّ تعريف العدالة الذي يتبناه اليوم كثير من علماء الشيعة الاثني عشرية وهو (ملكة نفسية راسخة تبعث على ترك الكبائر واجتناب الصغائر وترك خوارم المروءة)، قد قال فيه المجلسي - وهو من كبار علماء الشيعة الاثني عشرية - (اعلم أنّ المتأخرين من علمائنا اعتبروا في العدالة الملكة وهي صفة راسخة في النفس تبعث على ملازمة التقوى والمروّة، ولم أجدها في

النصوص ولا في كلام من تقدّم على العلامة (أي الحلي) من علمائنا ولا وجه لاعتبارها). (٥٦٥)

فإذا كان التعريف الذي يحاجج به الشيعة الاثنا عشرية اليوم ويشككون في عدالة الصحابة من أجله ليس مقبولاً عند المتقدمين من علمائهم (الأقرب زمناً وارتباطاً بالأئمة) الذين سبقوا العلامة الحلي وليس مقبولاً كذلك عند بعض المتأخرين أمثال المجلسي ويوسف البحراني وغيرهم، فعلى أي أساس تتم المحاجة به بل ويُقاس به أصحاب محمد ﷺ؟!

على أي حال، مفهوم العدالة لا يدركه كثير من الناس ولذلك ينبغي قبل الخوض في أدلة أو واقعية العدالة أن نتعرض إلى مفهوم العدالة التي يعنيها أهل السنة.

فالعدالة الذي يذكرها العلماء إما أنّ تكون عدالة رواية أو عدالة سيرة.

وعلماء أهل السنة والجماعة كان تنصيصهم في الكتب على عدالة الصحابة متناولاً لعدالة الرواية، وإن كانت عدالة السيرة ثابتة للصحابة لتزكية الله لهم ورضاه عنهم - وهو ما سنناقشه فيما بعد.

يقول اللكنوي رحمه الله: (وقد تُطلق العدالة على التجنب عن تعمد الكذب في الرواية والانحراف فيها بارتكاب ما يوجب عدم قبولها، وهذا المعنى هو مراد المحدّثين من قولهم: الصحابة عدول.

فقد قال السخاوي في فتح المغيث: قال ابن الأنباري: ليس المراد بعدالتهم ثبوت العصمة لهم واستحالة المعصية منهم، وإنما المراد قبول

---

(٥٦٥) بحار الأنوار ٨٥/ ٣٠-٣١

رواياتهم من غير تكلّف البحث عن أسباب العدالة وطلب التزكية إلا أن يثبت ارتكاب قادح ولم يثبت ذلك. انتهى.

وقال العلامة الدهلوي مؤلف (التحفة الاثنا عشرية) وغيرها: في بعض إفاداته: إنّ ما تقرر في عقائد أهل السنة أنّ الصحابة كلهم عدول قد تكرر ذكره غير مرة، ووقع في البحث والتفتيش عن معناه حضرة الوالد المرحوم[٥٦٦] فتنقّح بعد البحث أنّ المراد بالعدالة في هذه الجملة ليس معناها المتعارف بل المراد العدالة في رواية الحديث لا غير، وحقيقتها التجنب عن تعمد الكذب في الرواية والانحراف فيها، ولقد تتبعنا سيرة الصحابة كلهم حتى من دخل منهم في الفتنة والمشاجرات، فوجدناهم يعتقدون الكذب على النبي ﷺ أشد الذنوب، ويحترزون عنه غاية الاحتراز كما لا يخفى على أهل السير).[٥٦٧]

ولهذا النوع من العدالة شاهد من كلام أهل البيت في كتب الشيعة الاثني عشرية ولكنه للأسف غير مطبّق على أرض الواقع رغم كونه مسطراً في أهم وأوثق كتاب للشيعة في الحديث!

روى الكليني في الكافي عن منصور بن حازم قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما بالي أسألك عن المسألة فتجيبني فيها بالجواب ثم يجيئك غيري فتجيبه فيها بجواب آخر؟ فقال: إنا نجيب الناس على الزيادة والنقصان، قال: **قلت: فأخبرني عن أصحاب رسول الله ﷺ صدقوا على محمد أم كذبوا؟ قال: بل صدقوا**، قال: قلت فما بالهم اختلفوا؟ فقال: أما تعلم أنّ الرجل كان يأتي رسول الله ﷺ فيسأله عن المسألة فيجيبه فيها بالجواب ثم يجيبه بعد ذلك ما ينسخ ذلك الجواب فنسخت الأحاديث بعضها بعضاً)[٥٦٨]

(٥٦٦) ولي الله الدهلوي مؤلف كتاب (حجة الله البالغة)
(٥٦٧) ظفر الأماني في مختصر الجرجاني للكنوي ص٥٠٦-٥٠٧
(٥٦٨) الكافي (الأصول) ج١ ص٥٢ كتاب فضل العلم

عدالة السيرة لا تعني العصمة

إنّ القول بعدالة سيرة الصحابة رضوان الله عليهم لا يعني أنهم معصومون من المعاصي والمخالفات، أو أنهم لا يخطئون ولا يغلطون، بل هم كسائر الناس من بني آدم في الطبائع والنقص البشري لقول النبي ﷺ (كل ابن آدم خطاء، وخير الخطّائين التوّابون)(٥٦٩).

وقال عليه الصلاة والسلام: (إن تغفر اللهم، تغفر جمّاً، وأي عبد لك ما ألمّا)(٥٧٠)

وفي صحيح مسلم عنه عليه الصلاة والسلام قوله (لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم آخرين فيذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم).

فصدور الذنوب من البشر له حكمة بالغة، وسر إلهي في نظام هذا الكون، وما من اسم لله عز وجل إلا وله تصرف خاص في هذا الخلق.

والواقع يصدّق ما قلناه في الصحابة رضي الله عنهم، فإنهم قد صدرت منهم معاصي ومن بعضهم كبائر كالغامدية التي زنت ورجمها رسول الله ﷺ، وكالرجل الذي كان يشرب الخمر و يؤتى به إلى رسول الله فيقيم عليه الحد والمخزومية التي سرقت وحاطب بن أبي بلتعة الذي أخبر قريشاً بقدوم النبي عليه الصلاة والسلام فاتحاً وهؤلاء تابوا إلى الله عز وجل إما باستغفار وإنابة إلى الله عز وجل أو بإقامة حد دنيوي، ولذلك فالحديث عنهم بسوء أو استغلال هذه المعاصي التي تابوا منها لا في القدح فيهم فحسب بل لنقض عدالة غيرهم هو من الظلم البيّن بل من التجني!

وما ذكرناه من كبائر اقترفها بعض هؤلاء الصحابة فإنهم إما ألحقوها بحد يكفّر المعصية كما حصل للغامدية والمخزومية، فالحدود كما قال عليه

---

(٥٦٩) رواه أحمد والترمذي

(٥٧٠) رواه الترمذي بسند صحيح

الصلاة والسلام مكفّرات أو أنها دخلت من باب قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ كما حصل مع حاطب بن أبي بلتعة إذ شعر بالذنب والأسى على ما فعل فجاءت مشاركته في غزوة بدر التي أعز الله بها الإسلام لتشفع له زلته ويتوب الله عليه، وبيّن رسول الله الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى فضيلة هذا الرجل وغفران الله عز وجل له زلته.

ولذلك قال المجلسي - وهو من كبار علماء الشيعة الاثني عشرية كما أسلفنا - ما نصه: (وإذا زالت العدالة بارتكاب ما يقدح فيها فتعود بالتوبة بغير خلاف ظاهراً، وكذلك من حُدّ في معصية ثم تاب رجعت عدالته وقُبلت شهادته، **ونقل بعض الأصحاب إجماع الفرقة على ذلك)**.[٥٧١]

قلت: ما دامت هذه القضية مجمع عليها عند الشيعة الاثني عشرية، ومن تاب أو حُدّ في معصية رجعت له العدالة، فلماذا يستمر مسلسل الطعن في عدالة الصحابة ويُعرض هؤلاء الصحابة كمثال للفساق - عياذاً بالله؟!

محمد حسين فضل الله ومفهوم العدالة

من يتمسك بالنصوص الدالة على خطأ الصحابة أو على ذنب اقترفه أحدهم يغالط نفسه . . . إذ كل عدل يذنب وإلا كان معصوماً !

ولذا رأينا هذه الحقيقة واضحة في إجابة السيد محمد حسين فضل الله - وهو مرجع تقليد كبير عند الشيعة الاثني عشرية الإمامية - على تساؤل وجهه له أحد مقلديه قائلاً:

(م-٤٥٠ يتوهم بعض الناس أنّ العدالة من الأمور التي يصعب إدراكها والتعرف عليها، وكثيراً ما يطلب الناس في إمام الجماعة صفات تقرّب من العصمة، فكيف نتثبت من عدالة الإمام، وهل يكفي ذكر أهل بلده له بالخير وكمال الدين . . . رغم أنّ المخبرين ليسوا عدولاً؟

---

(٥٧١) بحار الأنوار ٨٥/ ٣٠-٣١

أجاب فضل الله بقوله (العدالة ليست العصمة . . . فقد يعصي المؤمن العادل ثم يتوب بعد انتباهه لذلك، على هدى قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾، أما كيف تثبت العدالة، فذلك بحسن الظاهر في سلوكه العام في المجتمع، بحيث يرى الناس فيه الإنسان المستقيم في دينه وفي أخلاقه الفردية أو الاجتماعية المرتبطة بالحدود الشرعية، كما تثبت بالشياع المفيد للعلم أو الاطمئنان وبخبر الثقة بعدالته، ولا قيمة لخبر الفاسق في العدالة سلباً أو إيجاباً)[٥٧٢]

قلت: وهذا ما يقوله أهل السنة في صحابة رسول الله . . . لا يقولون بعصمتهم بل يقولون بأنهم مؤمنون يذنبون ويتوبون . . . فلماذا تُعطى قضية عدالة الصحابة أكبر من حجمها الطبيعي؟ وما الغرض من إثارة هذه القضية وعلماء الشيعة الاثني عشرية يعلمون أنّ القول بالعدالة لا يعني القول بالعصمة وإنما الاستقامة؟!

بعض متعصبة أهل السنة أساءوا لمفهوم (العدالة)

وهذه حقيقة لا يستطيع أحد إنكارها . . .فبعض المتعصبة لما رأوا ما في كلام الشيعة الاثني عشرية من الطعن في أصحاب رسول الله والقول بردتهم ورأوا السباب والشتائم والأدعية المتضمنة للعن الشيخين أبي بكر وعمر[٥٧٣]، ورأوا بالمقابل عبارات مُجملة لقدماء علماء أهل السنة في التنصيص على عدالة الصحابة بجُملتهم، تمسكوا بحرفية تلك العبارات دون فهم المراد منها والتفصيل اللازم لها، فصار هؤلاء يشنعون على من يضع الأمور في نصابها، وقد ساهم هؤلاء المتعصبة للأسف الشديد في إيجاد فجوات وثغرات في موضوع عدالة الصحابة، حتى اعترى بعض العامة الشك

(٥٧٢) المسائل الفقهية ص١٧٤ الجزء الثاني

(٥٧٣) كدعاء صنمي قريش

في عدالة صحابة نبيهم ووجدوا إلى ذلك سبيلاً ما كانوا ليجدونه لو التزموا الفهم الصحيح لمفهوم العدالة.

فالقول بعدالة سيرة الصحابة إجمالاً لا يعني خروج الآحاد منهم عنها لأدلة شرعية أو لفسق ظاهر لا يحتمل التأويل وإحسان الظن بهم.

ولنأخذ مثالاً على ذلك فنقول: لو أنك قلت (كل أهل السودان طيبين) فلا يعني قولك هذا أنك إن مررت في حياتك بسوداني غير طيب أنّ ذلك يعني انتقاض القاعدة، فلكل قاعدة استثناءات ولا عيب في هذا إلا عند المتشددين من الناس.

وكذلك الحال فيما لو قال رجل بأنّ (كل أهل الجزائر كرماء)، فوجدت بخيلين أو ثلاثة مثلاً قد خرجوا عن القاعدة لأسباب خاصة فلا يعني ذلك نقض القاعدة في أهل الجزائر جميعاً!

ومشكلة متعصبة أهل السنة أنهم يتصورون أنّ خروج أحد من الصحابة عن قاعدة العدالة لنص شرعي ورد فيه قد يؤثر على مبدأ العدالة، فيتعصبون جهلاً لمفهوم العدالة فيردون النص الشرعي أو ربما يقبلونه ولكنهم يعطلون معناه، فلا يخرجون ذاك الصحابي من العدالة رغم تبشير الرسول ﷺ له بالنار أو حكمه عليه بالفسق !

وهؤلاء يحسبون أنهم يحسنون صنعاً بصنيعهم هذا، ولا يدركون أي جُرم ارتكبوا في حق أصحاب رسول الله وفي حق الناس.

فبسبب تعصبهم وانغلاق عقولهم أمام الحقائق الجلية وجد الطاعنون في الصحابة سبيلاً للطعن وفي استغلال ما ورد في الظالمين والفاسقين لصبه في محيط حسنات الصالحين والصالحات!

وأهل السنة والجماعة وسط بين طرفي الغلو، لا يرتضون الطعن في صحابة رسول الله ولا أمهات المؤمنين ولكنهم مع ذلك يدينون الله بما صح وثبت عن رسول الله ﷺ في أشخاص أساءوا الصحبة.

ولنأت بمثال حي لما نذكره:

- كركرة:

روى البخاري عن عبد الله بن عمرو قال: (كان على ثقل النبي ﷺ رجل يقال له كركرة، فمات فقال رسول الله ﷺ (هو في النار)، فذهبوا ينظرون إليه فوجدوا عباءة قد غلها[٥٧٤])[٥٧٥].

قال الحافظ ابن حجر: (وقوله "هو في النار" أي يعذب على معصيته، أو المراد هو في النار إن لم يعف الله عنه)[٥٧٦].

فأما المتعصبون فسيكونون فريقين، فريق يتعصب للعدالة دون النص فيجعل كركرة عدلاً مع دخوله النار !، وفريق آخر سيتعصب لهواه فيجعل الصحابة كلهم (كركرة) !

وأما أهل الإنصاف فسيجعلون لكل شيء قدره دون إفراط ولا تفريط فيقولون (كركرة) نموذج لصحابة خرجوا من عدالة السيرة لدليل شرعي ولفسق ظاهر لا تأويل له ولذلك استحق ما أخبر به النبي ﷺ.

- الرجل الذي قتل نفسه:

عن جابر بن سمرة قال: (أتي النبي ﷺ برجل قتل نفسه بمشاقص، فلم يصل عليه)[٥٧٧].

وفي رواية البيهقي (أنّ أبا هريرة قال: شهدنا مع رسول الله ﷺ خيبر، فقال رسول الله ﷺ لرجل ممن يدّعي الإسلام (هذا من أهل النار)، فلما حضر القتال، قاتل الرجل حتى كثرت به الجراح فأثبته، فجاء رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت الرجل الذي ذكرت أنه من أهل النار، قد والله قاتل في سبيل الله أشد القتال وكثرت به الجراح، فقال رسول الله ﷺ: (أما إنه من أهل النار) وكاد بعض الناس يرتاب، فبينا هو

---

(٥٧٤) الغلول هو ما أخذه من الغنيمة بغير وجه حق.

(٥٧٥) صحيح البخاري- الجهاد والسير- حديث رقم ٢٨٤٥

(٥٧٦) فتح الباري ٦/ ١٨٨

(٥٧٧) صحيح مسلم - كتاب الجنائز -ترك الصلاة على القاتل نفسه - حديث رقم ١٦٢٤

على ذلك وجد الرجل ألم الجراح فأهوى بيده إلى كنانته فاستخرج منها سهماً فانتحر بها..)(٥٧٨).

فهذا الرجل (ليس عدلاً بلا شك)، بنص كلام رسول الله ﷺ الذين ذكر أنه من أهل النار لأنه مات منتحراً.

فالصحابة في مجموعهم عدول لكنّ ذلك لا يعني عدم خروج آحادهم من العدالة لدليل شرعي أو فسق ظاهر لا تأويل فيه(٥٧٩).

---

(٥٧٨) السنن الكبرى للبيهقي ٨/ ١٩٧

(٥٧٩) لا بد من الإشارة ها هنا إلى أنّ انتفاء عدالة السيرة عن الصحابي لفسق أو غيره لا يعني انتفاء عدالة الرواية، لأنّ إجلال الصحابة لرسول الله ومعرفتهم لعظم جريمة الكذب على رسول الله مما يعرفه كل عاقل، فمن ادّعى غير ذلك فعليه أن يأتي بالدليل، ولن يجد دليلاً واحداً على صحابي واحد أنه كذب على رسول الله، وغاية ما يثيره أهل الأهواء هو الطعن في أبي هريرة بشتى الطرق، وقد أفادنا الأستاذ عبد الله الناصر في كتابه (البرهان في تبرئة أبي هريرة من البهتان) بما يدحض كل الشبهات المثارة على أبي هريرة.
فأكد أنه ما من حديث رواه أبو هريرة إلا وقد رواه الشيعة عن الإمامين الباقر والصادق على وجه الخصوص بنفس الألفاظ أو مع اختلاف بسيط في اللفظ أو بما يطابق المعنى!
أما ما يذكر عن روايته لـ ٥٣٧٤ حديثاً، فالصحيح أنّ هذا العدد هو لكل ما روي عن أبي هريرة وليس كل ما أسنده الرواة لأبي هريرة هو صحيح، فيضم هذا الرقم أحاديثاً ضعيفة وأحاديثاً مكررة، وإذا ما أخرجناها من جملة مرويات أبي هريرة فسيصفو لنا أقل من هذا العدد بكثير، يقول الدكتور محمد ضياء الأعظمي في كتابه (أبو هريرة في ضوء مروياته): فالذي نُسب إليه بأنه روى (٥٣٧٤) حديثاً كما جزم به ابن حزم في جوامع السيرة ص٢٧٥ وابن الجوزي في (تلقيح أهل الأثر) ص١٨٤ ثم كتاب مصطلح الحديث، فكل ذلك باعتبار تكرار الأسانيد وأكبر ما يدل على ذلك هو عمل الإمام أحمد بن حنبل في مسنده الضخم، فإنّ مرويات أبي هريرة تستغرق ٣١٣ صفحة بالقطع الكبير من مسند يبلغ عددها أكثر من خمسة الآف حديث بالأسانيد المكررة، بينما أني لما قمت بدراسة ما رواه الإمام أحمد وأصحاب الكتب الستة (الإمام البخاري والإمام مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة والترمذي) لم يبلغ جميع ما رواه أبو هريرة في هذه الكتب السبعة إلا (١٣٣٦) حديثاً فقط) انتهى كلامه.
فكثرة عدد الأحاديث التي تُنسب لأبي هريرة منشأها المكررات هذا بخلاف الروايات الضعيفة التي لا تصح نسبتها إليه.
وزيادة على هذا أقول: ليس من المستحيل لرجل تفرغ لصحبة رسول الله ونال بركة دعاء النبي عليه الصلاة والسلام أن يحفظ هذا العدد خصوصاً وأنّ الأحاديث عبارة عن جُمل قصيرة يسهل حفظها لمن وفقه الله تعالى لذلك، بل إنّ المتتبع لروايات أبي هريرة رضي الله عنه في الكتب التسعة (الصحيحين وسنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وموطأ مالك ومسند أحمد والدارمي) يجد أنّ كثيراً من الصحابة اشتركوا مع أبي هريرة في كل مروياته تقريباً، فلم ينفرد عنهم فيما روته عنه الكتب التسعة إلا برواية ثمانية أحاديث فقط!
ألا يكفي هذا بياناً لصدقه؟

فالشيعة الاثنا عشرية تطرفوا فقدحوا في عدالة المجموع من أجل بعض الأفراد دون الاكتراث بنصوص القرآن والسنة المادحة لمجموع الصحابة، في حين أفرط متعصبة أهل السنة في المسألة فلم يُجوّزوا خروج أحد من هذا الثناء بدليل شرعي أو فسق الظاهر، فبحثوا عن تأويلات لمن أساء الصحبةحماية لقاعدة العدالة، وكلا الفريقين تكلّم في العدالة وليس في كلامه عدالة بل هو التطرف والظلم اللذان لا يرضى الله بهما.

ماذا وراء طرح موضوع العدالة؟

عندما يطرح علماء الشيعة الاثني عشرية موضوع عدالة الصحابة فإنهم لا يريدون أعرابياً أسلم وأهمله التاريخ أو صحابية كالغامدية زنت ثم اعترفت باقترافها الذنب طالبة إقامة الحد عليها لتتطهر وتموت نقية من الذنب فيغفره لها رب العالمين(٥٨٠) !

ولا يريدون كذلك حاطب بن أبي بلتعة الذي أفشى سر قدوم المسلمين لمكة من باب خوفه على أهله هناك ورغبة في أن تكون له يد على قريش حتى يحفظوه في أهله، فعوتب من رسول الله وأراد عمر بن الخطاب ضرب عنقه فقال له رسول الله ﷺ (مهلاً يا عمر، لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم).

لكنهم يريدون كبار الصحابة (أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وعائشة والبقية)، ويريدون تمهيد الطريق لضرب هؤلاء الأعلام بكسر حاجز

---

(٥٨٠) قال عنها عليه الصلاة والسلام (لقد تابت توبة لو قُسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى) صحيح مسلم (كتاب الحدود - باب من اعترف على نفسه بالزنى).

العدالة فحين يتحطم الجدار ويجوز الطعن في صحابي من هؤلاء الصحابة الكرام يصبح الطعن بأبرز الصحابة وأكثرهم ثقلاً أمراً سهلاً للغاية ! وبالذات إذا جاء هذا الطعن وهذا الشتم والتنقيص تحت مسمى الاعتدال أو الموضوعية والمنهجية العلمية !

ما كنت أعجب منه خلال قراءاتي في كتب الفريقين هو استنكار علماء الشيعة الاثني عشرية القول بعدالة الصحابة وإعطائهم للقضية حجماً أكبر من حجمها في حين أنهم يتناسون أنّ الأصل في المسلم العدالة[٥٨١] وأنّ الصحابة ليسوا أهل إسلام وإيمان فقط بل مزكّون من الله ورسوله !

فحتى لو ادعى مدّع أنه لا يوجد دليل واحد على عدالة الصحابة فإنه سيقف عند هذه النقطة التي أثرناها عاجزاً عن الإجابة .. إنّ الأصل في المسلم العدالة وعلى الذي يقدح في عدالة أي مسلم أن يأتي بالدليل وليس العكس !

فعلى أي أساس يطالبوننا بأدلة عدالة الصحابة؟!

يقول شيخ الطائفة الطوسي في كتابه الخلاف (إنّ الأصل في المسلم العدالة، والفسق طارئ عليه يحتاج إلى دليل)[٥٨٢]، وهذا أمر بديهي عند كل مسلم، لا يحتاج حتى إلى استدلال.

وإذا كان الأمر كذلك فلماذا التشنيع على القائلين بعدالة الصحابة وكأنّ الصحابة من كوكب آخر غير كوكب الأرض ! أين الموضوعية وأين الإنصاف؟!

---

(٥٨١) المراد بالعدالة في هذه القاعدة الشرعية هي (السلامة من الفسق)، فالأصل في كل مسلم أنه سالم من الفسق حتى يثبت فسقه.

(٥٨٢) نقلاً عن كتاب أصول علم الرجال ص١١٠

روايات شيعية منسية في
إثبات عدالة الصحابة

رغم أنّ علماء الشيعة الاثني عشرية يرفضون بشدة مبدأ عدالة الصحابة ويظهرونها تارة بأنها غلو في الصحابة وإثبات لعصمتهم وتارة بأنّ فيها إثباتاً لعدالة المنافقين أيضاً إلا أنّ هناك ثمة روايات هنا وهناك في تراث الإمامية تقف جنباً إلى جنب مع آيات القرآن الصريحة في القول بالعدالة وكذا روايات أهل السنة والعقل السليم الذي يجزم بعدالة من نقل الدين وإلا تطرق الشك في نقل مصدري الشريعة (القرآن والسنة)، الأمر الذي يتطلع إليه أعداء الإسلام بكل شغف، ويجدون من يهدي لهم هذه الطعونات بكل بساطة !

من تلك الروايات الحاكمة بعدالة صحب محمد ﷺ ما يلي:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خطب رسول الله ﷺ الناس بمنى في حجة الوداع في مسجد الخيف فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: نضّر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها، ثم بلّغها إلى من لم يسمعها فرُبّ حامل فقه غير فقيه وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغلّ عليهن قلب امرئ مسلم إخلاص العمل لله والنصيحة لأئمة المسلمين واللزوم لجماعتهم، فإنّ دعوتهم محيطة من ورائهم. المسلمون إخوة تتكافأ دماؤهم، يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم.(٥٨٣)

قلت: إن لم يكن الصحابة عدولاً فكيف يأتمن رسول الله ﷺ أحداً منهم على تبليغ كلامه إلى من لم يسمعه ؟! والرواية لا يصلح لها إلا العدل فكيف يبلغ الرجل منهم قول رسول الله إلى غيره وهو ليس بعدل؟

---

(٥٨٣) الخصال ص١٤٩-١٥٠ حديث رقم ١٨٢ (ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم).

وفي هذه الرواية مزيد بيان:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله اثني عشر ألفاً، ثمانية آلاف من المدينة، وألفان من مكة، وألفان من الطلقاء، ولم يُر فيهم قدريّ ولا مرجي ولا حروري ولا معتزلي ولا صاحب رأي، كانوا يبكون الليل والنهار ويقولون: اقبض أرواحنا من قبل أن نأكل خبز الخمير.(٥٨٤)

فإذا لم يكن في الصحابة مرجيء ولا حروري ولا معتزلي ولا صاحب رأي، فكيف يكون فيهم من هو أشد من هذا وذاك (المنافق !) كما يدّعي علماء الشيعة الاثني عشرية ؟!

وإذا كان صحابة رسول الله بهذه الصفات فلماذا يُعدّ القول بعدالتهم غلواً؟!

وروى الكليني في الكافي عن منصور بن حازم قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما بالي أسألك عن المسألة فتجيبني فيها بالجواب ثم يجيئك غيري فتجبيه فيها بجواب آخر؟ فقال: إنا نجيب الناس على الزيادة والنقصان، قال: قلت: فأخبرني عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله صدقوا على محمد أم كذبوا؟ قال: بل صدقوا، قال: قلت فبما بالهم اختلفوا؟ فقال: أما تعلم أنّ الرجل كان يأتي رسول الله صلى الله عليه وآله فيسأله عن المسألة فيجيبه فيها بالجواب ثم يجيبه بعد ذلك ما ينسخ ذلك الجواب فنسخت الأحاديث بعضها بعضاً).(٥٨٥)

وهذه تزكية عامة لصحابة رسول الله صلى الله عليه وآله من الإمام الصادق ... نص فيها على صدقهم رضوان الله عليهم وانتفاء الكذب عنهم وهو ما يُعرف بعدالة الرواية.

---

(٥٨٤) الخصال ص٦٣٨ حديث رقم ١٥ (ما بعد الألف) - (كان أصحاب رسول الله اثني عشر ألف رجل).

(٥٨٥) الكافي (الأصول) ج١ ص٥٢ كتاب فضل العلم

عدالة الصحابة مستحيلة وعدالة كبار علماء الشيعة الاثني عشرية لا غبار عليها !

إنّ قول الله عز وجل في كتابه المجيد ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾[٥٨٦] ليس محصوراً في مكيال البيع والشراء بل في كل ما يُكال للناس به.

حينما يُكال لأصحاب رسول الله بمكيال يُحاسبون فيه على كل سعلة وهمسة وحركة وسكنة، بينما يُخصص لعلماء الشيعة الاثني عشرية ومراجع التقليد مكيالاً آخر يتغاضى عن أمور كثيرة تُستنكر في صحابة رسول الله وتُقام لها الدنيا وتقعد بينما لا تُستنكر وليس لها أدنى أثر حينما يكون الكلام عن علماء الشيعة الاثني عشرية ومراجعها.

إنها أزمة الإنصاف وأزمة تحكيم الضمير . . . خصوصاً ونحن لا نتكلم عن أصحابنا في المدارس أو زملائنا في العمل وإنما عن صحابة وأصهار سيد الخلق (محمد عليه الصلاة والسلام).

والغريب في علماء الشيعة الاثني عشرية ومفكريهم وهم يطعنون ليل نهار في عدالة الصحابة ويسعون إلى تأويل كل نص فيه مدح للمهاجرين والأنصار وتبشيرهم بالجنان وإنكارهم لتعديل الله ورسوله لهم أنك تجدهم لا يترددون في إثبات عدالة جميع علمائهم السابقين دون أن يعدّوا إثبات العدالة لهم إثباتاً للعصمة ولا مناقضاً للإسلام ولا يستحق حتى وقفة تأمل !

فهم يستنكرون على أهل السنة إثباتهم لعدالة من زكاهم الله ورسوله، وبذلوا الغالي والرخيص في سبيل هذا الدين، ويشنعون عليهم أشد التشنيع ويعدّون القول بعدالتهم تقديساً لا يستحقونه! لكن حينما يأتي الكلام عن كبار

---

(٥٨٦) سورة المطففين آية ١-٦

علماء الشيعة الاثني عشرية السابقين يختلف الميزان وتصير كلمة (عدالة) كلمة عادية لا تستحق التشنيع ولا الوقوف عندها أصلاً !

لا تتصور أني أبالغ . . . هذه حقيقة واضحة جلية يستشعرها كل منصف يرتضي الدليل والبرهان.

كنت ولا زلت أتساءل كيف لشيعي منصف أن يردد طعونات علماء الشيعة الاثني عشرية في عدالة الصحابة ويناقش القضية بحماس وانفعال في حين يتجاهل أموراً ربما يقرأها يومياً في رسالة مرجع التقليد الذي يقلده دون توقف عندها أو وزنها بالميزان نفسه الذي يزن به أصحاب رسول الله.

فهذا هو الخوئي - الزعيم السابق لحوزة النجف الأشرف والملقب بأستاذ الأساتذة - ماذا يقول في رسالته العملية لمقلديه ولمن تتلمذ على يديه من مراجع التقليد الحاليين ؟

يقول الخوئي في رسالته العملية (منهاج الصالحين ١/ ٩): (مسألة ٢٩- العدالة المعتبرة في مرجع التقليد عبارة عن الاستقامة في جادة الشريعة المقدسة، وعدم الانحراف عنها يميناً ولا شمالاً، بأن لا يرتكب معصية بترك واجب أو فعل محرم، من دون عذر شرعي، ولا فرق في المعاصي من هذه الجهة، بين الصغيرة والكبيرة، وفي عدد الكبائر خلاف.

وقد عدّ من الكبائر الشرك بالله تعالى، واليأس من روح الله تعالى، والأمن من مكر الله تعالى، وعقوق الوالدين - وهو الإساءة إليهما - وقتل النفس المحترمة، وقذف المحصنة، وأكل مال اليتيم ظلماً، والفرار من الزحف، وأكل الربا، والزنا واللواط، والسحر، واليمين الغموس الفاجرة - وهي الحلف بالله تعالى كذباً على وقوع أمر، أو على حق امرئ أو منع حقه خاصة - كما قد يظهر من بعض النصوص - ومنع الزكاة المفروضة، وشهادة الزور، وكتمان الشهادة. وشرب الخمر، ومنها ترك الصلاة أو غيرها مما فرضه الله متعمداً، ونقض العهد، وقطيعة الرحم - بمعنى ترك الإحسان إليه من كل وجه في مقام يتعارف فيه ذلك - والتعرب بعد الهجرة إلى البلاد التي ينقص بها الدين، والسرقة وإنكار ما أنزل الله تعالى، والكذب على الله، أو

على رسوله ﷺ، أو الأوصياء عليهم السلام، بل مطلق الكذب، وأكل الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أهلّ به لغير الله، والقمار، وأكل السحت كثمن الميتة والخمر والمسكر وأجر الزانية، وثمن الكلب الذي لا يصطاد، والرشوة على الحكم ولو بالحق، وأجر الكاهن، وما أصيب من أعمال الولاة الظلمة، وثمن الجارية المغنية، وثمن الشطرنج، فإنّ جميع ذلك من السحت.

ومن الكبائر: البخس في المكيال والميزان، ومعونة الظالمين، والركون إليهم، والولاية لهم، وحبس الحقوق من غير عسر، والكبر، والإسراف والتبذير، والاستخفاف بالحج، والمحاربة لأولياء الله تعالى، والاشتغال بالملاهي - كالغناء بقصد التلهي - وهو الصوت المشتمل على الترجيع على ما يتعارف عند أهل الفسوق - وضرب الأوتار ونحوها مما يتعاطاه أهل الفسوق، والاصرار على الذنوب الصغائر.

والغيبة، وهي: أن يذكر المؤمن بعيب في غيبته، سواء أكان بقصد الانتقاص، أم لم يكن، وسواء أكان العيب في بدنه أم في نسبه أم في خلقه أم في فعله أم في قوله أم في دينه أم في دنياه أم في غير ذلك مما يكون عيباً مستوراً عن الناس، كما لا فرق في الذكر بين أن يكون بالقول، أو بالفعل الحاكي عن وجود العيب، والظاهر اختصاصها بصورة وجود سامع يقصد إفهامه وإعلامه، كما أنّ الظاهر أنه لا بد من تعيين المغتاب ... ومن الكبائر: البهتان على المؤمن - وهو ذكره بما يعيبه وليس هو فيه - ومنها: سب المؤمن وإهانته وإذلاله، ومنها: النميمة بين المؤمنين بما يوجب الفرقة بينهم، ومنها: القيادة وهي السعي بين إثنين لجمعهما على الوطء المحرم، ومنها: الغش للمسلمين، ومنها: استحقار الذنب فإنّ أشد الذنوب ما استهان به صاحبه، ومنها: الرياء وغير ذلك مما يضيق الوقت عن بيانه.[٥٨٧]

---

(٥٨٧) منهاج الصالحين ١/ ١٢

وقد ذكر مثل هذا آية الله السيستاني في رسالته العملية لمقلديه (منهاج الصالحين ١/١٦-١٧) وغيرهم من مراجع التقليد.

فتزكية رب العالمين ورسوله الكريم للصحابة فيها نقاش وجدال وبحث عن كل خطأ وزلة ثم تلميعها، وتزكية مراجع التقليد والنص على عدالتهم بهذه الصورة المبالغ فيها لا يُحتاج فيها إلى نقاش ولا استنكار من أي شيعي! أهكذا يكون الإنصاف؟!

بماذا سيبرر علماء الشيعة الاثني عشرية العدالة التي ينسبونها إلى مراجع التقليد؟ أليس اشتراط الخوئي والسيستاني وكذا باقي مراجع التقليد عند الشيعة الاثني عشرية لعدالة المرجع بهذه الصورة المبالغ فيها هو قول بعصمة مرجع التقليد؟!

يكفيك أن تقرأ قول الخوئي بعدها مباشرة (مسألة ٣٠- ترتفع العدالة بمجرد وقوع المعصية، وتعود بالتوبة والندم، وقد مرّ أنه لا يفرق في ذلك بين الصغيرة والكبيرة) لتتساءل (أيعقل أن يمر أسبوع من حياة المرجع (لن أقول يوم) دون أن يرتكب معصية تخرجه من العدالة ؟! وهل يبقى مرجع التقليد على وضعه كمرجع تقليد حال اقترافه للإثم وقبل توبته أم أنه يخرج من المرجعية ثم يعود إليها بعد رجوع العدالة له؟!

الغلو في تعريف العدالة وإسباغ هالة على هذه العدالة المزعومة والتي هي إلى العصمة أقرب وراء كل هذه التساؤلات.

ثم بعد هذا يُتهم من يقول بعدالة صحابة رسول الله مع تقييده تلك العدالة ونصّه على أنّ عدالتهم لا تعني عدم اقترافهم للذنب وإنما المراد بها عدالة الرواية (وهو المراد من مصطلح (عدالة الصحابة) أو عدم فسقهم وهو التعريف الذي يقتضي وقوع المرء بالذنب أو بالكبيرة ثم إلحاقها بتوبة، وكلا الأمرين لا غلو فيه!

منقلبون على أعقابهم ومرتدون من أجل ماذا؟!

أن تُخرج رجلاً من الإسلام وتنعته بالمرتد والمنقلب على عقبيه لأنه أشرك أو كفر فهذا معروف واعتيادي بل هو حكم شرعي لا بد من البوح به والتدين به، لكن أن يُنعت أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام بأهل الردة أو بالمنقلبين على أعقابهم من أجل تسليمهم الخلافة لغير علي بن أبي طالب أو تسليمهم إياها لأبي بكر الصدّيق فهذا أمر عجاب!

منذ متى صارت كراسي الحكم مقرونة بالتوحيد وبأركان الإيمان الستة[٥٨٨]؟!

ثم ما الذي سيجنيه الصحابة إن هم سلّموا الخلافة لأبي بكر بدلاً عن علي بن أبي طالب.

الأموال؟ هم تركوا أموالهم وأهليهم في مكة من أجل الله ورسوله وكانت تجارة قريش مضرب المثل (رحلة الشتاء والصيف) وزعماء قريش على أتم الاستعداد لشراء الذمم والضمائر في سبيل دحر دعوة النبي ﷺ ومع ذلك تحمّل الصحابة الفقر والغربة والعذاب في سبيل هذا الدين، فما الذي تغير اليوم ؟!

المكانة الاجتماعية؟ ما الذي تغير في خلافة أبي بكر حتى يبيع الرجل دينه ويشتري بالمقابل تلك المكانة الاجتماعية في مجتمع يرى التقوى ميزاناً لعلو الشخص وانخفاضه!

---

(٥٨٨) أركان الإيمان الستة هي: الإيمان بالله، الإيمان بالأنبياء، الإيمان بالملائكة، الإيمان بالكتب السماوية، الإيمان باليوم الآخر، الإيمان بالقدر خيره وشره.

فمجتمع المسلمين في حياة نبي الله وبعد مماته هو نفسه الذي أعزّ بلالاً الحبشي وصهيباً الرومي وسلمان الفارسي ولم يعرف لقبائل العرب المرتدة نسبها ومكانتها الاجتماعية بل سدد السهام نحوها وأقام عليها حد الردة لما ارتدت وجهرت بالكفر.

ثم هذه قريش بعزتها وجبروتها وبعروضها المغرية على من أراد الدخول في دين الله، لم تستطع زحزحة صحابة رسول الله عن مواقفهم بل زادت في ثباتهم وإيمانهم، فما الذي تغير اليوم حتى تستطيع سقيفة بني ساعدة الصغيرة أن تغير كل هؤلاء الأشداء الصامدين؟!

لا توجد إجابة مقنعة تركن إليها النفس وتطمئن إليها القلوب تقنع المرء بهذا الطرح العجيب الذي لا يقبله عقل ولا منطق . .

يذكر علماء الشيعة الاثني عشرية كثيراً حب الأنصار لعلي بن أبي طالب وأنهم كانوا كثرة في جنده في موقعة صفين فلماذا لم يسلّموا الخلافة إليه وسلّموها لأبي بكر ؟! لن تجد إجابة مقنعة تسلّي بها نفسك.

إنّ نظرة الأنصار ومن قبلهم المهاجرين أبعد وأصوب منا جميعاً، لقد كانت هذه الفئة المؤمنة تُفرّق بين الخلافة وبين الارتباط العاطفي مع قرابة النبي ﷺ.

ولذا رأينا الكتب الشيعية التي تمتدح هؤلاء الأنصار ووقوفهم جنباً إلى جنب مع الإمام علي في موقعة صفين هي الكتب نفسها التي تنعتهم بالردة والانقلاب على الأعقاب في حادثة السقيفة !

ميزان عجيب يُكال به أصحاب رسول الله . . . إن كانوا مع الإمام علي في أمر من الأمور صاروا خير الناس، وإن كان موقفهم مع من خالف علياً أو قُل في غير الاتجاه الذي أراده الإمام علي صاروا أهل ردة ومصلحة ونفاق !

فإن قالوا حكمنا عليهم بالردة والانقلاب على أعقابهم لأنهم أنكروا النص على علي بن أبي طالب، قيل لهؤلاء المستنكرين: أو ليس الشيعة الاثني عشرية يذكرون أنّ حديث الغدير متواتر وأنّ مئات من الصحابة قد رووه فأين الإنكار؟

عندما أقول بلساني إنّ رسول الله ﷺ قال لعلي (من كنت مولاه فعلي مولاه) فأين إنكاري للنص؟!

فإن قيل: أنكروا المعنى، قيل لهؤلاء: ومن ذا الذي قال بأنّ ما ذهبتم إليه في تفسير الحديث هو الحق؟! هل أنتم أفهم وأعقل من صحابة رسول الله الذين عاشوا تلك اللحظات وسمعوا الحديث بآذانهم؟! أم أنكم أفهم بالعربية منهم حتى صرتم تعقلون من الحديث ما لم يعقلوه هم؟!!

ومن تأمل نقاشنا لحديث الغدير وبقية الأحاديث سيعلم علم اليقين بأنّ صحابة رسول الله كانوا أكثر إدراكاً وفهماً للنصوص من الذين يدندنون حول هذه الأحاديث التي لم يعيشوا لحظاتها ولم يدركوا مغزاها ولم يتلمسوا مدلولاتها أو يدركوا حتى معاني ألفاظها !

من المرتد - صحابة رسول الله أم هؤلاء؟

أيها القارئ الحصيف . . . لن تحتاج معي إلى مزيد جهد أو إلى كثير إنصاف حتى تدرك الاعوجاج الواضح في الميزان الذي يُكال به صحابة رسول الله بل يُكال به كتاب الله المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

أمامنا فريقان:

فريق طعن في كتاب الله مدعياً وقوع التحريف والتبديل فيه، على رأسه النوري الطبرسي - مؤلف كتاب المستدرك أحد الأصول الحديثية الثمانية لدى الاثنى عشرية - والذي ألفّ كتاباً باسم (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب) يقول فيه عن القرآن وعن وقوع التحريف فيه ما نصه: (ومن الأدلة على تحريفه فصاحته في بعض الفقرات البالغة حد الإعجاز **وسخافة بعضها الآخر)**[٥٨٩].

وسيد عدنان البحراني القائل: (الأخبار التي لا تحصى كثرة وقد تجاوزت حد التواتر ولا في نقلها كثير فائدة بعد شيوع القول بالتحريف والتغيير بين الفريقين وكونه من المسلمات عند الصحابه والتابعين بل وإجماع الفرقة المحقة وكونه من ضروريات مذهبهم ويه تضافرت أخبارهم).[٥٩٠]

ويوسف البحراني القائل: (لا يخفى ما في هذه الأخبار من الدلالة الصريحة والمقالة الفصيحة على ما اخترناه ووضوح ما قلناه ولو تطرق الطعن إلى هذه الأخبار على كثرتها وانتشارها لأمكن الطعن إلى أخبار الشريعة كلها

---

(٥٨٩) فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب ص٢١١
(٥٩٠) مشارق الشموس الدرية ص١٢٦

كما لايخفى إذ الأصول واحدة وكذا الطرق والرواة والمشايخ والنقلة، ولعمري إنّ القول بعدم التغيير والتبديل لا يخرج من حسن الظن بأئمة الجور وأنهم لم يخونوا في الأمانة الكبرى مع ظهور خيانتهم في الأمانة الأخرى التي هي أشد ضرراً على الدين). (٥٩١)

طعن هذا الفريق بالقرآن بكل وضوح قائلاً بوقوع التحريف فيه!

وفريق آخر (وهم صحابة رسول الله) . . . خطيئته التي لا يغفرها له الشيعة الاثنا عشرية هي أنه سلّم الخلافة لأبي بكر بدلاً من علي !

الفريق الأول الذي طعن في كتاب الله يعتذر له علماء الشيعة الاثني عشرية وغاية ما يقولون فيه هي كلمة (أخطأوا)، (اجتهدوا وتأولوا ولا نوافقهم على ما ذهبوا إليه)، وليت شعري متى صارت مسألة حفظ كتاب الله أو تحريفه مناطاً للاجتهاد ؟! وأي اجتهاد في قول هذا المجرم أنّ (في القرآن آيات سخيفة) ! والله إنها لطامة كبرى.

ولنأخذ أمثلة على نظرة علماء الشيعة الاثني عشرية إلى القائلين بالتحريف:

السيد علي الميلاني - من كبار علماء الشيعة الاثني عشرية اليوم -يقول في كتابه (عدم تحريف القرآن ص٣٤) مدافعاً عن المجرم (الميرزا نوري الطبرسي): (الميرزا نوري من كبار المحدّثين، إننا نحترم الميرزا النوري، الميرزا نوري رجل من كبار علمائنا، ولا نتمكن من الاعتداء عليه بأقل شيء، ولا يجوز، وهذا حرام، إنه محدّث كبير من علمائنا)!

ويقول آية الله العظمى علي الفاني الأصفهاني في كتابه (آراء حول

(٥٩١) الدرر النجفيه للعلامه المحدث يوسف البحراني مؤسسة آل البيت لاحياء التراث ص ٢٩٨.

القرآن) بعد أن ذكر القائلين بالتحريف وهم من كبار علماء الشيعة الاثني عشرية ورد على شبهاتهم: (الثاني: **أنّ القائلين بالتحريف أوقعهم في شبهة التحريف كمال ورعهم وجمودهم على الأخبار وعدم دقتهم في أسانيدها ودلالاتها**، وإلا فليس القول بالتحريف خرافة إذ هي ما لا أساس لها كالقصص الخيالية والأوهام المنسوجة والأحاديث المفتعلة الكاذبة)![٥٩٢]

انظر إلى التلطف بالعبارة مع القائلين بالتحريف وإلى إعذارهم بل والثناء عليهم ووصفهم بالورع ! يا لذلك الورع البارد !

بينما لا يجد علماء الشيعة الاثني عشرية أدنى حرج في إطلاق ألفاظ الكفر والردة على الفريق الثاني (أصحاب محمد ﷺ)!

فإن تساءلت (ما ذنب هذه الفئة؟ هل عبدت غير الله؟ هل طعنت في كتاب الله؟

ليس هذا ولا ذاك، إنما هو جرم أكبر . . . أعطوا الخلافة لأبي بكر ولم يعطوها لعلي بن أبي طالب!

(٥٩٢) آراء حول القرآن ص١٣١

هل بشّر القرآن الصحابة بردتهم وكفرهم؟

إنه من السهل على المرء أن يُمسك بين يديه القرآن الكريم ويُقلّب صفحاته يميناً وشمالاً ثم يختار منه ما يشاء من آيات ويُفسرها بالتفسير الذي يحلو له ويناسب هواه دون أدنى فهم للسياق الذي جاءت به والمعاني التي اقتضاها ذلك السياق، كأن يُفسر لك قوله تعالى حكاية عن قول يعقوب عليه السلام ﴿يَٰأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾(٥٩٣) بأنّ يعقوب عليه السلام لم يكن يبكي على ابنه النبي الكريم يوسف عليه السلام وإنما على يوسف ابن الجيران الذي تُوفي بالأمس وبكى عليه أهل الحي !!

وقد يأتي لقوله تعالى ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾(٥٩٤) ليقول بأنّ أسماء تلك الحيوانات ما هي إلا كنايات عن قبائل أو عائلات بينه وبينها نزاع طويل، تماماً كما يفعل العياشي(٥٩٥) مثلاً مع قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ﴾(٥٩٦) حين يفسّر الكلمات الثلاث (الفحشاء والمنكر والبغي) بأنها ولاية أبي بكر وعمر وعثمان !

أو كما فعل الكليني(٥٩٧) مع قوله تعالى ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾(٥٩٨) حين يذكر أنّ المراد بهذه الكلمات الثلاث (أبو بكر وعمر وعثمان) !

---

(٥٩٣) سورة يوسف آية ٨٤

(٥٩٤) سورة النحل آية ٨

(٥٩٥) تفسير العياشي ٢/٢٦٧ والقمي في تفسيره ١/٣٨٨ بلفظ (فلان وفلان وفلان) بدلاً من التصريح بأسماء الخلفاء الثلاثة.

(٥٩٦) سورة النحل آية ٩٠

(٥٩٧) الكافي ١/ ٣٢٤

(٥٩٨) سورة الحجرات آية ٧

والأمثلة في ذلك تطول .. والتلاعب بكتاب الله مستمر ما دامت التعصبات قائمة في نفوس أصحابها.

لكني أرمي إلى قضية أخرى بالغة الأهمية وهي أنّ لتفسير القرآن الكريم أصوله وقواعده التي يُفسر من خلالها وإلا كان ألعوبة للجميع، ألعوبة لكل حزب ولكل فرقة وملة !!

ولذا ينبغي للمفسر قبل الشروع في تفسير آية أن يُحيط بسبب نزولها وهل نُسخت أم لا؟ وأن يكون ملماً باللغة العربية إلماماً جيداً مع فهم سياق الآيات وما ترمي إليه وما وجه ترابطها وتناسبها بما قبلها وما بعدها.

ولو أنّ طاعناً لم يرد الطعن في الصحابة بل في الرسول ذاته باستخدام هذا النمط من التفسير الذي يفسر به القمي والعياشي والكليني وغيرهم معتمداً على الهوى لا على الأصول العلمية للتفسير لكان له ذلك، تماماً كما يفعل المستشرقون والقساوسة عادة في الآيات التي تخاطب النبي عليه الصلاة والسلام!!

قارن بين أقوال جولدزيهر وأمثاله من المستشرقين في رسول الله وأساليبهم في التعامل مع النصوص الحاوية للعتب الرباني على رسول الله كنحو قوله تعالى ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾(٥٩٩) أو ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١﴾(٦٠٠) وبين استغلال علماء الشيعة مثلاً للآيات التي تعتب على الصحابة تباطؤهم بالقتال أو عتابهم على خطأ وقعوا فيه أو تقصير للطعن فيهم والتشنيع عليهم ووصفهم بالردة والكفر!

وجهان لعملة واحدة، وعليك أن تعي ذلك جيداً ..

---

(٥٩٩) سورة التوبة آية ٤٣

(٦٠٠) سورة التحريم آية ١

نماذج حيّة للمزاجية في تفسير الآيات

ليس من الإنصاف للحقيقة أن يعطي المرء رأيه في مسألة دون نقاشها أو دراستها، إذ أنّ الحقائق تعرف بالدراسة والبحث لا بالعاطفة والأحاسيس والكشف الصوفي، ولذا آليت على نفسي أن أقرأ أهم ما استدل به الشيعة الاثنا عشرية على ردة الصحابة وانقلابهم على أعقابهم ثم أسطّر بعد ذلك الحقيقة التي خرجت بها من ذلك البحث.

آية آل عمران

استدل الشيعة الاثنا عشرية بقول الله تعالى في كتابه العزيز ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾[٦٠١]

وادّعى التيجاني[٦٠٢] أنّ هذه الآية صريحة في الدلالة على انقلاب الصحابة بعد رسول الله وعدّ الصحابة المنقلبين على أعقابهم هم الكثرة الغالبة من الصحابة فيما ثبت من الصحابة قلة قليلة وهي الفئة التي ترى الشيعة الاثنا عشرية ثبوتها على الإسلام.

ويطبق التيجاني ومن سبقه إلى هذا الفهم من علماء الشيعة الاثني عشرية هذه الآية على ما حصل بعد رسول الله ﷺ في حادثة السقيفة بانتخاب أبي بكر خليفة المسلمين !!

لكن ما مدى صحة ما ذهب إليه هؤلاء؟

---

(٦٠١) سورة آل عمران آية ١٤٣-١٤٤

(٦٠٢) ثم اهتديت ص١١٤

المناقشة:

أولاً: نصت كتب التفسير وكذا كتب التاريخ وبعض كتب الشيعة الاثني عشرية على أنّ هذه الآية قد نزلت في واقعة محددة وهي (غزوة أحد) فما الذي حوّلها إلى سقيفة بني ساعدة وإلى الصراع السني الشيعي الاثني عشري؟!

يقول محمد جواد مغنية في تفسيره الكاشف: (تشير هذه الآية إلى واقعة معينة وهي وقعة أحد). (٦٠٣)

ويقول آية الله ناصر مكارم الشيرازي في تفسيره (الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل): (سبب النزول أنّ الآية الأولى من هاتين الآيتين ناظرة أيضاً إلى حادثة أخرى من حوادث معركة أحد، وهي الصيحة التي ارتفعت فجأة في ذروة القتال بين المسلمين والوثنيين أن قتلت محمداً، قتلت محمداً). (٦٠٤)

وقد كانت لموقعة (أحد) ظروفها الخاصة وملابساتها ولذلك جاءت الآيات الكريمات في سورة آل عمران وفقاً لتلك الظروف والملابسات، واستخدام الآية الكريمة للاستدلال على وقائع أخرى كحادثة السقيفة أو موقعة الجمل لا يخلو من غرابة ومن مزاجية، لا تمت بصلة للمنهجية العلمية.

ثانياً: تعتبر هذه الآية من أكبر الدلائل على عظم إيمان أبي بكر وحكمته وتفانيه في الدفاع عن دين الله، فموقفه الثابت يوم أن تُوفي رسول الله ﷺ خير شاهد على ذلك ... يوم أن وقف وقفته الثابته مخاطباً الناس بعد ما أصابهم الوهن والضعف على فقد رسول الله فقال: (إنّ الله عز وجل يقول ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾) ويقول (﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن

---

(٦٠٣) الكاشف ٢/ ١٦٩

(٦٠٤) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ٢/ ٥٥٤

قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ فمن كان يعبد الله عز وجل، فإنّ الله عز وجل حي لا يموت، ومن كان يعبد محمداً فإنّ محمداً قد مات).

وموقفه الصارم من الذين ارتدوا على أعقابهم واستبدلوا الإيمان بالكفر فاتبعوا مسيلمة وسجاح وطليحة بن خويلد والأسود العنسي وأمثالهم، ومن الذين قالوا نصلّي ولا نزكّي فأسقطوا شعائر الإسلام بالهوى لأروع مثال على عظمة أبي بكر والصحابة وعلى حرصهم على الدين.

يروي شيخ الطائفة الطوسي في الأمالي والمجلسي نقلاً عنه في بحار الأنوار حديثاً يؤكد فيه هذه الحقيقة:

فعن ابراهيم أنه قال: ارتد الأشعث بن قيس وناس من العرب لما مات النبي ﷺ فقالوا: نصلّي ولا نؤدي الزكاة، فأبى عليهم أبو بكر ذلك، وقال: لا أحل عقدة عقدها رسول الله، ولا أنقصكم شيئاً مما أخذ منكم نبي الله ﷺ، ولأجاهدنكم، ولو منعتموني عقالاً مما أخذ منكم نبي الله ﷺ لجاهدتكم عليه ثم قرأ ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ حتى فرغ من الآية . . .).[٦٠٥]

علّق المجلسي على هذه الرواية قائلاً: (أقول: قال السيد ابن طاووس -ره-: ذكر العباس بن عبد الرحيم المروزي في تاريخه (لم يلبث الإسلام بعد موت النبي ﷺ في طوايف العرب إلا في أهل المدينة وأهل مكة وأهل الطايف، وارتد ساير الناس ثم قال: ارتدت بنو تميم والرباب واجتمعوا على مالك بن نويرة اليربوعي وارتدت ربيعة كلها وكانت لهم ثلاثة عساكر: عسكر باليمامة مع مسيلمة الكذّاب، وعسكر مع معرور الشيباني، وفيه بنو شيبان

(٦٠٥) أمالي الطوسي ١/٢٤٨-٢٤٩ وبحار الأنوار ٢٨/١١

وعامة بكر بن وايل، وعسكر مع الحطيم العبدي، وارتد أهل اليمن، ارتد الأشعث بن قيس في كندة، وارتد أهل مأرب مع الأسود العنسي، وارتدت بنو عامر إلا علقمة ابن علاثة).(٦٠٦)

فقد (ارتد بسبب موت الرسول ﷺ ولما حصل لهم من الضعف جماعات من الناس، قوم ارتدوا عن الدين بالكلية وقوم ارتدوا عن بعضه، فقالوا: لا نصلّي ولا نزّكي، وقوم ارتدوا عن إخلاص الدين الذي جاء به محمد ﷺ فآمنوا مع محمد بقوم من النبيين الكذّابين كمسيلمة الكذّاب وطليحة الأسدي وغيرهما، فقام إلى جهادهم الشاكرون الذين ثبتوا على الدين، أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار والطلقاء والأعراب ومن اتبعهم بإحسان، الذين قال الله عز وجل فيهم ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾(٦٠٧)، هم أولئك الذين جاهدوا المنقلبين على أعقابهم الذين لم يضروا الله شيئاً.

وما أنزل الله في القرآن من آية إلا وقد عمل بها قوم، وسيعمل بها آخرون، فمن كان من الشاكرين الثابتين على الدين، الذين يحبهم الله - عز وجل - ورسوله، فإنه يجاهد المنقلبين على أعقابهم، الذين يخرجون عن الدين، ويأخذون بعضه ويدعون بعضه كحال هؤلاء القوم المجرمين المفسدين، الذين خرجوا على أهل الإسلام، وتكلم بعضهم بالشهادتين، وتسمّى بالإسلام من غير التزام شريعته).(٦٠٨)

لكن ما حيلتنا مع من يجادل عن بعض أصناف أهل الردة ويتأول لهم قائلاً بأنّ اتفاقهم على منع الزكاة لا يعني ردتهم في حين لا يجد أيّ حرج في

---

(٦٠٦) بحار الأنوار ٢٨/ ١٢

(٦٠٧) سورة المائدة آية ٥٤

(٦٠٨) مجموع الفتاوى ١٤/ ٢٢٧، ٢٨/ ٢٢٧

توجيه السهام إلى أبي بكر والصحابة الذين انتصروا للإسلام وثبتوا على دين الله بعد خذلان أكثر الناس له والطعن فيهم والقول بردتهم وانقلابهم على أعقابهم من أجل عدم إعطائهم الخلافة لعلي!

إنّ هؤلاء العاذرين لا يجهلون عظم فريضة الزكاة التي قرنها الله بالصلاة مراراً في القرآن بل يجهلون حتى أحاديث أهل البيت التي بينت بكل وضوح أنّ ما فعله أبو بكر تجاه مانعي الزكاة هو عين الصواب، وأنّ فعله ذاك علامة فقهه رضي الله عنه.

روى الكليني في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: من منع قيراطاً من الزكاة فليس بمؤمن ولا مسلم وهو قوله عز وجل ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾، وفي رواية (لا تقبل له صلاة).[٦٠٩]

وعن أبي عبد الله عليه السلام أيضاً أنه قال: من منع قيراطاً من الزكاة فليمت إن شاء الله يهودياً أو نصرانياً.[٦١٠]

وعن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: (إنّ الله عز وجل قرن الزكاة بالصلاة، فقال ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ فمن أقام الصلاة ولم يؤت الزكاة لم يُقم الصلاة).[٦١١]

فأين هذه الأحاديث الواضحة وكذا فعل الإمام علي الذي وقف جنباً إلى جنب مع الخليفة الراشد أبي بكر الصديق في تلك المحنة من التيجاني وشرف الدين الموسوي وفلان وفلان من أئمة وعلماء الشيعة الاثني عشرية الذين ما

---

(٦٠٩) الكافي ٣/ ٥٠٣

(٦١٠) الكافي ٣/ ٥٠٥

(٦١١) الكافي ٣/ ٥٠٦

زالوا يدندون حول قضية قتال مانعي الزكاة محاولين تبرئة ساحتهم ورمي أبي بكر والصحابة بالمقابل بالأباطيل والردة !

أبو بكر ذاك الرجل الذي عاش قضية الإسلام فكانت شغله الشاغل، يقول علامة الشيعة ابن شهرآشوب في كتابه (متشابه القرآن) في تفسير قول الله عز وجل ﴿ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟﴾ (فهذا عام في جميع المواضع ويدخل فيه سجدة الشكر بعد الصلاة وقد سجد النبي ﷺ لما أتي برأس أبي جهل وسجد علي لما وجدوا ذا الثدية **وسجد أبو بكر لما بلغه فتح اليمامة وقتل مسيلمة)**.[٦١٢]

رجل يسجد شكراً لله وفرحاً بانتصار الإسلام وهلاك مدع النبوة مسيلمة، ومع ذلك يُتهم بالردة والانقلاب عليه عقبيه ! . . . يُتهم في عرضه وفي دينه وفي كل شيء !

أما الشعار الإيماني الذي قاتل تحت لواءه الصحابة مسيلمة ومن معه فيذكر النوري الطبرسي في مستدرك الوسائل ١١/١١٣ عن الإمام علي بن الحسين أنه قال: كان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم مسيلمة يا أصحاب سورة البقرة.

يا له من شعار . . . ويا لعظمة هؤلاء الرجال.

أيها القارئ. . . إنّ هذه النصوص التي ذكرتها لك والتي دلت على تفاني هؤلاء الرجال في نصرة هذا الدين وعلى رأسهم الخليفة الراشد أبي بكر الصدّيق إنما هي حقائق سطّرتها كتب الشيعة الاثني عشرية أنفسهم، فكيف لو ذكرت لك ما ذكرته كتب أهل السنة عن تلك الأحداث.

حينما يدرك المرء هذه الحقيقة يعلم علم اليقين أي ضلالة ينطق بها من يطعن في أصحاب رسول الله ويجعل من الذين جاهدوا في سبيل رفعة هذا الدين رموزاً للكفر والردة والنفاق !

---

(٦١٢) متشابه القرآن ٢/ ١٧٣

ولذلك لا نعجب إن علمنا مدى إكبار وإجلال الإمام أبي جعفر (محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب) لأبي بكر الصديق، يذكر الأربلي - وهو من كبار علماء الشيعة الاثني عشرية - في كتابه (كشف الغمة في معرفة الأئمة) عن عروة بن عبد الله أنه قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي عن حلية السيوف، فقال: لا بأس به، قد حلّى أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه سيفه، قلت: فتقول الصدّيق؟!، قال: فوثب وثبة واستقبل القبلة وقال: نعم، الصدّيق نعم، الصدّيق نعم، فمن لم يقل له الصدّيق فلا صدق الله له قولاً في الدنيا ولا في الآخرة.(٦١٣)

فرحم الله الإمام أبا جعفر . . . ورحم الله كلماته التي طوتها صحف الأمس ولم تنطق بها ضمائر اليوم.

ثالثاً: قد يجد من يريد الطعن في الصحابة أنّ حجته في تطبيق الآية الكريمة على مبايعة الناس أبي بكر على الخلافة غير منطقية فيأتي للنص ليستخدمه كمطعن في أبي بكر والصحابة من خلال غزوة أحد نفسها.

ولذلك أقول بياناً لأحداث تلك الغزوة: في إطار الحديث عن غزوة أحد التي نزلت بسببها تلك الآيات، أشيع بعد هزيمة المسلمين التي كان السبب الجوهري فيها ترك الرماة لمواقعهم أنّ رسول الله ﷺ قد قُتل.

فانقسم الناس بسبب هذه الصدمة المفاجئة إلى ثلاثة أقسام: قسم استمر على ما هو عليه كأبي بكر الصدّيق(٦١٤) وعلي بن أبي طالب وأنس بن النضر وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص وأبي دجانة والزبير بن العوام ورجال من المهاجرين والأنصار.

فحين توجهت السهام تجاه رسول الله ﷺ في جهة من أرض القتال وأشيع في الجهات الآخرى مقتله عليه الصلاة والسلام فلم يدركوا ما كان

---

(٦١٣) كشف الغمة ٢/١٤٧

(٦١٤) يقول ابن أبي الحديد المعتزلي (الشيعي الغالي سابقاً) في كتابه شرح نهج البلاغة ١٥/٢١: (ولم يختلف الرواة من أهل الحديث في أنّ أبا بكر لم يفر يومئذ وأنه ثبت فيمن ثبت، وإن لم يكن نُقل عنه قتل أو قتال، والثبوت جهاد وفيه وحده كفاية).

يواجه رسول الله ومن معه في تلك الجهة، قام خمسة من الأنصار فقاتلوا دون رسول الله رجلاً رجلاً يُقتلون دونه، حتى كان آخرهم زياد أو عمارة بن زياد بن السكن، فقاتل حتى أثبتته الجراحة، ثم فاءت من المسلمين فئة حتى أجهضوهم عنه، فقال رسول الله ﷺ: ادنوه مني، فأدنوه منه فوسّد قدمه، فمات وخدّه على قدم رسول الله ﷺ وترّس دون رسول الله ﷺ أبو دجانة بنفسه يقع النبل في ظهره وهو منحن عليه، حتى كثرت فيه النبل، ورمى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله ﷺ، فقال سعد: فلقد رأيته يناولني ويقول: ارم فداك أبي وأمي .. حتى إنه ليناولني السهم ما فيه نصل، فيقول: ارم به!(٦١٥)

فأما طلحة بن عبيد الله فيكفيه شرفاً أن شُلت يده وهو يدافع عن رسول الله ﷺ، يقول قيس: (رأيت يد طلحة التي وقى بها النبي ﷺ يوم أحد شلاء). (٦١٦)

ومن حديث جابر قال: (لما كان يوم أحد، وولى الناس، كان رسول الله ﷺ في ناحية في اثني عشر رجلاً منهم طلحة، فأدركهم المشركون، فقال النبي ﷺ: (من للقوم ؟) قال طلحة: أنا، قال: كما أنت، فقال رجل: أنا، قال: أنت، فقاتل حتى قُتل، ثم التفت فإذا المشركون، فقال: من لهم؟ قال طلحة: أنا، قال: كما أنت، فقال رجل من الأنصار: أنا، قال: أنت، فقاتل حتى قُتل، فلم يزل كذلك حتى بقي مع نبي الله طلحة، فقال: من للقوم؟ قال طلحة: أنا، فقاتل طلحة قتال الأحد عشر حتى قطعت أصابعه، فقال: حسس، فقال رسول الله ﷺ: (لو قلت باسم الله، لرفعتك الملائكة والناس ينظرون) ثم رد الله المشركين). (٦١٧)

وحينما استعصى على رسول الله ﷺ صعود صخرة قعد طلحة ليصعد رسول الله عليه فيعتلي الصخرة، فعن الزبير أنه قال: (كان على النبي يوم أحد

---

(٦١٥) تاريخ الطبري ٢/ ٦٦

(٦١٦) رواه البخاري وأحمد في المسند

(٦١٧) أخرجه النسائي

درعان، فنهض إلى الصخرة فلم يستطع، فقعد طلحة تحته حتى استوى على الصخرة، قال الزبير: فسمعت النبي ﷺ يقول: (أوجب طلحة). [٦١٨]

وقد أنزل الله عز وجل خلال تلك الفترة النعاس على المؤمنين وأبقى في قلوب المنافقين الرعب، يقول أبو طلحة الأنصاري: (رفعت رأسي يوم أحد فجعلت أنظر، وما منهم يومئذ أحد إلا يميد تحت حجفته من النعاس، فذلك قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾)[٦١٩]

ويتحدث عن الطائفة التي لم يغشها النعاس قائلاً: (والطائفة الأخرى المنافقون ليس لهم إلا أنفسهم أجبن قوم وأرعبه، وأخذله للحق). [٦٢٠]

وقد كان الزبير بن العوام ممن غشيهم النعاس أمنة من الله وفضلاً، يقول الزبير: (لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ يوم أحد حين اشتد علينا الخوف، وأرسل علينا النوم، فما منا أحد إلا وذقنه - أو قال - ذقنه في صدره، فوالله أني لأسمع كالحلم قول معتب ابن قشير (لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتلنا ها هنا) فحفظتها، فأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ إلى قوله ﴿مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ لقول معتب بن قشير، قال: ﴿لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ﴾ حتى بلغ ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾. [٦٢١]

أما عمر بن الخطاب فمن الثابت في التاريخ أنه كان مع رسول الله ﷺ في اللحظات الأخيرة من الحرب حين فكّر أبو سفيان بالكر على المسلمين مرة أخرى.

وصاح وهو في أسفل الجبل: اعل هُبل (مرتين)، فأجابه عمر قائلاً: الله أعلى وأجل، فقال أبو سفيان: أين ابن أبي كبشة؟ أين ابن أبي قحافة؟ أين ابن الخطاب؟ فقال عمر: هذا رسول الله ﷺ، وهذا أبو بكر، وهذا أنا عمر.

---

(٦١٨) أخرجه الترمذي وأحمد والحاكم
(٦١٩) أخرجه الترمذي
(٦٢٠) أخرجه الترمذي
(٦٢١) الطالب العالية رقم ٤٣١٥

فقال له أبو سفيان: يوم بيوم بدر، الأيام دول وإنّ الحرب سجال، فأجابه عمر: لا سواء، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار.[٦٢٢]

أما ما ورد عن قتاله يوم أحد، فذكر الطبري أنه حين علت عالية من قريش الجبل، (قال رسول الله ﷺ: اللهم إنه لا ينبغي لهم أن يعلونا، فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم عن الجبل).[٦٢٣]

فهذا هو عمر الذي ينسبون له الردة والانقلاب على عقبيه يوم أحد!

غير أنّ الأمانة العلمية تدعوني إلى ذكر رواية ذُكرت في هذا الباب.

فعن القاسم بن عبد الرحمن بن رافع قال: انتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك إلى عمر ابن الخطاب وطلحة بن عبيد الله[٦٢٤] في رجال من المهاجرين والأنصار وقد ألقوا ما بأيديهم، فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قُتل محمد رسول الله[٦٢٥]، قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا كراماً على ما مات عليه رسول الله ﷺ ..)[٦٢٦] لكن توقف هؤلاء الصحب هذه

---

(٦٢٢) أخرجه أحمد في المسند والحاكم في المستدرك

(٦٢٣) تاريخ الطبري ٢/٦٨

(٦٢٤) والحديث ضعيف لأمور متعلقة بالسند وبالمتن كذلك:
فأما التي في السند فإنّ ابن حميد: هو يعقوب بن حميد بن كاسب ؛ ضعفه أبو حاتم وغيره، ووثقه بعضهم، وأمره لا يخلو من الضعف.
وسلمة: هو ابن رجاء التميمي، وفيه ضعف أيضاً مقارب لسابقه.
والقاسم بن عبد الرحمن بن رافع بن خديج لا يعرف وروايته هذه منقطعة.
وأما المتن فلأنّ من الثابت بأسانيد صحيحة عند السنة والشيعة أنّ طلحة بن عبيد الله كان ممن يدافع عن رسول الله ﷺ حين انهزم المسلمون وأنّ يده شُلت بسبب ذلك بينما تذكر هذه الرواية الضعيفة أنه ممن ألقى السلاح، فلو أنّ هذه الرواية صحت وخالفت غيرها من الروايات الصحيحة الثابتة لكفانا ذلك تضعيفاً لها، فكيف وإسنادها ضعيف؟

(٦٢٥) في هذا رد على من يريد الطعن في هؤلاء الصحابة ويدّعي ردتهم، فإنهم بقوا على الإيمان وعلى شهادة أنّ محمداً رسول الله لكن صدمة الإشاعة جعلتهم يحتارون ماذا يفعلون، ولو كانوا مرتدين لما قالوا (قُتل محمد رسول الله!) وإنما (قُتل محمد) ولقالوا مثل ما قاله المنافقون (لنلحق بعبد الله بن أبيّ).

(٦٢٦) تاريخ الطبري ٢/٦٦

اللحظات لا يعني أنهم لا يوفقوا إلى مواقف مشرفة في هذه الغزوة، ينصرون بها دين الله عز وجل.

فيظهر من هذه الرواية أنّ قسماً من الصحابة فاجأته الصدمة فلم يعد يعرف ماذا يفعل فاكتأب وتوقف عن القتال مع إيمانه برسول الله وحسرته على موته المفاجئ، فتوقف عن القتال حينها لكنه لم يرتد أو يلحق بعبد الله بن أبي سلول أو بجيش الكفار، وإنما كان أسير الصدمة الكبيرة.

فلعل عمر بن الخطاب وبعض الصحابة توقفوا حينها بعد سماعهم لنبأ مقتل رسول الله، ثم لما حفزّهم أنس بن النضر دب الحماس في نفوسهم إلى اللحاق برسول الله ﷺ في جنان الخلد فقاموا وقاتلوا من جديد.

وقسم بقي على الإيمان كمن سبقه ولكنه انسحب من القتال وهم عثمان بن عفان وعقبة بن عثمان وسعد بن عثمان (رجلان من الأنصار)[٦٢٧]، وهؤلاء الصحابة قد تجاوز الله عنهم زلتهم في كتابه الكريم بقوله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ۝١٥٥﴾[٦٢٨]، فبيّن الله أنه قد عفا عن جميع من تولى يوم أحد، فدخل فيهم من هو دون عثمان في الفضل والسابقة، فكيف بعثمان الذي قدّم للإسلام الكثير؟

روى البخاري أنّ رجلاً حج البيت فرأى قوماً جلوساً فقال: من هؤلاء القعود؟ قالوا: هؤلاء قريش، قال: من الشيخ؟ قالوا: ابن عمر، فأتاه فقال: إني سائلك عن شيء، أتحدثني؟ قال: نعم، قال: أنشدك بحرمة هذا البيت أتعلم أنّ عثمان بن عفان فرّ يوم أحد؟ قال: نعم، قال: فتعلمه تغيب عن بدر فلم يشهدها؟ قال: نعم، قال: فتعلم أنه تخلّف عن بيعة الرضوان فلم

---

(٦٢٧) تاريخ الطبري ٢/ ٦٩

(٦٢٨) سورة آل عمران آية ١٥٥

يشهدها؟ قال: نعم، قال: فكبّر، قال ابن عمر: تعال لأخبرك ولأبين لك عما سألتني عنه، أما فراره يوم أحد فأشهد أنّ الله عفا عنه.

وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة، فقال له النبي ﷺ: (إنّ لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه).

وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فإنه لو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان بن عفان لبعثه مكانه، فبعث عثمان، وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة، فقال النبي ﷺ بيده اليمنى: (هذه يد عثمان، فضرب بها على يده، فقال: هذه لعثمان، اذهب بهذا الآن معك).(٦٢٩)

أما القسم الأخير فهم الذين ارتدوا على أعقابهم وهم بعض أصحاب الصخرة كما ذكر الطبري في تاريخه، قالوا: ليت لنا رسولاً إلى عبد الله بن أبيّ، فيأخذ لنا أمنة من أبي سفيان، يا قوم إنّ محمداً قد قُتل فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم!(٦٣٠)

وهؤلاء هم الذين نزلت فيهم الآية ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾(٦٣١).

فأين هذه الحقائق ممن يمزجون الحق بالباطل فيجعلون أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وغالب أصحاب رسول الله من أهل الردة؟!

ولا يجعلون من الآية دليلاً على ردة هؤلاء في غزوة أحد فحسب بل على ردتهم بعد موت رسول الله في انتخابهم أبي بكر خليفة للمسلمين! أي إنصاف هذا؟ وأي ضمير يرتضي هذا التجني؟!

---

(٦٢٩) رواه البخاري والترمذي وأحمد

(٦٣٠) تاريخ الطبري ٢/ ٦٨

(٦٣١) سورة آل عمران آية ١٤٤

آية المائدة

وقد استدل بعض المتنطعين على ردة الصحابة وانقلابهم على أعقابهم بقول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤)﴾(٦٣٢).

المناقشة:

قلت: لو ترك المرء منا التعصب وتفكّر في الآية فسيجد أنها في واد وهو في واد آخر!

إنّ طالباً في المرحلة الابتدائية لم يخض ما خاضه الكبار من التعصب للمذهب، ومن المكابرة أمام الحقائق، فإنه لو طُلب منه قراءة الآية السابقة وشرح معناها فسيجيبنا بأنّ الآية ليس فيها بيان ردة أحد من الناس وإنما فيها التوعد لمن يرتد عن دينه.

لكن ماذا يفعل المتعصبة إذا ما كانت الآية التي يستدلون بها على ردة الصحابة قد نزلت وأُريد بها الأئمة الذين يدعون الانتساب إليهم وهم منهم ومن شتمهم وقذفهم لصحابة رسول الله براء.

روى ابن شهر آشوب في مناقبه والبحراني في تفسيره البرهان في تفسير القرآن نقلاً عن صحيفة الإمام الرضا عليه السلام قوله (ليس في القرآن آية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلا في حقنا)(٦٣٣).

بعد هذا النص الجلي الذي يرويه الشيعة الاثنا عشرية أين يذهب التيجاني وعلماء الشيعة الاثني عشرية وقد ألزموا أنفسهم تفسيراً للآية يقتضي الإخبار بردة من نزلت فيه الآية، والنص يجزم بنزولها في الأئمة من أهل

---

(٦٣٢) سورة المائدة آية ٥٤

(٦٣٣) المناقب ص٣ ح٥٣ والبرهان ١/ ٣٥٩ سورة البقرة آية ١٥٣

البيت! هل يستطيعون القول بردة أهل البيت عياذاً بالله ؟! لسنا نرضى بهذا ولا هم يستطيعون ذلك !

لولا أنّ قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ لا يأتي إلا بخير لمن نودوا من ربهم بهذا النداء لما قال الإمام الرضا مقولته تلك ليجعل نفسه وأهل البيت مع من قيلت فيه هذه الآية، فشتان بين فهم الرضا وأهل البيت وبين فهم التيجاني ومن معه !

بل ماذا تراهم يفعلون مع هذه الرواية؟

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ (ما أنزل الله عز وجل آية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ إلا وعلي رأسها وأميرها.[(٦٣٤)]

والآية تقول ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾، فهل كان الإمام علي أميراً لأهل الردة - عياذاً بالله - ؟!

إنّ هذه الآية التي بين أيدينا والتي يستدل بها علماء الشيعة الاثني عشرية على ردة الصحابة وانقلابهم على أعقابهم لهي أعظم دليل على عظمة هؤلاء الصحابة وتفانيهم في الدفاع عن الإسلام لا على ردتهم وانقلابهم على أعقابهم!!

فإن أردت أن تستنطق الآيات الكريمات وأن تتلمس المعاني الجليلة التي تحكيها في صحابة رسول الله ﷺ فقف عند كل عبارة من عباراتها وتفكّر.

﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ . . . إنّ الله عز وجل يحب صحابة نبيه وهم محبون له . . . قد شهد لهم بالرضوان فقال ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ وهم حينئذ ألوف يتخللهم الخلفاء الأربعة، ورضا الله عنهم يوجب محبته لهم.

---

(٦٣٤) اليقين في إمرة أمير المؤمنين ص١٧٤، ١٧٧ وبحار الأنوار ٤٠/ ٢١

﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ .. ذاك هو المثال الحي لواقع صحابة رسول الله ... تراحمهم أكسبهم الانكسار والتذلل فيما بينهم وشدتهم على الكفار وفي أمر الله أكسبتهم العزة والظفر على الكفار والمشركين .. قد حُبب إليهم الإيمان ومن حُبب إليه الإيمان فقد أحبه الله، قال تعالى فيهم ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ .. وقال فيهم ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾.

﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ ... هذه حقيقة لا يجادل فيها إلا قليل الإنصاف ... فهم الذين تركوا المال والولد وقاتلوا جنباً إلى جنب مع رسول الله ... قاتل الرجل منهم قومه وعشيرته .. منهم من قاتل أباه أو أخاه أو ابنه واسترخص دمه من أجل رفعة هذا الدين .. لا يخاف في ذلك لومةَ من لائم أو كلمة من عائب.

هذا دربهم وهذه طريقتهم ... جاهدوا مع الخليفة أبي بكر في دحر المرتدين وانتصروا عليهم واستشهد منهم من استشهد دفاعاً عن هذا الدين ثم بعد هذا كله يأتي من يتناسى أهل الردة ويوجه سهامه لهؤلاء الصحابة مدّعياً أنّ الآية نزلت في ردتهم وانقلابهم على أعقابهم !

عجباً .. كل هذا التفاني وهذه الشهادات القرآنية أُهدرت ومُحيت ؟! ... أترضى بهذا الضمائر والأفئدة الحية؟

لكن تبقى الشهادة التي لن يستطيع أحد التنصل منها ولا محوها ... شهادة الآية الكريمة بأنّ أهل الإيمان سيحالفهم النصر والتمكين فينالوا العزة والكرامة، بينما يحيق بأهل الردة مكرهم السيء وتغشاهم الذلة.

هذه حقيقة يلمسها كل من قرأ التاريخ وتجلت له عزة الصحابة وعلى رأسهم الخليفة أبي بكر وذل زعماء الردة (مسيلمة والعنسي وسجاح) وخيبتهم.

وفيما يلي دلائل أخر أقوى دلالة وأظهر بياناً:

يقول محمد جواد مغنية في تفسير الآية (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ الارتداد هو الكفر بعد الإسلام وقال أهل السير والتاريخ: إنّ ثلاثة ارتدوا وادعوا النبوة على عهد رسول الله ﷺ بعد أن آمنوا به. الأول: الأسود العنسي، تنبا في اليمن وأخرج عمال رسول الله ﷺ منها ولكنه قُتل قبل وفاة النبي ﷺ بيوم واحد، الثاني: مسيلمة الكذاب ادعى النبوة وكتب إلى محمد ﷺ (من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، أما بعد فإني شريك معك في الأمر، والأرض بيننا مناصفه) وقتل في عهد أبي بكر، الثالث: طليحة بن خويلد، ادعى النبوة ثم عاد وأسلم. أما سجاح فقد ادعت النبوة في خلافة أبي بكر وتزوجها مسيلمة).(٦٣٥)

وبكلام أصرح يقول المؤرخ الشيعي سعد القمي في كتابه (المقالات والفرق): (وارتد قوم فرجعوا عن الإسلام، ودعت بنو حنيفة إلى نبوة مسيلمة وقد كان ادعى النبوة في حياة رسول الله ﷺ فبعث أبو بكر إليهم الخيول عليها خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي فقاتلهم وقُتل من قُتل ورجع من رجع منهم إلى أبي بكر فسمّوا أهل الردة).(٦٣٦)

ويقول الإمام علي عن إمساكه عن بيعة الخليفة الراشد أبي بكر في بادئ الأمر ثم مبايعته لأبي بكر ومؤازرته له وللصحابة في دحر المرتدين (فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة للناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد ﷺ فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل ..)(٦٣٧)

ويقول: (فمشيت عند ذلك إلى أبي بكر فبايعته ونهضت في تلك الأحداث حتى زاغ الباطل وزهق، وكانت كلمة الله هي العليا ولو كره

---

(٦٣٥) تفسير الكاشف - محمد جواد مغنية ص - بيروت - دار العلم للملايين - الطبعة الثالثة ١٩٨١.

(٦٣٦) المقالات والفرق ص٤

(٦٣٧) نهج البلاغة ص٦٢

الكافرون، فتولى أبو بكر تلك الأمور فيسّر وسدد وقارب واقتصد فصحبته مناصحاً وأطعته فيما أطاع الله فيه جاهداً). [٦٣٨]

ولذلك وجد السيد محمد كاشف آل الغطاء نفسه مضطراً للاعتراف بهذه الحقيقة فقال عن الإمام علي: (وحين رأى أنّ الخليفتين - أعني الخليفة الأول والثاني - بذلا أقصى الجهد في نشر كلمة التوحيد وتجهيز الجنود وتوسيع الفتوح ولم يستأثرا ولم يستبدا، بايع وسالم). [٦٣٩]

نشرا كلمة التوحيد وجهزا الجيوش في سبيل الله وفتحا الفتوح ثم يُتهمان بأنهما رأسي الكفر والنفاق والردة ! فيالله ويالِلإنصاف !

إنّ علماء الشيعة الاثني عشرية عندما يذكرون هذه الآية ويعدّونها من الدلائل البينات على ارتداد الصحابة يريدون بذلك أن يبينوا بأنّ القوم الذين يحبهم الله ويحبونه والأذلة على المؤمنين الأعزة على الكافرين والذين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم هم شيعة الأئمة!؟

لكن ما رأي الأئمة أنفسهم في شيعتهم، هل كانوا ينظرون إليهم بنفس نظرة علماء الشيعة الاثني عشرية اليوم؟

يقول الإمام علي بن أبي طالب في نهج البلاغة واصفاً جهاد شيعته (فيا عجباً! عجباً والله يميت القلب ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم فقبحاً لكم وترحاً حين صرتم غرضاً يُرمى يُغار عليكم ولا تغيرون وتُغْزَوْن ولا تَغزون، ويُعصى الله وترضون، فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر قلتم هذه حَمارَّةُ القيْظ أمهلنا يسبخ عنا الحر وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتم هذه صَبارَّةُ القُر، أمهلنا ينسلخ عنا البرد كل هذا فراراً من الحر والقر تفرون فأنتم والله من السيف أفر، يا أشباه الرجال ولا

---

(٦٣٨) الغارات للثقفي ٢/ ٣٠٥، ٣٠٧

(٦٣٩) أصل الشيعة الاثني عشرية وأصولها ص١٢٣-١٢٤

رجال، حلوم الأطفال وعقول ربات الحجال، لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم معرفة، والله جرت ندماً وأعقبت سدماً فأذلكم الله، لقد ملأتم قلبي قيحاً، وشحنتم صدري غيظاً وجرعتموني نُغب التَّهام أنفاساً، وأفسدتم على رأياً بالعصيان والخذلان)(٦٤٠)

ويقول في موضع آخر يصفهم (أيها الناس المجتمعة أبدانهم المختلفة أهواؤهم كلامكم يُوهي الصُّمَّ الصِّلاب وفعيلكم يطمع فيكم الأعداء تقولون في المجالس كيت وكيت فإذا جاء القتال قلتم حِيْدِي حَيَادِ . . . المغرور والله من غررتموه، ومن فاز بكم فقد فاز والله بالسهم الأخيب ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل، أصبحت والله لا أصدق قولكم ولا أطمع في نصركم ولا أوعد العدو بكم)(٦٤١)

ويقول في موضع آخر (الذليل والله من نصرتموه، ومن رمى بكم فقد رُمي بأفق ناصل، وإنكم والله لكثير في الباحات، قليل تحت الرايات. . .أضرع الله خدودكم(٦٤٢) وأتعس جُدُودكم لا تعرفون الحق كمعرفتكم الباطل، ولا تبطلون الباطل كإبطالكم الحق)(٦٤٣)

ويقول في موضع آخر (استنفرتكم للجهاد فلم تنفروا، وأسمعتكم فلم تسمعوا، ودعوتكم سراً وجهراً فلم تستجيبوا، ونصحت لكم فلم تقبلوا. . .ثم يقول: لوددت والله أنّ معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم فأخذ مني عشرة منكم وأعطاني رجلاً منهم)(٦٤٤)، فأين هذا كله من القوم الذين ذكرتهم الآية الكريمة ﴿يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾؟!

وهذا هو الإمام الحسن بن علي يصف شيعته بعد أن طعنوه وسمّوه مذل

---

(٦٤٠) نهج البلاغة ص٨٨-٩١

(٦٤١) راجع نهج البلاغة ص٩٤-٩٦

(٦٤٢) أي أذل الله وجوهكم

(٦٤٣) نهج البلاغة ص١٤٣-١٤٤

(٦٤٤) المصدر السابق ص ٢٢٤

المؤمنين (أرى والله أن معاوية خير لي من هؤلاء يزعمون أنهم لي شيعة ابتغوا قتلي وانتهبوا ثقلي وأخذوا مالي، والله لئن آخذ من معاوية عهداً أحقن به دمي وآمن به في أهلي، خير من أن يقتلوني فتضيع أهل بيتي وأهلي)[٦٤٥]!

ويقول أيضاً: (يا أهل العراق، إنه سخى بنفسي عنكم ثلاث: قتلكم أبي، وطعنكم إياي وانتهابكم متاعي)[٦٤٦].

وهذا هو الإمام الحسين يوجه كلامه إلى الشيعة فيقول: (تباً لكم أيتها الجماعة وترحاً وبؤساً لكم حين استصرختمونا ولهين، فأصرخناكم موجفين، فشحذتم علينا سيفاً كان في أيدينا، وحمشتم علينا ناراً أضرمناها على عدوّكم وعدوّنا، فأصبحتم إلباً على أوليائكم، ويداً على أعدائكم من غير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم، ولا ذنب كان منا إليكم، فهلا لكم الويلات إذ كرهتمونا والسيف مشيم، والجأش طامن)[٦٤٧].

وهذا هو الإمام الباقر يصف شيعته فيقول (لو كان الناس كلهم لنا شيعة لكان ثلاثة أرباعهم لنا شكاكاً والربع الآخر أحمق)[٦٤٨].

وأما الإمام موسى بن جعفر الكاظم فيكشف عن أهل الردة في رأيه فيقول (لو ميزت شيعتي لم أجدهم إلا واصفة ولو امتحنتهم لما وجدتهم إلا مرتدين !!! ولو تمحصتهم لما خلُص من الألف واحد !! ولو غربلتهم غربلة لم يبق منهم إلا ما كان لي، إنهم طالما اتكأوا على الأرائك، فقالوا: نحن شيعة علي، إنما شيعة علي من صدق قوله فعله)[٦٤٩].

فإذا كانت هذه صفات شيعة الأئمة الأحد عشر فماذا عن شيعة القائم (المهدي المنتظر)؟

---

(٦٤٥) الإحتجاج للطبرسي ٢/ ٢٩٠

(٦٤٦) لقد شيعني الحسين هامش ص٢٨٣

(٦٤٧) المصدر السابق ٢/ ٣٠

(٦٤٨) رجال الكشي ص١٧٩

(٦٤٩) الروضة من الكافي ٨/ ١٩١ تحت عنوان (إنما شيعة علي من صدق قوله فعله) رقم ٢٩٠

روى الطوسي في كتابه (الغيبة) عن عميرة بنت نفيل قالت: سمعت الحسن بن علي عليه السلام يقول: لا يكون هذا الأمر الذي تنتظرون حتى يبرأ بعضكم من بعض ويلعن بعضكم بعضاً ويتفل بعضكم في وجه بعض، وحتى يشهد بعضكم بالكفر على بعض، قلت: ما في ذلك خير، قال: الخير كله في ذلك، عند ذلك يقوم قائمنا فيرفع ذلك كله[٦٥٠].

وتأتي الروايات الشيعية لتجعل من الذين لعنوا بعضهم بعضاً وتبرأ بعضهم من بعض وكفّر بعضهم بعضاً جند الله الذين استبدل الله بهم صحابة رسول الله!

بدقائق وبمجرد خروج مهدي الشيعة الاثني عشرية (محمد بن الحسن العسكري) يتحول هؤلاء إلى أحباب وإلى مخلصين وإلى جنود أشداء[٦٥١].

هذا إن تناسينا الشكوك التي أحاطت بكثير من الشيعة الذين عاصروا وفاة الحسن العسكري في وجود ابن له..

فقد ذكر النوبختي في كتابه (فرق الشيعة) وسعد القمي في كتابه (المقالات والفرق) تفرق الشيعة آنذاك وتكذيب أكثرهم لوجود هذا الابن باستثناء طائفة واحدة وهي الشيعة الاثنا عشرية.

ومن يستقرئ روايات الشيعة الاثني عشرية في محمد بن الحسن العسكري يدرك أنّ الشخصية أسطورية وليس لها نصيب من الواقع.

---

(٦٥٠) الغيبة للطوسي ص٤٣٧

(٦٥١) المهدي عند أهل السنة اسمه محمد بن عبد الله وهو من عترة النبي صلوات الله وسلامه عليه والأحاديث التي ذُكرت في حاله تختلف عن تلك التي ذكرها الشيعة الاثنا عشرية في حال مهديهم (محمد بن الحسن العسكري)، ومن يستقرئ الأحاديث المذكورة في المهدي محمد بن عبد الله يجد أنّ الأمة الإسلامية ستتوحد على يديه لا أنّ خروجه في الناس سيُغير نفوس الناس ويجعل من غير المخلص مخلصاً ومن المرتد مؤمناً.

حديث المذادة عن الحوض

ولعل من أبرز ما استدل به الشيعة الاثناعشرية على ردة الصحابة وانقلابهم على أعقابهم حديث المذادة عن الحوض والذي روي بأكثر من لفظ عند السنة والشيعة الإثني عشرية.

من هذه الروايات قول رسول الله ﷺ (يرد عليّ رجال أعرفهم ويعرفونني فيذادون عن الحوض، فأقول أصحابي أصحابي، فيُقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك)[٦٥٢]

المناقشة:

قد تبين لك أيها القارئ من خلال حديثنا عن قوله ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ وقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ أنّ رسول الله ﷺ قد أغمض عينيه عن رجال من أصحابه كانوا على الإيمان فزلزل الله عز وجل من في قلبه مرض فارتد عن الإسلام واتبع مسيلمة الكذّاب وطليحة بن خويلد والأسود العنسي وسجاح، وقد أثبتنا ذلك من كتب السنة والشيعة الاثني عشرية ومن استنتاجات العقل.

وهذا الحديث يشير بكل وضوح إلى هؤلاء النفر الذين مات رسول الله ﷺ وهم على الإيمان فانقلبوا على أعقابهم واستبدلوا الإيمان بالكفر فسلّط الله عليهم جند الإيمان الأذلة على المؤمنين، الأعزة على الكافرين، فمات من هؤلاء المرتدين من مات ليلقى رسول الله ﷺ فيُذاد به عن الحوض ورجع إلى الإيمان من رجع (والله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر).

لكن ماذا يريد علماء الشيعة الاثني عشرية من إثارة هذا الحديث أمام البسطاء من الناس.

---

(٦٥٢) رواه البخاري

لعلك أدركت أيها القارئ أنّ علماء الشيعة الإثني عشرية أرادوا الطعن في كبار صحابة رسول الله (أبو بكر وعمر وعثمان وعائشة وحفصة والزبير وطلحة وغيرهم) والحديث بالنسبة لهم صيد ثمين، إذ يُمكن لهم أن يجعلوا هؤلاء الصحب ممن أحدثوا بعد رسول الله فيستحقوا البوار والخسران يوم القيامة، هكذا بكل سهولة !

ولذا تجد أنّ علماء الشيعة الاثني عشرية قد اجتهدوا في عدّ وحصر ما يرونه إحداثاً في دين الله من قبل هؤلاء الصحب وألّفوا في ذلك المصنفات لإقناع الناس بصحة ما يدّعونه في صحابة رسول الله، لكن ماذا يفعل هؤلاء الحماسيون لو أنّ حماسهم ورغبتهم في التشفي من أصحاب رسول الله قابله حماس آخر من إباضي أو ناصبي حاقد على الإمام علي ففعل مع الإمام علي ما يفعله هؤلاء مع باقي الصحابة؟

فالظلم والبهتان لا يُعرف له صاحب، ولا يظنن أحدٌ أنّ الظلم يقع على أناس دون آخرين، وأنّ سهامه التي يوجهها لصحابة رسول الله ستصيب قوماً وتستثني آخرين.

فالحديث عام لا يستثني عمار بن ياسر ولا المقداد بن الأسود ولا أبا ذر وسلمان الفارسي ممن يجلهم الشيعة الاثنا عشرية بل لا يستثني الحديث علياً نفسه !

وكل من في قلبه غل على صحابي يستطيع وفقاً لميزانه الأعوج أن يجعله ممن انقلبوا على أعقابهم !

ولتقرأ معي ما سيقوله الناصبي الحاقد بتمعن وإنصاف لترى كيف يُمكن للنظرية الشيعية أن تنسف نفسها بنفسها!

على أني منذ البداية أبرأ إلى الله من الطعن في الإمام علي صراحة أو ضمناً، فالإمام علي صحابي جليل له مكانته ومقامه ولا نرتضي فيه طعناً أو انتقاصاً كما لا نرتضي ذلك في باقي الصحابة.

لكن أريدك أن تقرأ وتستشعر معي ظلم الشيعة الاثني عشرية لأبي بكر وعمر وعثمان وباقي الصحابة، وتتلمس كيف يُمكن أن ينقلب هذا الظلم ظلماً

لعلي بن أبي طالب كذلك حينما تكون الكلمة للناصبي والعدو المستهدف هو علي بن أبي طالب.

يقول الناصبي: لقد رأيت في علي بن أبي طالب مثالاً للإحداث بعد رسول الله.

فقد قيل لرسول الله ﷺ (إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك).

وقد ترك علي بن أبي طالب الإمامة وهي أعظم أركان الدين والتي وردت فيها روايات شيعية كثيرة في بيان منزلتها وكونها أصلاً للدين لا يقوم إلا به.

وتخلى عن الزهراء عليها السلام يوم أن ضُربت وصُبّت عليها المصائب!

ولم يقدّم تجاه قضية فدك المغصوبة أي شيء فلم ينتصر لبنت رسول الله !

وحكّم الرجال في كتاب الله وكل من شارك في التحكيم كافر (علي وأبو موسى الأشعري ومعاوية وعمرو بن العاص)[٦٥٣].

وقد قال رسول الله ﷺ في الحديث (فأقول: يا رب مني ومن أمتي؟ فيُقال: أما شعرت ما عملوا بعدك).

فالرسول عليه الصلاة والسلام قال (مني ومن أمتي) ويدل ذلك على أنّ هذا الشخص من رسول الله والرسول منه، وقد قال رسول الله ﷺ في علي بن أبي طالب (علي مني وأنا من علي).

وقال عن المبدلين من بعده (أمراء يكونون من بعدي فمن غشي أبوابهم، فصدّقهم في كذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه)،

---

(٦٥٣) هذه الاطروحة هي اطروحة الخوارج فلعل المتكلم مثلاً خارجياً ناصبياً وليس ناصبياً فحسب.

وقد غشي علي بن أبي طالب الظلمة أبا بكر وعمر وعثمان[٦٥٤] وكان مستشاراً ووزيراً لهم كما تشهد بذلك كتب الشيعة الاثني عشرية من أولها إلى آخرها.

وقد توعده الرسول عليه الصلاة والسلام في الحديث بسحب المنزلة التي أعطيت له بقوله (فليس مني ولست منه) . . لأنّ رسول الله ﷺ ما كان يعلم بما سيحدثه من بعده من الركون للظلمة وحب الدنيا والأعطيات والامتيازات.

وقوله عليه الصلاة والسلام (فإذا جئتم قال الرجل: يا رسول الله، أنا فلان بن فلان، فأقول أما النسب فقد عرفته ولكنكم أخذتم بعدي ذات الشمال وارتددتم على أعقابكم القهقرى).

والرجل الذي أتى رسول الله لم يقل له (أنا فلان بن فلان) لتعريف النبي عليه الصلاة والسلام به، لأنّ الرسول ﷺ قد صرّح بالحديث ذاته عن الذين يأتونه (أعرفهم ويعرفوني) لكن الرجل أراد الإشارة إلى نسبه وقربه من رسول الله ﷺ ظناً أنّ ذلك سيشفع له فيجيبه الرسول بقوله (أما النسب فقد عرفته) أي أنّ النسب والقرابة لها مقامها لكن ليس مع الإحداث من بعدي، وهذا ما حصل حين تركت ابنتي تُضرب ولم تفعل شيئاً وحين فعلت كذا وكذا.

ويقول الناصبي: وما يؤكد أنّ ذاك الرجل هو علي بن أبي طالب هو صدر حديث المذادة عن الحوض حيث يقول النبي عليه الصلاة والسلام (ما بال أقوام يقولون إنّ رحم رسول الله ﷺ لا يشفع يوم القيامة، بلى، والله إنّ رحمي لموصولة في الدنيا والآخرة وإني أيها الناس فرطكم يوم القيامة على الحوض فإذا جئتم قال الرجل يا رسول الله أنا فلان بن فلان، فأقول: أما النسب فقد عرفته ولكنكم أخذتم بعدي ذات الشمال وارتددتم على أعقابكم القهقرى)[٦٥٥]

(٦٥٤) وفقاً لرؤية الشيعة الإثني عشرية
(٦٥٥) بحار الأنوار ٧/ ٢٣٩ نقلاً عن أمالي الطوسي

فالرجل قد جاء متصوراً أنّ رحمه وقرابته ونسبه سيشفعان له إحداثه وتبديله لدين المصطفى، فيقرر الرسول عليه الصلاة والسلام في هذه الرواية الشيعية أنّ القرابة شافعة لكنها لن تنفع من أحدث وارتد على عقبيه.

ومما يؤكد أنّ المراد هنا علي بن أبي طالب هو ما ورد في كتب الشيعة الاثني عشرية من أحاديث كثيرة تفيد أنّ الناس يُدعون يوم القيامة بأسماء أمهاتهم(٦٥٦)، لكن الرجل الذي أخبر عنه المصطفى عليه الصلاة والسلام هو من رحم رسول الله وقد أخبر الرسول الكريم بكل صراحة أنّ هذا الرجل سيقول (أنا فلان بن فلان) لا (فلان بن فلانة).

فإن حاولت الدفاع عن علي بن أبي طالب واستشهدت بحديث لعمار أو موقف له أو لغيره فأخبرك منذ البداية أنهم ممن انقلب على عقبيه مع علي بن أبي طالب والحديث يشملهم، فارتضاءهم له وتزكيتهم له وقبولهم لتحكيم الرجال كاف لاستحقاقهم المصير ذاته، فإن قلت: وأين الأحاديث التي وردت في فضل علي وعمار وفلان وفلان أجبتك بأنّ فضائل أبي بكر وعمر وفلان وفلان لم تشفع لهم عندكم بل قلتم بانقلابهم على أعقابهم وشككتم بتلك الفضائل، وكذلك الحال في علي بن أبي طالب ولا فرق!

أقول مخاطباً أرباب الضمائر الحية: هكذا تنسف النظرية الشيعية نفسها بنفسها.. ولن يستطيع الرد على هذا الناصبي الحاقد إلا أهل السنة، الذين عرفوا لصحابة رسول الله حقهم وفضائلهم وأدركوا أبعاد أحداث الفتنة

---

(٦٥٦) روى الأربلي في كتابه كشف الغمة ١/١٤٢ عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ لعلي (عليه السلام) ألا أبشرك ألا أمنحك؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: فإني خلقت أنا وأنت من طينة واحدة ففضلت منها فضلة فخلق منها شيعتنا، فإذا كان يوم القيامة دعي الناس بأمهاتهم إلا شيعتك فإنهم يدعون بآبائهم لطيب مولدهم.

وفي كتاب صفات الشيعة ص١٦ عن محمد بن يحيى بن سدير قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام) إذا كان يوم القيامة دعي الخلائق بأمهاتهم ما خلانا وشيعتنا فإنا لا سفاح بيننا.

وأسبابها، وقالوا للناصبي وللشيعي الإمامي: على رسلكما ... إنّ الذين أحدثوا بعد رسول الله ﷺ فئة ارتدت عن الإسلام ... قاتلها أبو بكر وعلي والصحابة ... فلقي حتفه من تلك الفئة من لقي وهو على الكفر، ليذاد يوم القيامة عن الحوض والرسول عليه الصلاة والسلام يقول (أصحابي أصحابي) والملائكة تجيبه (إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك).

ما أجمل الإنصاف وأندره ... وما أجمل أن يدرك المرء المعاني الجليلة التي يذكرها هذا الحديث ... لكن ماذا تفعل مع التعصب وأهله.

حب الإمام علي وأبنائه للصحابة

بين ركام هائل من الروايات الشيعية الشاتمة لصحابة رسول الله، والأدعية اللاعنة لهم، تبقى حقيقة لن تخفيها تلك المرويات، حقيقة الحب الذي يكنه علي بن أبي طالب لأصحاب رسول الله ﷺ، تلك الذكريات وتلك المشاهد العظيمة التي شاركهم فيها جنباً إلى جنب، وبقيت في ذاكرته وأمام عينيه لحظة بلحظة وحادثة بحادثة، على عكس الأطروحة الشيعية التي لا تظهر علاقته بهم وبالأخص الخلفاء الثلاثة إلا بمظهر البغضاء والتنافر ولا تصوره إلا بصورة الحاقد الصامت الذي لا يتعامل معهم بحضرتهم إلا بتقية وحذر ولا يتحدث عنهم من ورائهم إلا بسوء ولعن وكلام يُنبئ عن رغبة في الانتقام !

الصورة الحقيقية الناصعة البياض تبقى وما سواها يطيش، إنها تتجلى في أهم كتاب عند الشيعة الاثني عشرية (نهج البلاغة)، تلك النصوص كفيلة بهدم الأطروحة القائمة على لعن وسب صحابة رسول الله والقول بردتهم وانقلابهم على أعقابهم من بعده !

ولندع علي بن أبي طالب بنفسه يصوّر لنا صحابة رسول الله كما رآهم وعاينهم، إذ يقول: (لقد رأيت أصحاب محمد فما أرى أحداً يشبههم، لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً، وقد باتوا سُجداً وقياماً، يراوحون بين جباههم وخدودهم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأنّ بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم، إذا ذُكر الله هملت أعينهم حتى تبل جيوبهم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفاً من العقاب ورجاء الثواب)[٦٥٧]

(٦٥٧) نهج البلاغة ص١٨٢-١٨٩

وهو يتحسر على فراقهم ويرثيهم بعد موتهم كحال أي محب فارق من يحبه فيقول: (أين القوم الذين دُعوا إلى الإسلام فقبلوه، وقرأوا القرآن فأحكموه وسلبوا السيوف أغمادها وأخذوا بأطراف الأرض أطرافها زحفاً زحفاً وصفاً صفاً، مُره العيون من البكاء، خُمص البطون من الصيام، ذُبل الشفاه من الدعاء، صُفر الألوان من السهر، على وجوههم غبرة الخاشعين، أولئك إخواني الذاهبون، فحق لنا أن نظمأ إليهم، ونعضّ الأيدي على فراقهم)[٦٥٨]

ما أجمل وأعظم هذه الكلمات .... أين الذين يدّعون اتباعك أيها الامام العظيم من هذه التصريحات الهامة ؟!

نهج البلاغة والثناء العطر على عمر بن الخطاب!

قد يبدو غريباً أن يحتوي نهج البلاغة على مدح عمر بن الخطاب لكنها الحقيقة التي لم يستطع إغفالها حتى الشريف الرضي مؤلف كتاب (نهج البلاغة).

هذه النصوص الجلية الواضحة في أبرز وأشهر كتاب للشيعة تُعدّ إدانة صريحة للعقيدة التي خالفت المنقول والمعقول في تبنيها الغلو في الأئمة وفي قدحها في صحابة رسول الله.

ماذا يُمكن أن يقول المنصف الذي يقبل الحقيقة حيثما كانت ويُسلّم لها ولا يقبل أن يكون ممن قال الله فيهم ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾﴾[٦٥٩] ؟

هذا علي بن أبي طالب يخاطب عمر بن الخطاب بعد أن استشاره في

(٦٥٨) نهج البلاغة ص٢٣٥
(٦٥٩) سورة الأحزاب آية ٦٧

غزو الروم فيقول: (إنك متى سرت إلى هذا العدو بنفسك، فتلقهم فتنكب، لا تكن للمسلمين كانفة[٦٦٠] دون أقصى بلادهم. ليس بعدك مرجع يرجعون إليه، فابعث إليهم رجلاً محرباً، واحفز معه أهل البلاء[٦٦١] والنصيحة، فإن أظهر الله فذاك ما تُحب، وإن تكن الأخرى، كنت ردأ[٦٦٢] للناس ومثابة[٦٦٣] للمسلمين)[٦٦٤].

ويخاطب عمر قائلاً: (فكن قطباً، واستدر الرحا بالعرب، وأصلهم دونك نار الحرب، فإنك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها، حتى يكون ما تدع وراءك من العورات أهم إليك مما بين يديك.

إنّ الأعاجم إن ينظروا إليك غداً يقولوا: هذا أصل العرب، فإذا اقتطعتموه استرحتم، فيكون ذلك أشد لكلبهم عليك، وطمعهم فيك)[٦٦٥].

ويمدحه بعد موته قائلاً: (لله بلاء فلان[٦٦٦]، فلقد قوّم الأود[٦٦٧]، وداوى العمد[٦٦٨]، وأقام السنة، وخلّف الفتنة[٦٦٩]! ذهب نقي الثوب، وقليل العيب. أصاب خيرها، وسبق شرها. أدّى إلى الله طاعته، واتقاه بحقه. رحل وتركهم في طرق متشعبة، لا يهتدي بها الضال، ولا يستيقن المهتدي)[٦٧٠].

---

(٦٦٠) عاصمة يلجؤون إليها
(٦٦١) أهل المهارة في الحرب، والبلاء: هو الإجادة في العمل وإحسانه.
(٦٦٢) الردء بالكسر هو الملجأ
(٦٦٣) المثابة: المرجع
(٦٦٤) نهج البلاغة خطبة رقم ١٣٤ (ومن كلام له عليه السلام وقد شاوره عمر بن الخطاب في الخروج إلى غزو الروم).
(٦٦٥) نهج البلاغة ص٢٠٣ خطبة ١٤٦ (ومن كلام له عليه السلام وقد استشاره عمر بن الخطاب في الشخوص لقتال الفرس بنفسه)
(٦٦٦) أي لله ما فعل من الخير
(٦٦٧) قوّم الاعوجاج
(٦٦٨) العمد - بالتحريك -: العلة
(٦٦٩) أي تركها خلفه، لا هو أدركها ولا هي أدركته
(٦٧٠) نهج البلاغة ص٣٥٠ خطبة رقم ٢٢٨

يقول ابن أبي الحديد تعليقاً على هذا النص في شرحه لنهج البلاغة: (ويروى (لله بلاء فلان) أي: لله ما صنع، وفلان المكنى عنه عمر بن الخطاب، وقد وجدت النسخة التي بخط الرضي أبي الحسن جامع نهج البلاغة وتحت فلان عمر، حدثني بذلك فخّار بن معد الموسوي الأودي الشاعر، وسألت عنه النقيب أبا جعفر يحيى بن أبي زيد العلوي، فقال لي: هو عمر، فقلت له: أيثني عليه أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا الثناء، قال: نعم، أما الإمامية فيقولون إنّ ذلك من التقية واستصلاح أصحابه !!!، وأما الصالحيون من الزيدية فيقولون إنه أثنى عليه حق الثناء ولم يضع المدح إلا في موضعه ونصابه، وأما الجارودية من الزيدية فيقولون إنه كلام قاله في أمر عثمان أخرجه مخرج الذم له والتنقص لأعماله كما يُمدح الآن الأمير الميت في أيام الأمير الحي بعده فيكون ذلك تعريضاً به !!!، فقلت له: إلا أنه لا يجوز التعريض والاستزادة الحاضر بمدح الماضي إلا إذا كان ذلك المدح صدقاً لا يخالطه ريب ولا شبهة، فإذا اعترف أمير المؤمنين بأنه أقام السنة وذهب نقي الثوب قليل العيب وأنه أدى إلى الله طاعته واتقاه بحقه فهذا غاية ما يكون من المدح، وفيه إبطال قول من طعن في عثمان بن عفان، لم يجبني بشيء، وقال هو ما قلت لك!

فأما الراوندي فإنه قال في الشرح إنه (عليه السلام) مدح بعض أصحابه بحسن السيرة وإنّ الفتنة هي التي وقعت بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) من الاختيار والأثرة، وهذا بعيد لأنّ لفظ أمير المؤمنين يشعر إشعاراً ظاهراً بأنه يمدح والياً ذا رعية وسيرة، ألا تراه كيف يقول (فلقد قوّم الأود وداوى العمد وأقام السنة وخلف الفتنة) وكيف يقول (أصاب خيرها وسبق شرها) وكيف يقول (أدى إلى الله طاعته) وكيف يقول (رحل وتركهم في طرق متشعبة))[٦٧١]

وقد أثنى على عمر أيضاً فقال: (ووليهم وال فأقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه).

(٦٧١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٢/ ٣

يقول ابن أبي الحديد: (الجران مقدم العنق، وهذا الوالي هو عمر بن الخطاب). (٦٧٢)

وليس أدل على هذه العلاقة الطيبة المتينة بين عمر وعلي من تزويج علي ابنته أم كلثوم لعمر بن الخطاب كما اعترفت بذلك كتب ومصادر الشيعة الاثني عشرية. (٦٧٣)

مالك الأشتر والشيخان أبو بكر وعمر

وهذا مالك الأشتر النخعي صاحب علي بن أبي طالب المقرب كما تسطر كتب التاريخ، يثني على الشيخين أبي بكر وعمر ثناء عطراً، ورغم أنّ لمالك الأشتر مكانة عظيمة عند الشيعة الاثني عشرية الإمامية إلا أنّ قولاً كهذا في أبي بكر وعمر لا يكاد يُذكر في المجالس الحسينية التي لا تخلو عادة من الطعن في الشيخين والحديث عن الخلافة المغتصبة! كحال بعض أسماء شهداء كربلاء من آل علي وآل الحسين الذين حملوا أسماء أبي بكر وعمر اللذين تتهمهما الشيعة الاثنا عشرية بأنهما عدوا أهل البيت!

يقول الأشتر: (أما بعد فإنّ الله تبارك وتعالى أكرم هذه الأمة برسوله محمد ﷺ فجمع كلمتها وأظهرها على الناس، فلبث بذلك ما شاء الله أن يلبث ثم قبضه الله عز وجل إلى رضوانه ومحل جنانه. ثم ولي من بعد قوم صالحون عملوا بكتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ وجزاهم بأحسن ما أسلفوا من الصالحات)(٦٧٤)

---

(٦٧٢) المصدر نفسه ٢٠/٢١٨

(٦٧٣) إنّ هذا الزواج يبطل الروايات المكذوبة والتي تحكي أنّ عمر بن الخطاب ضرب فاطمة برجله حتى سقط جنينها !! هب أنّ رجلاً ضرب زوجتك وتسبب في قتل ولدك، هل تزوجه من ابنتك؟!! وهل ترضى أن يكون صهرك؟!! بل وتسمي أحد أبناءك باسمه !! للاطلاع على هذه الحقيقة التاريخية يمكنك مراجعة كتاب (زواج عمر بن الخطاب من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب - حقيقة لا افتراء) لأبي معاذ الاسماعيلي.

(٦٧٤) مالك الأشتر - خطبه وآراءه / تحقيق قيس العطار ص٨٥، الفتوح لابن قثم الشيعي ج١ ص٣٨٥

ويقول أيضاً في خطبة أخرى: (أيها الناس، إنّ الله تبارك وتعالى بعث فيكم رسوله محمداً ﷺ بشيراً ونذيراً وأنزل عليه الكتاب فيه الحلال والحرام والفرائض والسنن ثم قبضه إليه وقد أدى ما كان عليه. ثم استخلف على الناس أبا بكر فسار بسيرته واستن بسنته، واستخلف أبو بكر عمر فاستن بمثل تلك السنة)(٦٧٥)

موقف الإمام علي بن الحسين من الصحابة

أما الإمام علي بن الحسين فكان يذكر أصحاب رسول الله ﷺ ويدعو لهم في صلاته بالرحمة والمغفرة لنصرتهم سيد الخلق في نشر دعوة التوحيد وتبليغ رسالة الله إلى خلقه فيقول: (فاذكرهم منك بمغفرة ورضوان، اللهم وأصحاب محمد خاصة، الذين أحسنوا الصحبة، والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره، وكانفوه وأسرعوا إلى وفادته، وسابقوا إلى دعوته، واستجابوا له حيث أسمعهم حجة رسالته، وفارقوا الأزواج والأولاد في إظهار كلمته، وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوته، والذين هجرتهم العشائر إذ تعلقوا بعروته، وانتفت منهم القرابات إذ سكنوا في ظل قرابته، اللهم ما تركوا لك وفيك، وأرضهم من رضوانك وبما حاشوا الحق عليك، وكانوا من ذلك لك وإليك، واشكرهم على هجرتهم فيك ديارهم وخروجهم من سعة المعاش إلى ضيقه ومن كثرة في اعتزاز دينك إلى أقله، اللهم وأوصل إلى التابعين لهم بإحسانٍ الذين يقولون ربنا اغفر لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان خير جزائك، الذين قصدوا سمتهم، وتحروا جهتهم، لو مضوا إلى شاكلتهم لم يثنهم ريب في بصيرتهم، ولم يختلجهم شك في قفو آثارهم والائتمام بهداية منارهم مكانفين وموازرين لهم، يدينون بدينهم، ويهتدون بهديهم، يتفقون عليهم، ولا يتهمونهم فيما أدوا إليهم). (٦٧٦)

---

(٦٧٥) مالك الأشتر - خطبه وآراءه ص٨٩ والفتوح لابن قثم ج١ ص٣٩٦

(٦٧٦) صحيفة كاملة لزين العابدين ص١٣

موقف الإمام جعفر الصادق من الصحابة

روى المجلسي في بحار الأنوار عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (كان أصحاب رسول الله ﷺ اثني عشر ألفاً، ثمانية آلاف من المدينة، وألفان من مكة وألفان من الطلقاء، ولم يكن فيهم قدري ولا مرجئ ولا حروري (خوارج) ولا معتزلي ولا صاحب رأي، كانوا يبكون الليل والنهار، ويقولون: (اقبض أرواحنا من قبل أن نأكل خبز الخمير)[٦٧٧]

وهذا الكلام في صحابة رسول الله ﷺ هو عين التزكية القرآنية التي جاءت لتمدح صحابة رسول الله ﷺ وتبشرهم برضا الله عليهم وبجنان الخلد، لكن أين هذا كله من روايات الشيعة الاثني عشرية التي قالت بارتداد صحابة رسول الله إلا بضعة رجال لا يتجاوزن عدد أصابع اليدين العشر!

من هو جد جعفر الصادق؟

إنه أبو بكر الصدّيق... حقيقة أشبه بالخيال، هل يمكن أن يكون الرجل الذي تلعنه الشيعة الاثنا عشرية ليل نهار هو جد أحد أئمتها؟

وهل يُعقل أن يفخر هذا الإمام الذي تعتقد الشيعة الاثنا عشرية فيه العصمة بمن تلعنه الشيعة الاثنا عشرية ويكنّ له كل التقدير والوفاء؟! أمر غريب بالفعل!

لقد كان جعفر الصادق يفخر قائلاً (لقد ولدني أبو بكر مرتين)[٦٧٨] وذلك لأنّ نسبه ينتهي إلى أبي بكر من طريقين:

الأول: عن طريق والدته أم فروة (قريبة) بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر.

---

(٦٧٧) كتاب الخصال للقمي ص٦٤٠ حديث رقم ١٥ (كان أصحاب رسول الله إثني عشر ألف رجل) باب (ما بعد الألف)، بحار الأنوار ٢٢/ ٣٠٥

(٦٧٨) كشف الغمة في معرفة الأئمة للأربلي ٢/ ٣٧٤

الثاني: عن طريق جدته أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر (هي أم فروة قريبة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر[٦٧٩].

ولم يكن أبو عبد الله ليفتخر بأبي بكر إلا لشرف هذا النسب وشرف الانتساب لرجل بإيمان أبي بكر وفي عطائه للإسلام والذب عن دين الله.

وفي ذلك يقول الشريف الرضي:

بمولد بنت القاسم بن محمد وحزناً عتيقاً وهو غاية فخركم

يقول العلامة الشيعي محمد صالح الحائري المازندراني[٦٨٠] في رسالته (منهاج عملي للتقريب): (إنّ الإمام جعفر بن محمد الصادق وولده المعصومين من ولد إمامهم الأعظم أبي بكر الصديق من قبل أمه، فإنّ أمه أم فروة بنت القاسم الفقيه ابن محمد بن أبي بكر وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، وهي بنت عم القاسم المذكور، فالإمام محمد بن علي الباقر صهر الصدّيق على ابنة حفيده القاسم، وكان يقول جعفر بن محمد (ولدني أبو بكر مرتين) يعني بهما محمداً والقاسم)[٦٨١].

لكن هذا الحفيد الذي تتناقل كتب الشيعة الاثني عشرية افتخاره بجده أبي بكر هي ذاتها التي تتناقل سب وشتم جد إمامها وتتفاخر بلعنه! فإنا لله وإنا إليه راجعون.

شهداء مع الحسين في كربلاء مجهولون عند عامة الشيعة

ربما يتفاجأ كثير من عامة الشيعة اليوم عندما يطّلعون على حقيقة ظلت مخفية عنهم لزمن طويل، لم تخطر لهم على بال، بل هي عند الأكثرين من الاستحالة بمكان ما دامت مرتبطة بمحبة أبي بكر وعمر.

---

(٦٧٩) نفس المصدر

(٦٨٠) من كبار علماء (سمنان) بإيران

(٦٨١) مسألة التقريب بين المذاهب لعبد الله العلايلي.

فعادة ما يُظهر علماء الشيعة الاثني عشرية علاقة أهل البيت بكبار صحابة رسول الله (أبي بكر وعمر) وغيرهم من الصحابة بمظهر البغض المتبادل لكننا أمام دليل ملموس على نوع خاص من المعزّة والتقدير، يعبّر فيها أهل البيت عن حبهم وإجلالهم لأصحاب رسول الله حين يسمّون أبناءهم وبناتهم بأسماء ارتبطت ذهنياً عند الشيعة الاثني عشرية بالنفاق والكفر والانقلاب على الأعقاب.

فقد سمّى الإمام علي ابناً له من ليلى بنت مسعود بن خالد التميمية باسم (أبي بكر)[٦٨٢].

وسمّى الإمام الحسن ابنه أبا بكر[٦٨٣]، وذكر الطبرسي ابناً آخر له أسماه الإمام الحسن باسم (عمر)[٦٨٤].

أما الإمام علي بن الحسين (زين العابدين) فقد سمّى أحد أبنائه باسم (عمر)[٦٨٥].

كل ذلك تبركاً وتيمناً بصاحبي رسول الله ﷺ (أبي بكر وعمر).

وقد سمّى الإمام موسى بن جعفر (الكاظم) إحدى بناته (عائشة)[٦٨٦]، وذكر الأربلي في كشف الغمة أنّ من أبناء هذا الإمام الجليل (عمر)[٦٨٧].

وقد ائتسى الإمام علي بن موسى (الرضا) بأبيه الكاظم فسمّى ابنته بـ (عائشة)[٦٨٨].

---

(٦٨٢) مقاتل الطالبيين ص٩١

(٦٨٣) كشف الغمة ٢/ ١٩٨ وإعلام الورى ١/ ٢١٣

(٦٨٤) إعلام الورى ١/ ٢١٣

(٦٨٥) منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل ٢/ ٥٩ وكشف الغمة ٢/ ٣٠٢ والإرشاد للمفيد ص٢٦١ وإعلام الورى ١/ ٢٦٢

(٦٨٦) الإرشاد ص٣٠٢

(٦٨٧) كشف الغمة ٣/ ٣١

(٦٨٨) كشف الغمة ٣/ ٦٠

وكذلك فعل الإمام علي بن محمد (الهادي) فسمّى ابنته عائشة[٦٨٩].

كل هذه الحقائق مذكورة ومسطرة في كتب الشيعة.

إنّ كل ذلك يؤكد أنّ الشيعة الاثني عشرية لا يقفون من الصحابة موقف أهل البيت من الصحابة، وإلا فهل من الشيعة الاثني عشرية من يرضى أن يُسمي ولده أبا بكر أو عائشة ما دام أهل البيت فعلوا ذلك؟ أم أنّ هذا خطأ آخر ارتكبه الأئمة يُضاف إلى جانب خطئهم في مبايعة أبي بكر وعمر وتنازل الحسن عن الخلافة !!!

إننا بهذا نضع (حب الشيعة الاثني عشرية لأهل البيت) تحت الاختبار والمحك: فهل يقتدي الشيعة الاثنا عشرية بأهل البيت في تسمية أبنائهم بأسماء أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة كما فعل أهل البيت حسبما تروي كتب الشيعة الاثني عشرية أنفسهم؟ فإن لم يفعل الشيعة الاثنا عشرية ذلك كان حبهم لأهل البيت ضرباً من الادعاء وما أسهل الدعاوى.

---

(٦٨٩) كشف الغمة ٣/ ١٧٧

شهادة النبي لأبي بكر وعمر بالإيمان

بعد الذي رأيته في كتب الشيعة الاثني عشرية من اللعن والشتائم لأصحاب رسول الله ولأبي بكر وعمر على وجه الخصوص لم أتصور أنه ستقع عيناي على رواية شيعية عن رسول الله تشهد لأبي بكر وعمر بالإيمان.

لكن شاء علماء الشيعة أمراً وشاء الله عز وجل خلافه.

روى المجلسي نقلاً عن المفيد في المجالس عن عوف بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ ذات يوم: يا ليتني قد لقيت إخواني، فقال له أبو بكر وعمر: أولسنا إخوانك آمنا بك وهاجرنا معك؟ قال: **قد آمنتم بي وهاجرتم**، ويا ليتني قد لقيت إخواني، فأعادا القول، فقال رسول الله ﷺ: أنتم أصحابي ولكن إخواني الذين يأتون من بعدكم يؤمنون بي ويحبوني وينصروني ويصدقوني وما رأوني، فيا ليتني قد لقيت إخواني.(٦٩٠)

فأين هذه الرواية ممن يشكك حتى في إسلامهم في عهد رسول الله ﷺ ويعدّهم من زمرة المنافقين ؟!

ثم هل يستحق أن يكون أخاً لرسول الله ﷺ من يسب ويشتم ويلعن أصهاره ومن آمن به ومن هاجر معه؟!

حب رسول الله ﷺ لعثمان

حين ينسى علماء ورواة الشيعة الإثني عشرية الإمامة قليلاً وينسون الرغبة بالتشفي في أصهار وأصحاب رسول الله تظهر على السطح حقائق لم يكن لها أن تطفو أو أن ترى النور.

بيعة الرضوان . . . تلك البيعة التي بايع بها رسول الله ﷺ أصحابه على القتال واضعاً يده الشريفة على يده الأخرى قائلاً (هذه لعثمان) بعد أن جاءه النبأ بمقتل عثمان.

---

(٦٩٠) بحار الأنوار ٥٢/ ١٣٢ من مجالس المفيد

وقد كنت أظن أنّ حديثاً كهذا رغم شهرته وصحته لا يمكن أن يُروى عند الشيعة الاثني عشرية الذين أشبعوا عثمان سباً ولعناً وطعناً حتى لا تكاد تتصور أنهم يذكرون فيه خيراً.

لكن حديثاً شيعياً مرّ بي أثناء القراءة من شأنه أن يغير نظرة الشيعي المنصف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه وأن يبين قيمة عثمان ومكانته عند رسول الله وفي الإسلام بشكل عام.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما خرج رسول الله ﷺ في غزوة الحديبية خرج في ذي القعدة فلمّا انتهى إلى المكان الذي أحرم فيه أحرموا ولبسوا السلاح وكان رسول الله ﷺ أراد أن يبعث عمر، فقال: يا رسول الله إنّ عشيرتي قليل وإني فيهم على ما تعلم ولكني أدلّك على عثمان بن عفان، فأرسل إليه رسول الله ﷺ، فقال: انطلق إلى قومك من المؤمنين فبشّرهم بما وعدني ربي من فتح مكة، فلمّا انطلق عثمان لقي أبان بن سعيد فتأخر عن السرح، فحمل عثمان بين يديه ودخل عثمان فأعلمهم وكانت المناوشة، فجلس سهيل بن عمرو عند رسول الله ﷺ وجلس عثمان في عسكر المشركين، **وبايع رسول الله ﷺ المسلمين وضرب بإحدى يديه على الأخرى لعثمان، وقال المسلمون: طوبى لعثمان، قد طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة وأحلّ، فقال رسول الله ﷺ: ما كان ليفعل، فلمّا جاء عثمان، قال له رسول الله ﷺ أطفت بالبيت؟ فقال: ما كنت لأطوف بالبيت ورسول الله ﷺ لم يطف به**[٦٩١]

بايع رسول الله ﷺ المسلمين من أجل عثمان وضرب بإحدى يديه الشريفتين على الأخرى لعثمان ثم ترى ثقته بعثمان جلية وهو يرد على المسلمين قائلاً (ما كان ليفعل) . . في هذا كله الدليل الساطع والبرهان القاطع على حب رسول الله ﷺ لعثمان وثقته به.

وانظر إلى فعل عثمان بن عفان وهو يقول: (ما كنت لأطوف بالبيت ورسول الله ﷺ لم يطف به) . . ما أعظم إكباره لرسول الله.

---

(٦٩١) الكافي (الروضة) حديث رقم ٥٠٣، قال المجلسي: حديث حسن (مرآة العقول ٢٦/ ٤٣٨-٤٤٨)

صحابة رسول الله كما تصورهم كتب الشيعة الاثني عشرية وعلمائها

عندما كنت أتصفح كتب الشيعة الاثني عشرية وهي ترمي صحابة رسول الله مرة بالانقلاب على أعقابهم ومرة بالتآمر على الإمام علي والسعي إلى إزهاق روح الدين، كان يُخيل لي بأني أتصفح سير عتاة مكة وكفارها أمثال أبي جهل أو أبي لهب أو غيرهما ممن حارب الإسلام كتلك الفئة التي اجتمعت يوم الخندق لتقضي على دعوة الإسلام ولكن عيني ترى شيئاً آخر، إنّ هذه الفئة الملعونة الظالمة الجارية وراء مصالحها كما تذكر ذلك كتب الشيعة الاثني عشرية ليست إلا الفئة التي قاتلت مع رسول الله في بدر وأحد والخندق وغيرها والتي صبرت وجاهدت وتركت الأهل والولد في سبيل رفعة هذا الدين!!!

وما أنقله هنا ما هو إلا نموذج بسيط لما يُقال في صحابة رسول الله ﷺ:

يصفهم التيجاني[٦٩٢] بقوله: (الصحابة أغضبوا رسول الله تاهوا وتطاولوا عليه) (لم يُراعوا حقه ولم يعرفوا له احتراماً) (معاندون مجادلون) (خالفوا أمر ربهم)[٦٩٣]، (أنزلوا أنفسهم منزلته) (ليسوا جديرين بأي احترام) (استأجروا ضعفاء العقول ليرووا لهم الأحاديث الموضوعة في فضائلهم)[٦٩٤]، (انقلبوا على أعقابهم، لا يستحقون ثواب الله ولا غفرانه) (تثاقلوا عن الجهاد وركنوا إلى الدنيا)[٦٩٥] (ارتدوا على أدبارهم، بدّلوا وغيّروا وقالوا سمعنا وعصينا)[٦٩٦].

ويصفهم النوري الطبرسي فيقول: (الذين آمنوا بألسنتهم ليحقنوا دماءهم وهم بين جاهل غبي ومعاند غوي، ولاه عن الدين وتاه في شبع الأولين، وصارف

---

(٦٩٢) هذه الكلمات في وصف الصحابة كانت متفرقة في كتابه (ثم اهتديت) اعتنيت بجمعها لبيان رأيه في صحابة رسول الله

(٦٩٣) التيجاني في كتابه (ثم اهتديت) ص٨٨-٨٩

(٦٩٤) ثم اهتديت ص٩٢-٩٣

(٦٩٥) ثم اهتديت ص٩٦ و ١٠٠-١٠١

(٦٩٦) ثم اهتديت ص١٠٤-١٠٧

همته في ترويج كفره، وجبار يخاف من مخالفة نهيه وأمره وليس فيهم من يُرجى خيره ويؤمن شره، لا يكاد يُشك أنهم أخس قدراً وأعجز تدبيراً وأضل سبيلاً وأخسر عملاً وأجهل مقاماً وأشر مكاناً وأسفه رأياً وأشقى فطرة)[٦٩٧].

ويصفهم الخميني قائد الثورة الإيرانية والنائب السابق للإمام الغائب في كتابه كشف الأسرار ما ترجمته: (أولئك الصحابة الذين لم يكن يهمهم إلا الدنيا والحصول على الحكم دون الإسلام والقرآن، والذين اتخذوا القرآن مجرد ذريعة لتحقيق نواياهم الفاسدة، قد سهل عليهم إخراج تلك الآيات من كتاب الله التي تدل على خلافة الإمام علي بلا فصل، وعلى إمامة الأئمة، وكذلك تحريف الكتاب السماوي، وإقصاء القرآن عن أنظار أهل الدنيا على وجه دائم، بحيث يبقى هذا العار في حق القرآن والمسلمين إلى يوم الدين)[٦٩٨].

ويقول عنهم يوسف البحراني: (غير خفي - على ذوي العقول من أهل الإيمان وطالبي الحق من ذوي الأذهان - ما بُلي به هذا الدين من أولئك المردة المعاندين بعد موت سيد المرسلين، وغصب الخلافة من وصيه أمير المؤمنين، وتواثب أولئك الكفرة عليه، وقصدهم بأنواع الأذى والضرر إليه)[٦٩٩].

ويقول كلاماً آخر أقبح من سابقه: (اعلم أنه قد استفاضت الأخبار عن أهل العصمة عليهم السلام بارتداد الصحابة بعد رحلته ﷺ من بين أظهرهم، وهو مصداق قوله سبحانه ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾[٧٠٠]، ومن المعلوم أنه ليس منشأ ذلك الارتداد إلا العكوف على عجل السامري، ونقض بيعة الوصي)[٧٠١].

ويقول مرتضى محمد الحسيني النجفي: (إنّ الرسول ابتلي بأصحاب قد إرتدوا من بعده عن الدين إلا القليل)[٧٠٢].

---

(٦٩٧) النوري الطبرسي في كتابه فصل الخطاب ص٤٧ الباب الأول (الدليل الثاني)

(٦٩٨) كشف الأسرار ص١١٤ الترجمة القديمة

(٦٩٩) الحدائق الناضرة ١ / ٤-٥

(٧٠٠) سورة آل عمران آية ١٤٤

(٧٠١) الشهاب الثاقب في معنى الناصب ص٢٠٢

(٧٠٢) السبعة من السلف ص٧

ويقول نعمة الله الجزائري: (فإنّ أغلب الصحابة كانوا على النفاق لكن كانت نار نفاقهم كامنة في زمنه، فلمّا انتقل إلى جوار ربه برزت نار نفاقهم لوصيّه ورجعوا القهقري، ولذا قال عليه السلام (ارتد الناس كلهم بعد النبي ﷺ إلا أربعة سلمان وأبو ذر والمقداد وعمّار) وهذا مما لا إشكال فيه)[٧٠٣] !

هذه هي الصورة التي يعرفها هؤلاء عن صحابة رسول الله، وقرآن المسلمين يعرف حقيقة أخرى ويجهر بها ليصك بها أسماعهم !

صورتان متضادتان

لا يحتاج المسلم التالي لكتاب الله الكريم أن يتجشم عناء دراسة علم التفسير حتى يستشعر التفاوت الكبير بل التضاد بين رؤية القرآن الكريم للصحابة وبين رؤية الشيعة الاثني عشرية لهم، بين الآيات التي تبشرهم بالجنان وبرضا الله عنهم وبين روايات الطعن فيهم واللعن لهم عند الشيعة الاثني عشرية، ترى هل كان رب العزة والجلال الذي مدحهم في القرآن يجهل من هم الصحابة وما سيفعلونه قبل مماتهم ؟! كلا والله وحاشاه سبحانه عن هذا الإفك، إذاً كيف يمدحهم ويثني عليهم ويبشرهم بمغفرته ورضوانه وجنانه وهم مرتدون منقلبون على أعقابهم لم ينج منهم إلا القليل؟!!

هنا يكمن السؤال . . . لكن استعراضاً سريعاً لبعض النصوص القرآنية يكفي لإدراك مدى تفاوت النظرتين:

١ - القرآن يترضى عن الصحابة والشيعة الاثنا عشرية تلعنهم !!!

قال سبحانه وتعالى ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[٧٠٤]

---

(٧٠٣) الأنوار النعمانية ص٨١ (نور مرتضوي)

(٧٠٤) سورة التوبة آية ١٠٠

فالآية صريحة الدلالة على رضاء الله سبحانه وتعالى عن المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، وتبشيرهم بالفوز العظيم والخلود في جنات النعيم.

فأي عاقل يلعن من يترضى الله عنهم ؟!!، وأي لسان يستطيع أن يشتم ويسب من امتدحهم الله عز وجل؟!! وأي ضمير يستطيع أن يقول بردتهم وقد وعدهم الله الذي لا يخلف الميعاد أنهم سيغادرون الدنيا إلى جنات تجري تحتها الأنهار وأنهم خالدين فيها أبداً وأنهم من الفائزين ؟!!

وقال سبحانه ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾[٧٠٥]

فمن أخبرنا الله سبحانه أنه علم ما في قلوبهم ورضي عنهم وأنزل السكينة عليهم فلا يحل لأحد التوقف في أمرهم ولا الشك فيهم البتة[٧٠٦].

وممن بايع تحت الشجرة كما هو معروف الخلفاء الراشدون وجميع من ينعتهم الشيعة الاثنا عشرية بالانقلاب على أعقابهم والردة من الصحابة رضوان الله عليهم، وهذا متفق عليه عند السنة والشيعة الإثني عشرية.

فهل علم الشيعة الاثنا عشرية عن الصحابة ما لم يعلمه الله حين امتدحهم ثم تبين بعد ذلك أنهم غير أهل للمدح؟!! هل كان مدحهم خطأ؟!!.

٢- القرآن يعدهم بالحسنى والشيعة الاثنا عشرية تنزلهم منزلة أهل النفاق !!!

قال سبحانه وتعالى ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾[٧٠٧]

---

(٧٠٥) سورة الفتح آية ١٨

(٧٠٦) ابن حزم في الفصل ٤/ ٢٢٥

(٧٠٧) سورة الحديد آية ١٠

فوعد الله عز وجل الصحابة الذين أنفقوا قبل الفتح وبعده بالحسنى، وقد حكم الله لمن وعد بالحسنى بالأمن من عذاب يوم القيامة بقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾(٧٠٨)

فهل بدا لله بعد ذلك أنّ من قال فيهم هذه الآيات لا يستحقونها وأنهم ارتدوا على أعقابهم وسلبوا علياً حقه في الخلافة وفعلوا وفعلوا ؟!! أم نقول: صدق الله في جميع أقواله وكذب من قال بغير قوله ؟

٣- القرآن يفتخر بهم والشيعة الاثنا عشرية تتبرأ منهم !!!

قال تعالى ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾(٧٠٩).

فهل ذكر الله أوصافاً كهذه لصحابة رسول الله في التوراة التي يقرأها اليهود، والإنجيل الذي يقرأه النصارى تعظيماً لشأن الصحابة وافتخاراً بهم كخير صحب لخير نبي وهو سبحانه يعلم أنهم سيرتدون وينقلبون على أعقابهم ويثبتوا عكس ما قيل فيهم في تلك الكتب السماوية لكي تُعطى الحجة بعد ذلك لليهودي والنصراني بأن يطعن في صدق نبوة محمد عليه الصلاة والسلام لأنّ أصحاب ذاك النبي المبشر عندهم مذكورون بالإيمان والصلاح والتقوى

---

(٧٠٨) سورة الأنبياء آية ١٠١-١٠٣

(٧٠٩) سورة الفتح آية ٢٩

ونصرة الدين بينما أصحاب محمد مرتدون ومنقلبون على أعقابهم وهم ليسوا أشداء على الكفار ورحماء بينهم بل أشداء بينهم وأرأف بالكفار منهم بقرابة النبي عليه الصلاة والسلام !! هل كان الله يفتخر برجال لم يثبت على الإيمان منهم سوى سبعة ؟!!

إنّ رجالاً كهؤلاء ممن لهثوا وراء الدنيا ونسوا نبيهم وكلام ربهم لعنة السماء أولى بهم فكيف يعدهم الله بالحسنى ويخير العاقبة ؟!! بل كيف يفاخر بهم الأمم السابقة (اليهود والنصارى) وهم ليسوا أهلاً للفخر بل للاستحياء؟!!

٤- الله يتوب عليهم ويغفر لهم زلاتهم والشيعة الاثنا عشرية لا تذكرهم إلا بتلك الزلات!!!

قال تعالى ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾(٧١٠)

وقال تعالى ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾(٧١١)

فهذه الآيات تحدثت عن الصحابة وبيّنت سعة رحمة الله لمن أذنب منهم، وبيّنت كذلك إرادة الله ومحبته للتوبة عليهم وغفران ذنوبهم، وبيّنت بالمقابل ما يريده أرباب الشهوات والضلالة بأصحاب رسول الله من الميل.

ويُضاف إلى هذه الآيات العامة ما قاله تعالى فيمن أخطأ يوم أحد ففر من القتال كعثمان بن عفان رضي الله عنه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى

(٧١٠) سورة النساء آية ٢٧

(٧١١) سورة التوبة آية ١٠٢-١٠٤

ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾(٧١٢)

لكنك تجد الشيعة الاثني عشرية إلى اليوم يعيبون عثمان بن عفان ويذكرون من جملة هذه المعائب (فراره من أحد) !!

سبحان الله . . . أما يكفي أن يعفو الله عنه؟!

من ذا الذي يستطيع أن يسلب العباد رحمة ربهم ويستبدل عفو الله لهم بسخطه فيُعيّرهم بذنوبهم وأخطائهم التي تجاوز الله عنها وندموا هم عليها؟

لو أنّ الله عز وجل قد ملّك أحداً من البشر خزائن رحمته لما رأينا أحداً في الجنة ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾(٧١٣).

لكن قف عند قول الله عز وجل ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ وتفكّر، من ذا الذي يجرؤ على مخالفة ما يريده الله، فيريد في قرارة نفسه أن يفتك بهؤلاء الصحابة، لاعناً كبارهم، شاتماً صغارهم، طاعناً في أعراض أمهاتهم وأمهاتنا (أمهات المؤمنين)؟

أحسن طريقة لسب صحابة نبيك !!

ومن عجائب ما قرأت عن الصحابة ما قاله رجل يطلق عليه علماء الشيعة الاثني عشرية اسم (عمدة العلماء والمحققين) وهو محمد نبي التوسيركاني، ذاك الرجل الذي بلغ هذا المبلغ من العلم والتحقيق عند علماء الشيعة الاثني عشرية ماذا يمكن أن يقول عن صحابة نبيه عليه الصلاة والسلام وعن طرق إكرامهم ؟

---

(٧١٢) سورة آل عمران آية ١٥٥

(٧١٣) سورة الإسراء آية ١٠٠

يقول التوسيركاني في كتابه لئالي الأخبار٤/ ٩٢ (اعلم أنّ أشرف الأمكنة والأوقات والحالات وأنسبها للعن عليهم - عليهم اللعنة - إذا كنت في المبال، فقل عند كل واحد من التخلية والاستبراء والتطهير مراراً بفراغ من البال، **اللهم العن عمر ثم أبا بكر وعمر ثم عثمان وعمر ثم معاوية وعمر ثم** يزيد وعمر ثم ابن زياد وعمر ثم ابن سعد وعمر ثم شمراً وعمر ثم عسكرهم وعمر. **اللهم العن عائشة وحفصة** وهنداً وأم الحكم **والعن من رضى بأفعالهم إلى يوم القيامة**)!!!

تباً لك هكذا سوّل لك شيطانك هذه الجهالات فأعماك عن الذكر . . .

انظر إلى الحقد وإلى أخلاقيات الخلاف . . . لو أنّ رجلاً مسلماً قال هذه الكلمات في كفار مكة لقلنا له (ما من خُلق الإسلام أن تتلفظ بهذا ولا من آداب قضاء الحاجة أن يقضي المرء حاجته وهو يسب ويلعن) فكيف والكلام في أصحاب رسول الله وفي أصهاره وزوجاته؟!

إنه الحقد وإنها الضغينة وما تفعله في الصدور . . .

وكأني بالإمام محمد بن صُبيح بن السماك[٧١٤] يرد على التوسيركاني ومن يحذو حذوه قائلاً " علمت أنّ اليهود لا يسبون أصحاب موسى عليه السلام - وأنّ النصارى لا يسبون أصحاب عيسى - عليه السلام - فما بالك يا جاهل سببت أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - وقد علمت من أين أُتيت، لم يشغلك ذنبك . . . أما لو شغلك ذنبك لخفتَ ربك، لقد كان في ذنبك شغل عن المسيئين فكيف لم يشغلك عن المحسنين، أما لو كنت من المحسنين لما تناولت المسيئين ولرجوت لهم أرحم الراحمين، ولكنك من المسيئين، فمن ثَّم عبت الشهداء والصالحين، أيها العائب لأصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - لو نمت ليلك وأفطرت نهارك لكان خيراً لك من قيام ليلك وصوم نهارك مع سوء قولك في أصحاب

(٧١٤) انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٥/ ٣٦٨

محمد، فويحك ! لا قيام ليلٍ ولا صوم نهار وأنت تتناول الأخيار، فأبشر بما ليس فيه البشرى إن لم تتب مما تسمع وترى ".[٧١٥]

المحقق الثاني وعادة لعن الشيخين (أبي بكر وعمر) ! !

ذكر يوسف البحراني في كتابه (لؤلؤة البحرين) تحت ترجمة (الشيخ نور الدين علي بن عبد العالي المشهور الآن بالمحقق الثاني) نقلاً عن نعمة الله الجزائري في صدر كتابه شرح غوالي اللئالي ما نصه (وكان - رحمه الله - لا يركب ولا يمضي إلا والباب يمشي في ركابه مجاهراً بلعن الشيخين ومن على طريقتهما) !

ويبدو أنّ عادة لعن الشيخين كان تستهويه جداً إلى حد تصنيفه كتاباً في ذلك سمّاه (رسالة نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت) ذكره البحراني من جملة مصنفاته.[٧١٦]

فعجباً لتلك القلوب كم فيها من أحقاد . . .

لكن لا تعجب أيها القارئ من ذلك ففي الرواية القادمة ما هو أعجب وأعجب . . .

مخلوقات لا تعرف آدم عليه السلام خلق أم لا ... لكنها تتبرأ من أبي بكر وعمر ! !

ليس كل ما في كتاب (الكافي) صحيح . . . هكذا يقول الأصوليون من الشيعة الاثني عشرية ويستشهدون عادة بفعل المجلسي في كتابه (مرآة العقول)

---

(٧١٥) رواه المعافى بن زكريا الجريري في كتابه الجليس الصالح (٢/ ٣٩٢) بأطول من هذا.

(٧١٦) لؤلؤة البحرين ص١٥٣

الذي شرح فيه الكافي، فصحح بعض أحاديثه وضعّف بعضها الآخر، وكلما ناقشت طالباً شيعياً من طلاب العلوم الدينية حول حديث في الكافي استشهد لي بتضعيف المجلسي له أو بتصحيحه إياه، لكن ماذا يمكن أن نقول ونحن أمام رواية رواها الكليني في الكافي وصححها المجلسي في مرآة العقول بل ورويت بأكثر من سند وأكثر من مصدر يفيد المعنى ذاته؟

عن عجلان أبي صالح قال: دخل رجل على أبي عبد الله عليه السلام فقال له: جعلت فداك، هذه قبة آدم عليه السلام؟ قال: نعم، ولله قباب كثيرة، ألا إنّ خلف مغربكم هذا تسعة وثلاثون مغرباً أرضاً بيضاء مملوّة خلقاً يستضيئون بنوره لم يعصوا الله عز وجل طرفة عين، ما يدرون خُلق آدم أم لم يُخلق، يبرؤون من فلان وفلان!

قال المجلسي: قوله عليه السلام (من فلان وفلان) أي من أبي بكر وعمر.(٧١٧)

هكذا تمتزج الخرافة بالعقيدة، وتتجسد نزعات التشفي في أصحاب رسول الله!

فلا حول ولا قوة إلا بالله . . .

تشبيه الاسترابادي أم المؤمنين عائشة بحيوان!

لقد أثبت الله عز وجل لأم المؤمنين عائشة زوجة نبيه ﷺ مقاماً عرفه المسلمون ونصّ عليه مخالفوها.

قال عز من قائل ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ﴾(٧١٨).

فعائشة هي أم المؤمنين بنص كتاب الله شاء الشيعة الاثنا عشرية أم أبوا،

(٧١٧) الكافي ج٨ حديث رقم ٣٠١، قال المجلسي: صحيح (مرآة العقول ٢٦/ ١٦٧-١٦٨)
(٧١٨) سورة الأحزاب آية ٦

ولن يستطيع أحد محو هذه الآية لا من الأذهان ولا من الصدور ولا من رسم المصحف.

كانت أحب زوجاته له بعد خديجة بنت خويلد .. وإن حاول أحد سلبها هذا الحب كنحو سلبه إياها الفضائل التي ذُكرت فيها، فلن يستطيع أحد سلبها الميثاق الغليظ الذي جمعها برسول الله ﷺ في بيت واحد وتحت سقف واحد بل في فراش واحد.

تلك الأم التي نالت من العقوق والنكران لحقها ما لم تنله أم على وجه الأرض.

لكنها في نظر الإمام علي على خلاف ما يتوقعه الشيعة أنفسهم، فهو وإن اختلف معها في حرب يوم الجمل إلا إنه يجلّها ويعرف قدرها، قد ثبت عنه إكرامها وردّها إلى بيتها معززة مكرّمة، عارفاً لحقها ومقامها عند الله وعند رسول الله، وهذا منصوص عليه في كتب السنة والشيعة.

وإليك من كتب الشيعة الاثني عشرية هذه الرواية:

روى النوري الطبرسي في المستدرك عن أمير المؤمنين أنه لما هزم أهل الجمل، جمع كل ما أصابه في عسكرهم مما اجلبوا به عليه، فخمّسه وقسّم أربعة أخماسه على أصحابه ومضى[٧١٩]، فلما صار إلى البصرة قال أصحابه: يا أمير المؤمنين، اقسم بيننا ذراريهم وأموالهم، قال: ليس لكم ذلك، قالوا: وكيف أحلت لنا دماؤهم ولم تحلل لنا سبي ذراريهم؟ قال: حاربنا الرجال فقتلناهم، فأما النساء والذراري فلا سبيل لنا عليهنّ، لأنهن مسلمات، وفي دار هجرة، فليس لكم عليهنّ من سبيل، وما أجلبوا به واستعانوا به على حربكم وضمّه عسكرهم وحواه فهو لكم، وما كان في دورهم فهو ميراث على فرائض الله، لذراريهم وعلى نسائهم العدّة، وليس لكم عليهنّ ولا على

(٧١٩) المتفق عليه أنه لا تُغنم أموال البغاة ولا تُخمّس لأنهم مسلمون بل ولا يجوز إتلافها وإنما يجب أن ترد إليهم، لكن ينبغي أن يحبس الإمام أموالهم دفعا لشرهم بكسر شوكتهم حتى يتوبوا.

الذراري من سبيل، فراجعوه في ذلك، فلما أكثروا عليه قال: هاتوا سهامكم، فاضربوا على عائشة أيكم يأخذها وهي رأس الأمر؟!) فقالوا: نستغفر الله، قال: فأنا أستغفر الله، فسكتوا ولم يتعرض لما كان في دورهم ولا لنسائهم ولا لذراريهم[(٧٢٠)].

قلت: ولو كانت أم المؤمنين عائشة عند أحد أدعياء التشيع اليوم لما عرف لها حقها ولا مكانتها، ولربما كان أول من يُفتي بجواز سبيها وتعذيبها بل وقتلها.

لكن أيها المسلم . . . يا من تشهدت بشهادة أن (لا إله إلا الله . وأنّ محمداً رسول الله) . . أتراك تتصور رجلاً يدّعي الإسلام يستطيع أن يخط بقلمه وصفاً قبيحاً لزوجة النبي الذي يدّعي أنه يؤمن به؟ واصفاً تلك الأم الطاهرة بأنها (حيوان ضعيف) !!

روى شرف الدين الحسيني الاسترابادي - وهو من كبار علماء الشيعة الاثني عشرية - عن سالم بن مكرم عن أبيه قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول في قوله تعالى ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ قال: هي الحميراء (أي عائشة).

ثم قال الاسترابادي: (**ومعنى هذا التأويل إنما كنى عنها بالعنكبوت، لأنّ العنكبوت حيوان ضعيف اتخذت بيتاً ضعيفاً أوهن البيوت وأضعفها لا يجدي نفعاً ولا ينفي ضراً وكذلك الحميراء حيوان ضعيف لقلة حظها وعقلها ودينها اتخذت من رأيها الضعيف وعقلها السخيف في مخالفتها وعداونها لمولاها بيتاً مثل بيت العنكبوت في الوهن و الضعف لا يجدي لها نفعاً بل يجلب عليها ضررا في الدنيا والآخرة لأنها بنته على شفا جرف هار فانهار بها في نار جهنم، هي ومن أسس لها بنيانه وشد لها أركانه وعصى في ذلك ربه**

(٧٢٠) مستدرك الوسائل ٥٦/١١ (باب حكم سبي أهل البغي وغنائمهم) حديث رقم ١ .

وأطاع شيطانه واستغوى لها جنوده وأعوانه فأوردهم حميم السعير ونيرانه، وذلك جزاء الظالمين والحمد لله رب العالمين)[٧٢١].

لست هنا في مقام الدفاع عن أم المؤمنين عائشة، فمقام تلك الأم وشرفها محفوظ بحفظ مقام زوجها محمد ﷺ، والطعن فيها طعن في الرجل الذي ارتضاها زوجة له!!

كما إنني لست بصدد مناقشة الدعوى التي ادّعاها الرجل، لأنّ النقاش مع أناس عشعش الغل في قلوبهم وتربوا على البحث عن ما يشفي غليلهم بأي طريقة كانت ولو بالتلاعب بآيات القرآن، نقاش لا جدوى من ورائه.

لكني أوجه رسالة إليك أيها العاقل ..في أن تبرأ إلى الله من العقيدة التي تتبنى مثل هذا الفكر.. لا تكلّف نفسك ما لا تطيقه ... أتراك تطيق موقفاً يكون رسول الله ﷺ خصمك فيه؟ ... يقتص لزوجته منك ويتبرأ من فعلك ويتخلى عنك ويتركك وحيداً مع الذين تسوقهم الملائكة إلى النار، وهي تقول لرسول الله (إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك).

---

(٧٢١) تأويل الآيات الظاهرة ص ٤٢٢ وبحارالأنوار ٣٢/ ٢٨٦ نقلاً عنه وعن صاحب كنز الفوائد.

التعامل مع الصحابة من خلال أخطائهم

الصالح يخطئ ويتعثر بعض الأحيان لكنه سرعان ما يتدارك نفسه ويقف مستوياً من جديد، ذاك رجل عرف الصلاح وحفظ له صلاحه مقامه عند الله وعند الناس رغم تعثره، وما أخل بمكانته ولا بشرفه خطأ أو معصية بشرية اعتيادية لما كانت العصمة في أنبياء الله ورسله، فكيف بمن قال الله عنهم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾(٧٢٢) ؟

هل يمكن أن يُنظر إلى هذه الفئة المزكّاه على أنها منافقة وراعية لمصالحها الشخصية وأنها بكبيرها وصغيرها إلا قلة لا تتعدى اليد الواحدة مرتدة كافرة ؟! كل ذلك من أجل الإمامة التي لا يوجد نص واحد صريح فيها لا يقبل النقاش؟!

رصيد هذه الفئة المؤمنة المجاهدة من هذا الجهاد العظيم ومن الإسلام الذي نشروه وأوصلوه إلينا وإلى الأمم أن يُطعن فيهم وفي نزاهتهم وفي عقيدتهم وفي كل شيء !!

ولذلك قيل قديماً (بعض الناس مثل الذباب لا يقع إلا على الجرح)، وهذا دأب من لا يعرف في غيره إلا أخطاءهم ليُشنّع عليهم ويرميهم بالتهم، ولا يريد أن يرى فيمن يبغضه ويلعنه إلا كل الشر . . . إنها منهجية البحث في القمامة كما يصفها المفكرون اليوم.

ولا يخفى على المؤمن النجيب أي بعد عن تعاليم الإسلام وأخلاقه

---

(٧٢٢) سورة الحجرات آية ٧

تلك المهاترات التي تجعله ينظر نظرة طعن ونقيصة إلى الصالحين بل إلى أناس تربوا على يدي رسول الله ﷺ وتخرجوا من مدرسته !!

إنّ تربية الإسلام علمتنا أنّ المسلم طيب السريرة والقلب كما هو طيب اللسان والتعامل، وأنه أبعد ما يكون عن جمع الزلات وتتبع العثرات لأنّ خُلقه الإسلامي يترفع به عن هذا المستوى.

فالرسول الكريم ﷺ هو القائل (إنّ المؤمن ليس باللعان والطعّان ولا الفاحش ولا البذيء)[٧٢٣].

وما أجمل ما قاله ابن تيمية رحمه الله ناصحاً تلميذه ابن القيم: (لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل الإسفنجة فيتشربها فلا ينضح إلا بها، ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة تمر الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها، فيراها بصفائه ويدفعها بصلابته وإلا فإذا أشربت قلبك كل شبهة تمر عليه صار ممراً للشبهات، واعلم أنّ من قواعد الشرع والحكمة أيضاً أنّ من كثرت حسناته وعظمت وكان له في الإسلام تأثير ظاهر فإنه يُحتمل له ما لا يحتمل لغيره ويُعفى عنه ما لا يُعفى عند غيره، فإنّ المعصية خبث والماء إذا بلغ القلتين لم يحمل الخبث).

لكن حينما يتشرب القلب هذه الشبهات ولا ينطق إلا بها، ضارباً بجميل الصحابة عليه عرض الحائط، ناكراً لجهادهم ودعوتهم وللآيات القرآنية المزكّية لهم، فإنّ مكيال الدنيا قبل الآخرة كفيل بأن يُظهر له من الحق والحجة الباهرة ما لم يخطر على قلبه.

---

(٧٢٣) رواه أحمد

وبالمكيال الذي تكيل تُكال

إنّ من يكيل الناس بمكيال عليه أن يقبل أولاً أن يكيل نفسه وأحبابه بالمكيال ذاته الذي يكيل به الآخرين . . كي يتبين له كم يظلم عدوه ويتجنى عليه دون أن يشعر!

وقد قيل عند أولي الألباب: (كما تدين تُدان وبالمكيال الذي تكيل تُكال)، ذلك أنّ السهم المسموم يقتل صاحبه أيضاً إن جاز له أن يقتل الآخرين!

ومن عادى أولياء الله عز وجل فقد آذنه الله بالحرب ويهتك ستره وبالفضيحة يوم يلقاه.

فهؤلاء الذين يتصيدون العثرات لصحابة رسولهم محمد عليه الصلاة والسلام الذين دافعوا عنه ونصروه وتركوا أهليهم وأموالهم في مكة مهاجرين في سبيل الله إلى المدينة، ويتصيد للأنصار الذين تقاسموا مع إخوانهم المهاجرين لقمة العيش من أجل الله عز وجل ومن أجل الإسلام، لا بد لهم أن يروا أي ألم وأي جريمة يرتكبون في حق الإسلام وفي حق أنفسهم إذا ما وقفوا يرون السهام التي يجرحون بها الأبرياء هي نفس السهام التي تجرح من يحبون أو من يدّعون حبه.

ولو أنّ رجلاً من الخوارج الذين قاتلهم الإمام علي بن أبي طالب بقي الغل في قلبه فأعماه عن رؤية علي بن أبي طالب الحقيقي وأراد أن ينظر إليه بنفس نظرة الشيعة الاثني عشرية لأبي بكر وعمر وباقي الصحابة ويتشفى فيه، فأمسك بيده القلم وبدأ ينقّب في سيرة هذا الإمام العطرة عن خطأ أو ذنب أو زلة لسان لأظهر لك صورة مختلفة تماماً عن صورة هذا الرجل العظيم !!

فبالطريقة ذاتها التي يستخدمها الشيعة الاثنا عشرية في إظهار أبي بكر وعمر وعثمان وباقي الصحابة بمظهر المبدّلين لشرع الله المغيرين لسنة رسول الله يمكن لرجل من النواصب أن يُظهر علياً بهذه الصورة !!

إننا على يقين بأننا أحقر من أن نقيّم علي بن أبي طالب . . ذاك الرجل

العظيم الذي خالط الإيمان قلبه وتجسد في حياته . . . لكني أريد من القارئ المنصف أن يتلمس المعاني التي أريدها من طرح هذه الفكرة.

رؤية ناصبي للإمام علي

لنفترض الآن أنّ ذاك الناصبي بدأ ينقب في كتب الشيعة الاثني عشرية دون غيرها، ويتصيد العثرات ويعنون لكل ما يسطره من روايات بعناوين توحي بمضامينها حسب فهمه فإنّ ما سيجده هو الآتي:

١- الإمام علي والدّين

فمن الأمور التي سيقف عليها هذا الناصبي الخبيث المتصيد للعثرات حديث رواه الحر العاملي في وسائل الشيعة ١٨/ ٣١٧ عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أعوذ بالله من الكفر والدين، قيل: يا رسول الله، أتعدل الدين بالكفر؟ قال: نعم.

فيأتي برواية شيعية أخرى رواها الحر العاملي عن السيد علي بن طاوس بإسناد عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: قُبض علي عليه السلام وعليه دين ثمانمائة ألف درهم، فباع الحسن عليه السلام ضيعة له بخمسمائة ألف فقضاها عنه وباع بيعة له بثلاثمائة ألف فقضاها عنه)[٧٢٤].

ويقول لك الناصبي: انظر . . هذا رسول الله ﷺ يعدل الدّين بالكفر، وهذا علي يموت وعليه دين، بالضبط كما يفعل الشيعة الاثنا عشرية عادة مع أبي بكر وعمر وباقي الصحابة، لا يريد المرء منهم أن يتفهم النصوص ولا أن يجمع بينها ولا أن يُحسن الظن ولا أن يعرف لهؤلاء الصحابة فضلهم ويعلم أنهم بشر يخطئون ويصيبون.

فأما الشيعي الاثنا عشري فسيقف مبهوتاً أمام هذا الناصبي الخبيث . . كل ما سيفعله أحد أمرين: إما تكذيب الروايات (السابقة منها واللاحقة) أو

(٧٢٤) وسائل الشيعة ١٨/ ٣٢٢ و بحارالأنوار ٤٠/ ٣٣٨ و بحارالأنوار ١٠٠/ ١٤٥

شتم الناصبي ولعنه، لأنه لن يستطيع الطعن في منهجية ذاك الناصبي، فالمنهجية بينهما مشتركة، هذا يطعن في علي ويستخدم النصوص بغير حق، وذاك يطعن في أبي بكر وعمر والبقية ويستخدم النصوص بغير حق فيهم!

فإن قال له الشيعي (الإمام علي له من الفضائل كذا وكذا فكيف تقول عنه هذا وتحمّل النصوص ما لا تحتمل) فسيقول له الناصبي (ليست مشكلة، أنتم تناسيتم فضائل أبي بكر وعمر وطعنتم فيهما ولم تجدوا حرجاً في ذلك، فما الحرج في فعلي؟ وعلي عندي ممن لا يدري رسول الله ما أحدثوا بعده، أم أنكم تكيلوننا نحن النواصب وتكيلون أهل السنة وسائر الفرق بغير ما تكيلون به أنفسكم ؟).

٢- إهانة اسم الله!

روى شيخ القميين عبد الله بن جعفر الحميري في كتابه (قرب الإسناد ص١٥٤) عن جعفر عليه السلام عن أبيه الباقر قال: (كان نقش خاتم أبي محمد بن علي عليه السلام: العزة لله جميعاً، وكان في يساره يستنجي بها، وكان نقش خاتم علي عليه السلام: الملك لله، وكان في يده اليسرى يستنجي بها).

فيقول الناصبي: انظر .. هذا هو إمامكم علي يهين اسم الله بهذه الصورة، يستنجي باليد التي وضع فيها خاتماً عليه (الملك لله) !

وهذا هو الكفر بعد الإيمان .

أما الشيعي الاثنا عشري فلن يستطيع أن يرد على هذا الناصبي إلا بتكذيب للرواية وشتم للناصبي.

وسيرد عليه الناصبي قائلاً: سبحان الله ! .. ها أنتم تقبلون كل الروايات التي تطعن فينا نحن النواصب، وتقبلون الروايات التي تطعن في أهل السنة، وتقبلون الروايات الطاعنة في أبي بكر وعمر وعثمان والزبير وطلحة وغيرهم، فما الذي جعل الروايات الطاعنة في علي دائماً ضعيفة مكذوبة، والروايات الطاعنة فينا وفي غيرنا دائماً صحيحة، اللهم إلا الهوى!

وهكذا يفعل الهوى في أصحابه، ولو التزم الفريقان الإنصاف وتقوى

الله في تحري الحق ودراسة أسانيد الروايات حق الدراسة لما وجدنا من يطعن في صحابي.

٣- سباب وشتم بألفاظ لا تليق

وسيمر الناصبي برواية أخرى ذكرتها كتب الشيعة الاثني عشرية عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: قامت امرأة شنيعة إلى أمير المؤمنين وهو على المنبر فقالت: هذا قاتل الأحبة، فنظر إليها فقال لها: يا سلفع يا جريئة يا بذية يا مذكرة يا التي لا تحيض كما تحيض النساء يا التي على هنها[٧٢٥] شيء بيّن مدلّى.[٧٢٦]

فسيقول الناصبي للشيعي الاثني عشري: انظر إلى هذا الكلام البذيء .. أتريد أن تقنعني أنّ من ينطق بمثل هذه الكلمات يستحق الإمامة؟

ونحن نقول: حاشا علياً أن يتلفظ بمثل هذه الكلام البذيء ولكن هذا ما ترويه كتب الشيعة الاثني عشرية عن الأئمة المعصومين، ترى لو جاءت رواية في مثل هذا المعنى مروية عن أبي بكر أو عمر أما كان الشيعة الاثنا عشرية قد أقاموا الدنيا وأقعدوها؟!!

إنه البغي على الناس ... وأسرع ما يعاقب عليه الله هو البغي .. فالديّان لا يموت.

والعجب كل العجب أن يأتي عالم شيعي كبير كالشيخ عبدالله دشتي لمثل هذه الرواية فيصفها بأنها من كرامات أمير المؤمنين عليه السلام!! فماذا ترك هؤلاء إذن لأعداء الإمام علي؟!

يقول في كتابه (النفيس في بيان رزية الخميس) ص ٣٠٦ ما نصه: (والرواية تُذكر عند ذكر كرامات أمير المؤمنين (عليه السلام) إذ أخبر المرأة بشيء

---

(٧٢٥) أي على فرجها
(٧٢٦) بحار الأنوار ٤١/ ٢٩٣

مستور عن الناس بل في آخر الرواية قالت: "يا ويلها اطلع منها علي بن أبي طالب (عليه السلام) على شيء لم يطلع عليه إلا أمي أو قابلتي").

وأي كرامة في أن ينسب للإمام علي مثل هذا الهراء؟!

إنّ هذه الروايات وغيرها الكثير مما أعرضت عنه خشية الإطالة ستجعل الناصبي المتعصب المتحامل على الإمام علي يتهمه زوراً وبهتاناً بأنه ممن ابتدع وأحدث في دين الله، وستكون حجته في ذلك أنّ الروايات التي ذكرها هي روايات شيعية إثني عشرية لا دخل للنواصب ولا أهل السنة ولا المعتزلة ولا أي طائفة بها بل هي شيعية اثني عشرية صرفة.

إنّ نظرة عوراء لرجل مؤمن مجاهد مبشر بالجنة كتلك التي رأيناها كفيلة بأن تستوقفك أيها الشيعي المنصف.

إنّ هذه النظرة العوراء التي جعلت فرقة كالخوارج تطعن في الإمام علي على كل ما يُنسب له صحيحاً كان أم ضعيفاً، متناسية فضله وتضحياته للإسلام وطاعته لله وللرسول وجهاده مع الصحابة إلى حد أن باتت تلك الفرقة تكفّره وتلعنه وتطعن فيه ليل نهار!!

هذه النظرة العوراء في حقيقتها هي أخت شقيقة لنظرة عوراء أخرى لا زالت الشيعة الاثنا عشرية تنظر بها إلى صحابة رسول الله الذين قدموا للإسلام ما قدّموا، وضحوا بأرواحهم وأموالهم ولطخوا الأرض بدمائهم في سبيل رفعة هذا الدين، حتى لا يكاد كتاب شيعي يخلو من طعن في صحابي من صحابة رسول الله، وكأنّ تلك الفئة المختارة لصحبة خاتم الأنبياء والمرسلين لم تكن إلا فئة تجري وراء الدنيا ووراء مصالحها وأهوائها.

عجباً لأولئك النفر الذين يتصيدون العثرات لأصحاب رسول الله !

أما تفكروا في ذنوبهم؟ أما يخافون من سوء العاقبة والمنقلب وهم يعادون الأخيار ويتهمونهم بأشنع التهم؟!

خاتمة

وهنا توقف قلمي عن الكتابة وفي محبرتي ما يُسطر الكثير . . .

لقد تجلت لي الحقيقة بكل أطرافها.

أبصرتها حينما أزلت الغشاوة عن عيني . . . حينما آليت على نفسي أن أعرف الحق بالدليل.

أبصرتها حينما علمت أنّ الحقيقة لا تُعرف بالعاطفة والحماسة بل بالدليل والبرهان.

أبصرتها حينما وازنت بين ما تطرحه العقيدة الشيعية وبين ما يطرحه القرآن وتطرحه السنة النبوية.

أبصرتها حينما علمت أنّ رسول الله ﷺ لن يسامحني على كلمة سوء أقولها في زوجاته وأصحابه وآل بيته.

أبصرتها حينما علمت أنّ الغلو في الصالحين هو داء الأمم السابقة الذي به تنكبوا عن الطريق.

فيا أيها الشيعي المنصف الحر . . . هذه حقائق تتحرك لها الجبال الرواسي ولست أطالبك بأكثر من التفكر فيها ووزنها بميزان العقل والمنطق.

فكّر ملياً وتفحص كلامي تفحص الباحث عن الحق، ولا يذهب بك التعصب بعيداً وأنت تقرأ قول الله تعالى ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ﴿٦٨﴾﴾.

فلا تكن ممن قال الله فيهم ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ حين جعلوا أحبارهم ورهبانهم حكماً على الدين ولم يجعلوا الدين حكماً عليهم، وجعلوا أقوال علماءهم وتشريعاتهم حكماً على حكم الله ورسوله.

هذه كلمات ناصح . . . في زمن ندر به الناصحون.

وآخر دعوانا أن الحمد الله رب العالمين.

محمد الخضر

١٩ رمضان ١٤٢٣ هـ

٢٠٠٢/١١/٢٤م

فهرس الكتاب

إهداء ٣
مقدمة ٥
الفصل الأول: تأملات ٧
- الوحدة التي نريد ٩
- دين موروث ١١
- وفي أنفسكم أفلا تبصرون ١٣
- حبك للشيء يعمي ويصم ١٤
- هذا ديني وذاك مذهبي ١٥
- سهام رمتني وأخرى سترميني ١٦
- نحن مع الحق وإن قاله خصومنا ٢٠
- لماذا لا نتحاور؟ ٢٢
- نريده حواراً من أجل الحقيقة ٢٣
- من هنا كانت البداية ٢٥
- في السيدة زينب ٢٨
الفصل الثاني: في حب أهل البيت ٣٣
- حديث الثقلين ٤٠
- الوصية الخالدة ٥١
- الدعاء هو العبادة ٥٣
- التوسل شيء ودعاء غير الله شيء آخر ٥٤
- الاستغاثة في ميزان القرآن ٥٨
- الاستغاثة في ميزان العترة الطاهرة ٦٩
- شبهات حول بعض الأحاديث ٧٢
- يا الله أم يا علي ويا حسين؟! ٧٦
- وقفة مع دعاء (حلال المشاكل) ٨٢
- الاستغاثة بالزهراء والأئمة أم بخالقهم؟ ٨٣
- ماذا بقي لرب العالمين؟ ٨٩

- الغلو في روايات الشيعة الاثني عشرية ٨٩
- الغلو في أمهات كتب الشيعة ٩٣
- كيف ينظر كبار علماء الشيعة إلى الأئمة الاثني عشر؟ ٩٧
- طلاسم في كتب الأدعية والاستشفاءات! ١١٧

الفصل الثالث: الخلافة والإمامة ١٢٣
- لا ينال عهدي الظالمين ١٣٢
- نصوص شيعية تشترط العدل في الحاكم لا العصمة ١٣٩
- الأحلام لا تصلح لأن تكون دستوراً ١٤٢
- لماذا لم يُذكر الأئمة في القرآن؟ ١٤٦
- فضائل لا تنصيص على إمامة ١٤٨
- القرآن وعقيدة الإمامة الشيعية ١٥٠
- القول بالإمامة الإلهية بعد النبي ﷺ طعن في ختم نبوته ١٥٢
- نهج البلاغة ينقض عقيدة الإمامة التي يعتقدها الشيعة الاثنا عشرية ١٥٨
- نهج البلاغة ينفي أن تكون الإمامة في أهل البيت!! ١٦١
- عندما يمتزج وهم الإمامة النصية بالخرافة الحسية! ١٦٢
- مناقشة ما يُستدل به على الإمامة من القرآن ١٦٥
  - آية ﴿إنما وليكم الله﴾ ١٦٥
  - آية التطهير وحديث الكساء ١٧٥
  - آية المباهلة ١٨٥
- مناقشة ما يُستدل به على الإمامة من السنة النبوية ١٩٣
  - حديث غدير خم ١٩٣
  - حديث الاستخلاف على المدينة ٢١٠
  - حديث الطائر ٢١٦
  - حديث الدار ٢٢١
  - حديث (علي مني وأنا من علي) ٢٢٦
  - أحاديث الاثني عشر إماماً ٢٢٧

الفصل الرابع: مع صحابة رسول الله ٢٣٣
- حوار مع زميل ٢٣٦

- المرء على دين خليله ٢٣٩
- ماذا عن امرأتي نوح ولوط عليهما السلام؟ ٢٤٢
- حوار حاسم في القضية ٢٤٥
- مناقشة بين الإمام علي بن الحسين (زين العابدين) وبين مبغض للصحابة ٢٤٧
- الصحبة اللغوية والصحبة الشرعية ٢٤٩
- شرف صحبة رسول الله ٢٥٣
- هل في الصحابة منافقون؟ ٢٥٦
- علامة قف ٢٧٠
- عدالة الصحابة ٢٧٣
  - عدالة السيرة لا تعني العصمة ٢٧٦
  - محمد حسين فضل الله ومفهوم العدالة ٢٧٧
  - بعض متعصبة أهل السنة أساءوا لمفهوم (العدالة) ٢٧٨
  - ماذا وراء طرح موضوع العدالة؟ ٢٨٢
  - روايات شيعية منسية في إثبات عدالة الصحابة ٢٨٤
  - عدالة الصحابة مستحيلة وعدالة كبار علماء الشيعة الاثني عشرية لا غبار عليها! ٢٨٦
- منقلبون على أعقابهم ومرتدون من أجل ماذا؟! ٢٩٠
- من المرتد صحابة رسول الله أم هؤلاء؟ ٢٩٣
- هل بشّر القرآن الصحابة بردتهم وكفرهم؟ ٢٩٦
- نماذج حيّة للمزاجية في تفسير الآيات ٢٩٨
  - آية آل عمران ٢٩٨
  - آية المائدة ٣١٠
- حديث المذادة عن الحوض ٣١٨
- حب الإمام علي وأبنائه للصحابة ٣٢٤
  - نهج البلاغة والثناء العطر على عمر بن الخطاب! ٣٢٥
  - مالك الأشتر والشيخان أبو بكر وعمر ٣٢٨
  - موقف الإمام علي بن الحسين من الصحابة ٣٢٩
  - موقف الإمام جعفر الصادق من الصحابة ٣٣٠

- من هو جد جعفر الصادق؟ ٣٣٠
- شهداء مع الحسين في كربلاء مجهولون عند عامة الشيعة ٣٣١
- شهادة النبي لأبي بكر وعمر بالإيمان ٣٣٤
- حب رسول الله صلى الله عليه وآله لعثمان ٣٣٤
- صحابة رسول الله كما تصورهم كتب الشيعة الاثني عشرية وعلمائها .. ٣٣٦
- صورتان متضادتان ٣٣٨
- أحسن طريقة لسب صحابة نبيك!! ٣٤٢
- المحقق الثاني وعادة لعن الشيخين (أبي بكر وعمر)!! ٣٤٤
- مخلوقات لا تعرف آدم (ع) خلق أم لا.. لكنها تتبرأ من الشيخين! . ٣٤٤
- تشبيه الاسترابادي أم المؤمنين عائشة بحيوان! ٣٤٥
- التعامل مع الصحابة من خلال أخطائهم ٣٤٩
- وبالمكيال الذي تكيل تُكال ٣٥١
- رؤية ناصبي للإمام علي ٣٥٢
- خاتمة ٣٥٦